



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى

لعلوم اللغات وآدابها

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد العشرون

محرم ١٤٣٩ هـ - أكتوبر ٢٠١٧ م

قواعد النشر

- ١- تُقبل الأعمال المقدمة للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها حسب المواصفات التالية:
أ. يقدم صاحب البحث أربع نسخ ورقية، ونسخة واحدة على أسطوانة ممغنطة (CD).
ب. يطبع البحث على برنامج Microsoft Word بالخط العربي التقليدي Traditional Arabic (بنط ١٦) على وجه واحد، مقاس A4 (٢١ X ٢٩,٧ سم)، بما لا يزيد حجم البحث عن خمسين صفحة، بما فيها المراجع والملاحق والجداول.
ج. تُرقّم صفحات البحث ترقيماً متسلسلاً، بما في ذلك الجداول والأشكال وقائمة المراجع، وتطبع الجداول والصور والأشكال واللوحات على صفحات مستقلة، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن، وتكون الهوامش مكتوبة بطريقة آلية وليست يدوية.
د. يُرفق ملخصان بالعربية والإنجليزية لجميع الأبحاث، بما لا يزيد عن ٢٠٠ كلمة.
هـ. يُكتب المؤلف اسمه وجهة عمله على ورقة مستقلة، مع إرفاق نسخة موجزة من سيرته الذاتية، وتعهد خطي موقّع من الباحث / الباحثين بأن الباحث لم ينشر من قبل، أو قدّم للنشر لدى جهات أخرى.
و. تُرفق أصول الأشكال مرسومة باستخدام أحد برامج الحاسب الآلي ذات العلاقة على أسطوانة ممغنطة (CD).
 - ٢- توضع إحالات البحث وهوامشه وتعليقاته في نهاية البحث، بالإشارة إلى اسم العائلة للمؤلف، ثم الاسم الأول، وعنوان كتابه، ورقم الصفحة المحال إليها؛ وإن كانت الإحالة على مقالة فتذكر المعلومات وافية بحسب الضوابط السابقة.
 - ٣- تُعرض المصادر والمراجع في نهاية البحث، على أن ترتب هجائياً، حسب اسم العائلة للمؤلف، ثم الأسماء الأولى أو اختصاراتها، متبوعاً باسم الكتاب أو المقال، ثم رقم الطبعة، فاسم الناشر (في حالة الكتاب) أو المجلة (في حالة المقالة)، ثم مكان النشر (في حالة الكتاب) وتاريخ النشر. أما في حالة المقال فيضاف رقم المجلة، أو العدد، وسنة النشر.
 - ٤- يُمنح الباحث عشر مستلزمات من بحثه، مع نسخة من العدد الذي يظهر فيه عمله. كما تمنح نسخة واحدة من العدد هدية لكاتب المراجعة العلمية، أو التقرير، أو ملخص الرسالة الجامعية.
- المراسلات:** ترسل جميع الأعمال والاستفسارات مباشرة إلى رئيس تحرير مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص. ب ٧١٥).
- البريد الإلكتروني:** E-mail: jll@uqu.edu.sa
- حقوق الطبع:** تُعبّر المواد المقدمة للنشر عن آراء مؤلفيها، ويتحمل المؤلفون مسؤولية صحة المعلومات ودقة الاستنتاجات. وجميع حقوق الطبع محفوظة للناشر (جامعة أم القرى)، وعند قبول البحث للنشر يتم تحويل ملكية النشر من المؤلف إلى المجلة.
- التبادل والإهداء:** توجه الطلبات إلى رئيس تحرير المجلة (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص. ب: ٧١٥)
- الاشتراك السنوي:** خمسة وسبعون ريالاً سعودياً أو عشرون دولاراً أمريكياً، بما في ذلك أجور البريد.
- تنويه:** تصدر مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها بمسماها الحالي، بعد أن كانت جزءاً من مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، في مجلداتها (١-٢٠) الصادرة خلال الفترة (١٤١٩هـ - ١٤٢٨هـ) الموافق (١٩٩٩م - ٢٠٠٧م).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مَجَلَّةُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى

لِلْعُلُومِ اللُّغَاتِ وَأَدَابِهَا

مجلة دورية علمية مُحَكَّمة نصف سنوية، تصدر عن جامعة أم القرى، لنشر الأبحاث العلمية الأصيلة في مجال اللغات وآدابها، وفروعها المختلفة ذات الصبغة اللغوية، وفي أطرها النظرية والتطبيقية. وتُرَحَّبُ المجلة بنشر جميع ماله علاقة بما سبق، من مراجعات كتب، وتقارير أبحاث مُمَوَّلَة، وتوصيات مؤتمرات وندوات وأنشطة علمية أخرى، وملخصات رسائل جامعية، باللغتين العربية والإنجليزية، والتي لم يسبق نشرها، أو تقديمها للنشر لدى جهات أخرى، وذلك بعد مراجعتها من قِبَل هيئة التحرير، وتحكيمها من الفاحصين المتخصصين.

المشرف العام

د. بكري بن معتوق عساس

مدير الجامعة

نائب المشرف العام

د. ثامر بن حمدان الحربي

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس هيئة التحرير

د. محمد بن حماد القرشي

هيئة التحرير

أ. د. عبدالرحمن بن حسن العارف

د. عبدالله بن محمد مسلمي

أ. د. عمر بن الصديق عبدالله

د. عبدالله بن عبدالرحمن با نقيب

د. أحمد بن يحيى الغامدي

د. هيفاء بنت عثمان فدا

د. مريم بنت عبدالهادي القحطاني

أعضاء الهيئة الاستشارية للمجلة

- ١- أ.د. إبراهيم بن سليمان الشمسان أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك سعود
- ٢- أ.د. سعد مصلوح أستاذ اللسانيات بكلية الآداب بجامعة الكويت
- ٣- أ.د. عياد بن عيد الثبيتي أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى
- ٤- أ.د. محمد محمد أبو موسى أستاذ البلاغة بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة
- ٥- أ.د. محمود إسماعيل صالح أستاذ علم اللغة التطبيقي (متعاون بقسم اللغة الإنجليزية) كلية الآداب جامعة الملك سعود
- ٦- أ.د. ناصر بن سعد الرشيد أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك سعود
- ٧- أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة أستاذ اللغويات بكلية الآداب بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
- ٨- أ.د. وليد أحمد العناتي أستاذ اللسانيات بجامعة البتراء الأردنية

المحتويات

البحوث العربية :-

- مادة (الحُبّ) في العربية- دراسة لغوية
د. وداد أحمد عبدالله القحطاني ١١ - ٧٠
- القصيدة الفسيفساء- قراءة في لامية الأبيوردي
د.وئام محمد أنس ٧١ - ١١٣
- انعكاس المعنى على المبنى في نونية الرندي
د. محمد علي الهروط ١١٥ - ١٧١
- إشمام الوقف في العربية
د.ماجد بن عمر القرني ١٧٣ - ٢٠٨

البحوث الانجليزية :-

- The Effect of Using Smartphones and Social Media on Teaching Medical English Writing
Abdul-Majeed Attayib Umar 9- 48

مادة (الحب) في العربية دراسة لغوية

د. وداد أحمد عبدالله القحطاني

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الملك سعود بالرياض

مادة (الحُبّ) في العربية - دراسة لغوية د. وداد أحمد عبدالله القحطاني

ملخص البحث:

تناول هذا البحث دراسة مادة (الحُبّ) في العربية؛ ليكشف عن مظاهرها اللغوية، إذ تبين أنها وردت بصيغ مختلفة: اسمية وفعلية ومجرّدة ومزيدة، وجاء بها السماع في لغات العرب المنسوبة منها وغير المنسوبة، كما اختصت بأسلوبي التعجب والمدح والذم.

ومن نتائج هذه الدراسة: أنها أبرزت ظواهر متعددة لمادة (الحُبّ) منها: ظاهرة الحذف، والاستغناء، والترادف، والتداخل والتجاذب، كما تضمنت الدراسة كثيراً من العلل الصرفية، نحو: طرد الباب على وتيرة واحدة، وكثرة الاستعمال، واستصحاب الأصل، وكراهية توالي الأمثال.

الكلمات المفتاحية:

المعاجم العربية، الصرف العربي، النحو العربي، علم اللغة. الحُبّ.

TITLE OF RESEARCH
“LOVE” SUBJECT IN ARABIC LANGUAGE:
A LINGUISTIC STUDY

Abstract:

This study aims to study and investigate the subject “LOVE” in Arabic language so as to uncover its linguistic features. It has been mentioned with various patterns as follows: nominal, verb, abstract and additive. It has been also heard in the Arab’s attributed and non-attributed languages. Moreover, it has been specialized in the patterns of interjection, praise, and defamation.

Following are among the findings of the study. It has revealed several aspects of the subject “Love” such as deletion, dispensing, synonymy, overlapping and affinity. The study has also covered several morphological causes such as monotony, abundance of use, principle of presumption, and hatred of proverb sequence

Key wordas:

Arabic grammar, Arabic morphology, Arabic dictionaries, Linguisti, Love.

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيّدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومنّ والاه. وبعد.

فاللغة العربية بحر زاخر من المكنونات والكنوز التي لا تنضب، وكلّما ظنّ ظانٌّ أنّ البحث في موادّها قد نفذ يُحَيِّبُ ظنّه حقيقة أمرها، وكُنْه أسرارها. فتبدو لناظرها كيكْرٍ لم تُمسّ من قبل. وأحسبُ أنّي بفضل الله قد وفّقتُ بالتقاط دُرّةٍ من دررها الثمينة التي لا تُحصى وهي مادة (الحُبّ).

فالحديث عن (الحُبّ) ذو شجون، تُظْمِتُ فيه الأشعار، وألّفت فيه الكتب، وسارت به الرُكبان من قديم الزمان إلى يومنا هذا. فرأيتُ أن تنال اللغة من الحُبّ جانباً، فعزمتُ الأمر وتوكّلتُ على الله، فجاء هذا البحث بعنوان: (مادة (الحُبّ) في العربية دراسة لغوية). أبخّرتُ فيه شطر كتب المعاجم والنحو والصرف، أنقّب عن صيغه وأساليبه في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعره ونثره.

وكان هدف البحث هو جمع الصيغ والاستعمالات للمادة، وذكر آراء العلماء فيها ومناقشتها، ومحاولة التعليل والتوجيه وإبداء الرأي في المسائل؛ رغبة في الكشف عن وجوه أسرار العربية، اعتماداً على أصول التوجيه المعروفة. وقد تناولت الدراسة المادة من جوانب عدة كانت هي محور البحث وغايته، فجاء على النسق الآتي:

المحور الأول: مفهوم الحُبّ ودلالته.

المحور الثاني: الناحية الصوتية.

المحور الثالث: الناحية الصرفيّة.

المحور الرابع: اللُّغات الواردة في مادة (الحُبّ).

المحور الخامس: الأساليب النحويّة الواردة في مادة الحُبّ .

ثم خاتمة تضمّنت أهم ما توصل إليه البحث. وفهّارس بأهم المصادر والمراجع. واتبع البحث المنهج الوصفي الذي يقوم على الاستقراء لمادة (الحُبّ)، ومن ثمّ تحليلها ودراستها.

ولابد من البيان أنّ صعوبة الموضوع تمثّلت في جمع كلّ ما يتصل بالمادة، التي تناثرت في بطون المعاجم والكتب، ولكن بتوفيق الله تيسّر لي إخراج هذا العمل.

وفي رحلة البحث اطلّعت على دراسة بعنوان: "ثنائية (الحُبّ والكُره) في الخطاب القرآني مع تقريب تداولي" للدكتور خليفة بو جادي، وهو وإن بدا متقارباً مع بحثي من بعض الوجوه إلا أنّه مختلف تماماً في المعالجة والمنهج، إذ دائرة اهتمامه الخطاب القرآني وفق المنهج التداولي، وهدفه الكشف عن وجوه الخطاب القرآني في ثنائية الحُبّ والكُره.

وبعد. فلا أدّعي أنني قد استقصيتُ كلّ ما يخصّ هذه المادة، ولكنني أحسبُ أنني كسفتُ اللثام عن جُلِّ أسرارها، ومهدتُ الطريق لمن يريد أن يستكمل ما بدأتُ به.

المحور الأول: مفهوم (الحُبّ) ودلالته.

إنَّ الباحث في المعاجم عن مادة (ح ب ب) يَلَحَظ تنوُّع استعمالاتها، فتأتي تارة بصيغة الاسم مصدرًا كانت أو مشتقة، وتارة بصيغة الفعل مجردًا أو مزيدًا، كما تحمل هذه المادة في دلالتها معاني متعددة، يلخصها ابن فارس بقوله: "الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدها: اللزوم والثبات، والآخر: الحُبَّة من الشيء ذي الحبّ، والثالث: وصف القِصَر. فالأول: الحبّ، معروف من الحنطة والشعير، فأما الحبّ بالكسر فبروز الرياحين، الواحد حَبَّة... ومن هذا الباب: حَبَّة القلب: سويداؤه، ويقال: ثمرته... وأما اللزوم فالحُبّ والمحَبَّة، اشتقاقه من: أَحَبَّه إذا لزمه، والمُحِبّ: البعير الذي يَحْسِرُ فيلزم مكانه... وأما نعت القِصَر، فالْحَبَّاب: الرجل القصير"^(١).

والمعول عليه من هذه المعاني هو (الحُبّ) بدلالته الشعورية التي تتبادر للذهن لأول وهلة، وقد وجدتُ أنَّ اللُّغويين لم يُعرِّفوه صراحة، بل فسَّروا معناه اللُّغويّ بالحمل تارة على النقيض وهو (البُغْض)، وأخرى على مرادفه وهو (الوُدّ). فدلالته عندهم تتكوّن من شطرين:

١. "الحُبّ: ضدّ^(٢) البُغْض"^(٣).

٢. "الحُبّ: الوداد، وكذلك الحبّ"^(٤).

ففي المعنى الأول هنا ينبغي توضيح مسألة وهي أنَّ (الحُبّ) وإن كان نقيض أو ضدّ (البُغْض) في المعنى - وهو ظاهر - إلا أنَّه نظيره وزنا، يوضّح ذلك الفيروز ابادي عند حديثه عن مصادر مادة (البُغْض) حيث قال: "والتبغيض والتبأغض والتبغض ضدّ التَّحْيِيب والتَّحَابُّ والتَّحَبُّب"^(٥).

ويظهر من ذلك أنَّ المصادر جاءت متوازنة في المادتين، وهذه المصادر تدلُّنا على التوافق أيضًا في صيغ الأفعال، فقد دلّ (التَّبْغِيز) على (بَعْض)، ودلّ (التَّبَاغُض)

على (تَبَاغَضَ)، ودلَّ (التَّبَغُّضَ) على (تَبَغَّضَ)، كما دلَّ (التَّحَيُّبَ) على (تَحَبَّبَ)، و(التَّحَابُّبَ) دلَّ على تَحَابَّ أو تَحَبَّبَ، هذا في المزيد.

أمَّا من حيث التوافق في الثلاثي فقد جاء (بَغُضَ) من باب (كَرُمَ)^(٦)، ودليله الوصف منه حيث يُقال: (بَغُضَ فهو بَغِيضٌ)، كما يُقال: (حُبُّ) فهو (حَيِّبٌ)، وكذلك جاء الفعل من باب (نَصَرَ) بَغُضَ يَبْغُضُ، وباب (فَرَحَ) نَحُو: بَغُضَ يَبْغُضُ.

ومثله جاء (الحُبَّ) من الأبواب الثلاثة (نَصَرَ)، و (فَرَحَ)، و (كَرُمَ)، غير أنَّه جاء من باب (ضَرَبَ) قليلاً، أو لغة رديئة، حيث يُقال: حَبِيَّتُهُ أَحِبُّهُ^(٧). كما ورد من الفعل (بَغُضَ) مصدرًا هو (البَغُضُ)، ومثله (حَبَّ) مصدره (حُبَّ) ويُعدَّ حمل النقيض على النقيض - كما سبق - من مذاهب العرب المشهورة، يقول ابن جني: "والعرب قد تُجرى الشيء مُجرى نقيضه كما تُجرى مُجرى نظيره. ألا تراهم قالوا: جَوَّعَان، كما قالوا: شَبَّعَان، وقالوا: عَلِمَ، كما قالوا: جَهَل، وقالوا: كَثُرَ مَا تَقُومَنَّ، كما قالوا: قَلَمَّا تَقُومَنَّ"^(٨). ومجيء النقيض على مثال النقيض كثير شائع في كلام العرب.

وأمَّا الشطر الثاني من دلالة (الحُبَّ) فهو - كما ذكروا - بمعنى (الوُدَّ)^(٩). وهذا القول فيه تفصيل؛ لأنَّ اللفظين لا يترادفان تماماً بل بينهما فروق دقيقة في المعنى، يقول أبو هلال العسكري: "(الحُبَّ) يكون فيما يوجه ميل الطَّبَاع والحكمة جميعاً، و(الوُدَّ) من جهة ميل الطَّبَاع فقط. ألا ترى أنَّك تقول: أُحِبُّ فلاناً، وأودُّه، وتقول: أُحِبُّ الصلاة، ولا تقول: أودُّ الصلاة، وتقول: أودُّ أن ذاك كان لي إذا تَمَنَّيْتُ وداده"^(١٠).

ف (الحُبَّ) أوسع دلالة من (الوُدَّ)، ونجد في التعبير القرآني عند بيان فضل الله على الناس ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٢١.

آثر استعمال (المودة) من (الوَدّ) الذي هو "خالص الحبّ وألفه وأرقه"^(١١).
فصفات اللطف والرفقة هي من الرحمة التي يدوم أثرها على مر السنين بين الزوجين.
هذا من حيث تقارب (الحُبّ) و (الوَدّ) في المعنى، وهناك وجه للتقارب بينهما
وهو الوزن الصرفي، إذ جاء مُشتملا على الصيغ المتعددة لكليهما، سواء أكانت
مصادر أو جموعا أو صفات.

فـ (الحُبّ) جاء على مثال (الوَدّ) بضم الفاء فيهما، وكسرهما فيقال: (الحُبّ
والحِبّ)، كما يقال: (الوَدّ والودّ)، ويزيد (الوَدّ) على (الحُبّ) فتح الفاء، فيقال: (وَدّه
وَدًّا) فهو مثلث الفاء، والمصدر منهما جاء على (الفُعْل والفُعْل) وكلاهما ورد في
كلام العرب^(١٢)، كما جاء المصدر على الفِعَالَة، نحو: الوِدَادَة بكسر الواو، وحكى
بعضهم فيه الضم (الوُدَاد) (والوِدَاد) إلا أنّ الفتح هو الأكثر^(١٣). وعليه يكون الوَدّ
والوِدَاد مصدران لوَدَّ يُوَدّ مثلث الواو. وكذلك الشأن في الحُبّ والحِبّ، والحُبَاب والحُبَاب.

ومن الوصف لكليهما (فَعِيل) نحو: (وَدِيد)، و (حَيِّب)، ويأتیان بمعنى اسم
الفاعل، فيقال: (وَدِيد) بمعنى (وَادّ)، و (حَيِّب) بمعنى (حَابّ)، ويجمعان على
(أَفْعَال) فيقال: (حَيِّب وأَحْبَاب)، و (وَدِيد وأَوْدَاد)^(١٤)، وعلى (أَفْعَلَة) نحو: (أَحْبَة
وأَوْدَة)، وعلى (فَعَال) نحو: (حَبَاب، ووِدَاد)، وعلى (أَفْعِلَاء) كونهما مُضَعَّفَيْن فيقال:
(أَوْدَاء، وأَحْبَاء)، كـ (عَزِيز، وأعِزَّاء) إلى غير ذلك من وجوه التماثل، والله تعالى
أعلم.

أمّا عن حدّ (الحُبّ) فقد عُرِفَ بأقوال عدة وإن اختلفت ألفاظها، فمعانيها
متقاربة، من ذلك قولهم: "الحُبّ عبارة عن: ميل الطَّبْع إلى الشيء المُلَدّ، فإنّ تأكّد ذلك
الميل وقوي سُمِّيَ عِشْقًا"^(١٥). وقيل: "الميل الدائم، بالقلب الهائم". وقيل أيضا: "إيثار
المحبيب على جميع المصحوب"^(١٦).

المحور الثاني: الناحية الصوتية.

تتكون المادة من حرفين هما: (الحاء والباء).

"فالحاء حرف مهموس رخو، يحدث صوته باندفاع النَّفْس بشيء من الشدة مع تضيق قليل مرافق في مخرجه الحلقي، فيحتك النَّفْس بأنسجة الحلق الرقيقة، ويحدث صوت هو أشبه ما يكون بالحفيف"^(١٧).

ويمتاز هذا الحرف بوجود جئة إضافة إلى كونه يتصف بالهمس والرخاوة والانفتاح وهي صفات تجعله أغنى الأصوات عاطفة، وأكثرها حرارة، وأقدرها على التعبير عن خلجات القلب ورعشاته^(١٨). فهذا يتوافق مع عاطفة الحب الجياشة.

أمّا الباء فصوت شديد مجهور مرقق، ينطق بضم الشفتين، ورفع الطبق ليغلق ما بين الحنجرة والتجويف الأنفي، معذبته الوترين الصوتين^(١٩). فكما هو واضح أنّ صفتي الشدة والجهر التي يتصف بها صوت الباء تتناسب مع مشاعر الحب التي تفيض وتظهر سماتها بقوة على مُحِبِّ المُحِبِّ، ولا يستطيع إخفاءها، وفي تكرار صوت الباء زيادة في قوة هذه العواطف وظهورها.

ونجد أنّ إحياءات هذين الصوتين (الحاء والباء)، ودقة دلالتها على المعنى قد أثارت إعجاب ابن قسيم الجوزية الذي يقول: "وتأمل كيف أتوا في هذا المُسَمَّى - أي: الحُب - بحرفين: أحدهما، الحاء التي هي من أقصى الحلق مبدأ الصوت ومخرجه قريب من مخرج الهمزة من أصل المصدر الذي هو معدن الحُب وقراره، ثم قرنها بالباء التي هي من الشفتين وهي آخر مخرج الصوت ونهايته، فجمع الحرفان بداية الصوت ونهايته، كما اشتمل معنى الحُب على بداية الحركة ونهايتها، فإنّ بداية حركة المُحِبِّ من جهة محبوه ونهايتها إلى الوصول إليه، فاختروا له حرفين هما بداية الصوت ونهايته، فتأمل هذه التكت البديعة التي تجدها ألطف من النسيم ولا تعلق إلا بذهن يناسبها لطافة ورقة"^(٢٠).

المحور الثالث: الناحية الصرفية.

وردت مادة (الحَبّ) على قسمين: أحدها صيغة الأفعال المجردة منها والمزيدة، والآخرى بصيغة الأسماء سواء كانت مصادر، أو مشتقات، أو جموعاً، وسأتناول ذلك بالتفصيل.

القسم الأول: صيغ الأفعال، وهو على نوعين:

أ - صيغ الأفعال الثلاثية من مادة (الحَبّ).

يُعدّ جذر الثلاثي المجرد هو الأكثر استعمالاً في العربية في الأفعال والأسماء على حدّ سواء، والثلاثي من الأفعال له أبواب ستة استعملتها العرب، وصيغها مختلفة ليس لها قياس ضابط، ويكاد يُجمع الصرفيون على أنّ المَعَوَّل عليه في أبواب مضارع الثلاثي السماع.

وفيما يخص مجيء الفعل الثلاثي من (الحَبّ) ظهر لي بعد البحث أنّ الآراء اختلفت في مجيئه من عدمه على رأيين:

الرأي الأول: يُنكر مجيء الفعل الثلاثي (حَبّ)، وهذا الرأي نسبته الأنباري للبصريين في قوله: "وقال البصريون: لا يُقال حَبَّبتُ الرجل، وقالوا في قولهم: رجلٌ مَحْبُوبٌ، هو مبنيٌّ على حَبَّبتُ، وحَبَّبتُ غير منطوق به"^(٢١)، وكما روي عن الكسائي قوله: أنّ (حَبّ) لغة قد ماتت^(٢٢). أي: من المهجور وإن دل عليه دليل كالوصف والمصدر.

الرأي الثاني: يُثبت ورود الثلاثي من (حَبّ)، وأنّ فيه لغتين: حَبَّبتُ وأَحَبَّبتُ، وأَحَبَّبتُ أكثر في الاستعمال^(٢٣). ونسب صاحب اللسان هذا الرأي لسيبويه^(٢٤)، كما حكى الأزهري عن الفراء قوله: "وحَبَّبتُهُ، لغة"^(٢٥).

والرأي الثاني يبدو هو الراجح، فقد ورد (حَبّ) الثلاثي المجرد، وهو من قبيل الفعل الصحيح المضَعَّف ويُعَضَّد ذلك السَّماع كما في قول غيلان بن شُجاع التَّهْشَلِيّ^(٢٦).

ووالله لَوَلا تَمْرُهُ ما حَبَّيْتُهُ ولا كانَ أدنى مِنْ عَيْدٍ ومُشرقٍ ومثله قول الشاعر^(٢٧):

حَبَّيْتُ لِحُبِّهَا السُّودانَ حَتَّى حَبَّيْتُ لِحُبِّهَا سُودَ الْكَلابِ
وكقول بعض بني مازن من تميم^(٢٨).
لَعَمْرُكَ إِنِّي وَطِلابٌ مِصْرٍ لَكَا الْمَزْدَادِ مِمَّا حَبَّ بُعْدًا
وقولهم في الأمثال: "مَنْ حَبَّ طَبَّ"^(٢٩).

هذا - وقد جاء من (حَبّ) باعتبار مضارعه أربعة أبواب من أبواب الثلاثي الستة المعروفة، وهي كالآتي:

الباب الأول: (فَعَلَ يَفْعُلُ) (بفتح العين في الماضي، وكسرهما في المضارع).

يغلب في أفعال هذا الباب مجيء المضاعف اللازم كـ (فَرَّ يَفِرُّ)، (وَخَفَّ يَخِفُّ)، ويغلب في باب (نَصَرَ) مجيء المضاعف المتعدي كـ "مَدَّهُ يَمُدُّه". غير أنَّ (حَبّ) المضَعَّف المتعدي خالف بابه، وسُمِعَ مجيئه من باب (ضَرَبَ)، فقالوا: (حَبَّ يَحِبُّ)^(٣٠). وشاهده من كلام العرب: قراءة أبي رجاء العطاردي^(٣١): ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ﴾ البقرة: ١٦٥. وكذلك قرأ: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ يَحْبِبُكُمْ اللَّهُ آل عمران: ٣١

بفتح الياء بلا إدغام^(٣٢). وروى الكسائي: يَحِبُّ وَتَحِبُّ وَأَحِبُّ، ونسب هذه اللغة لتميم وأسد وقيس^(٣٣). وكقول الشاعر^(٣٤):

أَحِبُّ لِحُبِّهَا السُّودَانَ حَتَّى حَبِيتُ لِحُبِّهَا سُودَ الْكِلَابِ
ومثل قول غيلان النهشلي^(٣٥):

أَحِبُّ أَبَا مَرَوَانَ مِنْ حُبِّ ثَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ

وقد اعترض الجوهري في الصحاح على مجيئه من باب (ضَرَبَ)، بقوله: "وهذا شاذ؛ لأنه لا يأتي في المضاعف (يفعل) بالكسر إلا ويشركه (يفعل) بالضم إذا كان مُتَعَدِّيًا، ما خلا هذا الحرف"^(٣٦).

ومقصود الجوهري بقوله: "وهذا شاذ"، يعني: أنه خرج على نظائره التي جاءت من المضعف المتعدي من باين مثل: عَلُّهُ يَعْلُهُ وَيَعْلُهُ، وَهَرُّهُ يَهْرُهُ وَيَهْرُهُ، وَشَدُّهُ يَشُدُّهُ وَيَشُدُّهُ^(٣٧)؛ لذا قال بعد ذلك (أي: الجوهري) "لأنه لا يأتي في المضاعف بالكسر إلا ويشركه (يفعل) بالضم إذا كان متعديًا ما خلا هذا الحرف". أي: أنه لم يرد في مضارع (حَبَّ) إلا من باب (ضَرَبَ) دون أن يأتي على اللغة الأخرى وهي باب (نَصَرَ). وكذلك جاءت أفعال لازمة على البابين أيضًا نحو: جَدَّ في أمره يَجِدُّ وَيَجْدُّ. وشَبَّ الفرس يَشِبُّ وَيَشُبُّ: رفع يديه معًا. حَرَّ العبد يَحِرُّ وَيَحِرُّ: إذا عُتِقَ^(٣٨). وإلما جاءت هذه الأفعال من نوعين؛ لأنهما - أي: بابي (نَصَرَ، وَضَرَبَ) - أصلًا أبواب المضارع الستة؛ لذلك خرجت أفعال من أبوابها إليهما استصحابًا للأصل^(٣٩).

أقول: يمكن مجيء المضارع المضموم العين (أَحَبُّ) من باب (نَصَرَ)^(٤٠) بنقله إليه من باب المُعَالَبَةِ^(٤١) - على الرأي القائل بقياسيته^(٤٢) - فيقال: حَابَيْتُ فلانًا فَحَبَيْتُهُ وأنا أَحْبُهُ. فيخرج بذلك من كونه شاذًا.

الباب الثاني: (فَعَلَ يَفْعَلُ) (بفتح العين في الماضي والمضارع).

يغلب في أفعال هذا الباب أن تكون حلقية العين أو اللام مثل: فَتَحَ يَفْتَحُ، وَذَهَبَ يَذْهَبُ، وليس كل ما كان حلقياً العين واللام كان مفتوحاً فيهما، وما جاء دون حرف حلقياً في العين واللام فهو شاذ من نحو: أَبَى يَأْبَى، وَهَلَكَ يَهْلِكُ^(٤٣).

وقد جاء من هذا الباب: حَبَّ إِلَيَّ هذا الشيء يَحَبُّ^(٤٤). قال ساعدة بن جُوَيَّة الهذلي^(٤٥):

هَجَرْتُ غَضُوبُ وَحَبَّ^(٤٦) مَنْ يَتَجَبَّبُ
وَعَلَدْتُ عَوَادٍ دُونَ وَلِيكَ تَشْعَبُ

ومجيء (حَبَّ) من باب (نَفَع) وإن كان على خلاف الغالب، ولكنه من وجهة نظري له مُسَوِّغٌ يتمثل في أمرين:

أحدهما: الحِفَّة، أي: أنه حذف كسرة (يَحَبُّ) وأبدلها فتحة للحِفَّة فيقال: حَبَّ يَحَبُّ^(٤٧).

الثاني: أنه جائس بين حركة المضارع وحركة عين الماضي ففتح العينين تجانسا لا قِيَاسًا، أو أنه أتبع المضارع الماضي في فتح العين، والإتباع كثير في العربية^(٤٨)، يؤكد ذلك أنهم جانسوا بين عين المضارع والماضي في (حَسِبَ) (يَحْسِبُ) بكسر العين فيهما، كما جانسوا بين الضمتين في ماضي (كَرُمَ) ومضارع، فقالوا: كَرُمَ يَكْرُمُ بضم العين فيهما.

وأهل هذه اللغة قد حوّلوا باب (ضَرَبَ) إلى باب (نَفَع)، كما حولت (طِيء) باب (فَرِحَ) إلى باب (نَفَع) كذلك، فقالوا في نحو: رَضِيَ رَضَى يَرْضَى، حيث حوّلوا الكسرة إلى فتحة، والياء إلى ألف، وذلك تخفيفاً وتجانساً بين الماضي والمضارع^(٤٩).

الباب الثالث: (فَعْلَ يَفْعَلُ) (بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع).

الغالب في أفعال هذا الباب أن تأتي من الأفعال الدالة على الفرح والأحزان والعلل وأضدادها، نحو: فَرِحَ وَحَزِنَ، وَبَطِرَ وَسَقِمَ، وَيَجِيءُ لِلَامْتِلَاءِ وَالْخُلُو، نحو: شَبِعَ وَعَطِشَ وَسَكِرَ، وَيَجِيءُ لِلْأَلْوَانِ وَالْعُيُوبِ وَالْحِلَى، نحو: سَوَدَ وَحَمِرَ، وَعَمَشَ وَوَجَّهَرَ، وَغَيَّدَ وَهَيَّفَ^(٥٠). كما يغلب فيه الفعل اللازم دون المتعدي. وقد جاء من مادة (الحَبّ) على هذا الباب، ذكر صاحب المصباح: "حَبَبْتُه أَحْبَبْتُه" من باب (تَعَبَّ) لغة^(٥١). وقال صاحب التاج: "ما كُنْتُ حَبِيْبًا، وَلَقَدْ حَبَبْتُ بِالْكَسْرِ، أَي: صِرْتُ حَبِيْبًا"^(٥٢).

ويمكن تفسير مجيء (حَبَّ) من هذا الباب أنه من قبيل الحمل على النظير فقليل على هذه اللغة (حَبَبْتُ أَحَبَّ) حملا على (وَدِدْتُ أَوْدَ) فهما نظيران وزنا ومتقاربان معنى. كما أنَّ (الحُبَّ) حين يلتقي الأحباب فيه معنى الفرح، ومعنى الحُزن إنْ افترقوا. ولعلَّ ذلك يكون مُسوِّغاَ مقبولا لمجيئه على هذه الصيغة. والله تعالى أعلم.

الرابع: (فَعْلُ يَفْعُلُ) (بضم العين في الماضي والمضارع).

"وغلب في هذا الباب مجيئه من الأوصاف الخلقية، مثل: الحُسْن، والقُبْح، والوَسَامَة والقَسَامَة، والكِبَر والصُّعُر، وقد يجري غير الغريزة مَجْرَاهَا إذا كان له لُبُّث ومُكْث، نحو: حَلُمَ، وَبَرُعَ وأفعال هذا الباب لازمة، ولم يرد من هذا الباب المضاعف إلا قليلا حكى يونس: لُبَّبْتُ تَلْبُ، وَلَبَّبْتُ تَلْبُ، وَشَرُرْتُ مثلث الراء^(٥٣)."

وذكر الرضي مجيء (حَبَّبْتُ) بضم العين ولكن ليس بالأصالة بل نُقِلَ إلى (فَعْلُ) لقصد التعجب، ومنه قول الأخطل^(٥٤):

وَحُبَّ بِهَا مَقْشُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ

"وقد ذهب الفراء إلى أنَّ (حَبَّ) أصله (حَبَبَ) على وزن (فَعْلُ) مضموم العين كـ (كَرُمَ)، واستدلَّ بقولهم (حَبِيب)، و (فَعِيل) بابه (فَعْلُ) كـ (ظَرِيف) مِنْ (ظَرُفَ)، و(كَرِيم) مِنْ (كَرُمَ)^(٥٥)". وفي المخصص: "حكى ابن جني: حَبَّبْتُ إِلَيْهِ وَلَانظِير لَهُ إِلَّا شَرُرْتُ وَلَبَّبْتُ"^(٥٦).

ومعنى ذلك أنَّ (حُبَّ) على هذا القول - أعني ما حُكي عن ابن جني - ورد مِنْ هذا الباب أصالة بلا نقل؛ حملا على أخويه من المضعَّف (شَرُرْتُ وَلَبَّبْتُ). وهذا قول له وجهته، وإنْ لم يذكر ابن سيده علَّة ذلك، إذ يَعْنِي لي أَنَّهُ جَاءَ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي غَلَبَتْ فِيهِ الْغَرَائِزُ وَالسَّجَايَا الْإِلَازِمَةُ لِمُوصُوفَاتِهَا؛ لِأَنَّ (الْحُبَّ) مِنْ هَذِهِ الْغَرَائِزِ، وَفِيهِ صِفَةُ الزُّوْمِ وَالثَّبَاتِ فِي قَلْبِ الْمُحِبِّ، فَهَلْ هُنَاكَ أَقْوَى مِنْهُ غَرِيزَةٌ؟! وَلَمَّا كَانَ

ذلك كالكُرْه والبُغْض وغير ذلك سوَّغ مجيئه على باب (كُرْم)، ويزيد ذلك قوة أنَّ الوصف منه جاء على (فَعِيل)، فقالوا: حُبّ فهو حَيِّب، كما قالوا: كُرْم فهو كَرِيم.
ب - صيغ الأفعال المزيدة.

إنَّ الزيادة ظاهرة شائعة في كلام العرب كغيرها من الظواهر مثل: الحذف، والذكر، والنيابة، والتقديم والتأخير وغير ذلك. والزيادة في العربية تكون تارة في حروف المعاني، مثل حروف الجر والنفي وغيرهما، وتارة في حروف المباني التي يجمعها قول الصرفيين (سألتمونيها) أو (هنا وتسلم). والزيادة عند الصرفيين إمَّا بزيادة حرف من حروف (سألتمونيها) ولكل منها مواقع ودلالات، وإمَّا بتضعيف حرف من أصول الكلمة، وهذا ما تنتهي إليه زيادة الأفعال، حيث ينتهي الفعل فيها إلى ستة أحرف ولا يتجاوز ذلك؛ لكونه ثقيلاً.

وقد جاءت صيغ مادة (الحُبّ) من المزيد الثلاثي بحرف على أوزانه الثلاثة، ومن المزيد بحرفين على وزنين، ومن المزيد بثلاثة على وزن واحد، وبيان ذلك فيما يلي:

١. صيغة (أَفْعَل).

هذه الصيغة تعددت استعمالاتها في العربية فجاءت فعلاً ماضياً، نحو: أكرم الولدُ أباهُ، وأفعل تفضيل نحو: محمدٌ أكرمٌ من عمرو، وصفة مشبهة نحو: أحر وأخضر، كما تعددت معانيها فجاءت للتعدية والصيرورة، والدخول في المكان، والسلب، والاستحقاق.

والهمزة في صيغة (أَفْعَل) من (أَحَبّ) ليست للتعدية؛ لأنَّها كالثلاثي جاءت متعدية لواحد، فقد قالوا: أَحَبَّتُ زيداً، كما قالوا: حَبَّتُ زيداً سواء بسواء^(٥٧) فهي بمعناه.

وعلى هذا جاءت (أَفْعَل) مرادفة لـ (فَعَلَ) من الحُبّ فهما أختان، حيث اتفقتا معنى لا صيغة، غير أنّ (أَحَبَّ) أكثر شيوعاً من (حَبَّ).

وقد جاء في القرآن الكريم بصيغة الفعل المزيد ومنها (أَحَبَّ) التي وردت بكثرة، سواء بصيغة الماضي أو المضارع، وجاءت بمعنى الثلاثي، ومن أمثلة ذلك:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِدِينَ﴾ البقرة ١٩٠
 ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ الأنعام ٧٦
 ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القصص: ٥٦.
 ومن الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"^(٥٨). وقوله عليه الصلاة والسلام: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ"^(٥٩).

فقد جاءت صيغة (أَفْعَل) من (أَحَبَّ) ومضارعه بمعنى الثلاثي (حَبَّ)، ويدل على أنّهما أختان أمران هما:

١. أنّهما مترادفتان، حيث يُقال: حَبَبْتُ الشَّيْءَ وَأَحْبَبْتُهُ بمعنى^(٦٠).
٢. أنّهم خففوا (أَحَبَّ) حتى عادت إلى الثلاثي في بعض اللغات، وذلك بحذف أحد المضعفين حكى ذلك اللحياني عن سُلَيْمٍ قولهم: أَحَبْتُ ذَلِكَ، أي: ما أَحْبَبْتُ ذلك، ونظيره ظَلْتُ في ظَلَلْتُ وهي لغة عُقَيْل^(٦١).

هذا، وقد توسّعت العرب في حذف همزة (أَفْعَل) من مضارعه المبدوء بالهمزة نحو: (أَكْرِمُ) والأصل أُؤَكْرِمُ بهمزتين، ومن مذهبهم كراهة اجتماع همزتين في أول الكلمة، فحذفوا الأولى تخفيفاً وهي الزائدة للبنية؛ لأنها لا تدل على معنى، وأبقوا الثانية لدلالاتها على الفاعل المتكلم. وقد استصحب الأصل في الشعر فقالوا:

فإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤَكْرَمَ

ثم أُجْرُوا الحذف مع سائر أحرف المضارعة النون والتاء والياء فقالوا: نُكْرِمُ وَتُكْرِمُ وَيُكْرِمُ حملا على أختها الهمزة؛ وذلك طردًا للباب على وتيرة واحدة^(٦٢).

وقد جرى (أَحَبّ) في ذلك مَجْرَى (أَكْرَم)، فمضارعه بالهمزة (أَحِبّ) وأصله (أَوْحِبُّ) بفك التضعيف، فحذفت همزته الأولى تخفيفاً، وبقيت الثانية مع التضعيف فيقال: (أَحِبّ)، وحمل عليه المضارع المبدوء بالنون والياء والتاء، ف قيل: نُحِبُّ، وَيُحِبُّ، وَتُحِبُّ، طَرْدًا للباب على وتيرة واحدة.

٢. صيغة (فَعَّلَ).

الغالب في هذه الصيغة أَنْ تأتي بمعنى التكثير، وتحجيء أيضاً لمعان أخرى كالتعدية، والدعاء، والسلب، والصيرورة، وبمعنى المجرد وغيرها من المعاني.

وقد وردت مادة (الحُبّ) من هذه الصيغة على (حَبَّبَ)، ومنه قوله تعالى:

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات: ٧.

وقال صلى الله عليه وسلم: "حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ والطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"^(٦٣).

وقد جاء معنى (حَبَّبَ) على الغالب في هذه الصيغة وهو التكثير. تقول العرب: "حَبَّبَهُ إِلَيَّ: جعلني أُحِبُّهُ. وَحَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ، وَحَبَّبَ إِلَيَّ إِحْسَانَهُ. وَحَبَّبَ إِلَيَّ سُكْنَى مَكَّةَ، وَحَبَّبَ إِلَيَّ بَأْنَ تَزَوْرَنِي"^(٦٤).

٣. صيغة (فَاعَلَ).

أكثر ورود هذه الصيغة بمعنى المشاركة، وجاءت لمعان أخرى كالتكثير، والموالاتة، وبمعنى المجرد. ولم تأت مادة (الحُبّ) من هذه الصيغة إلا على لغة هذيل، فقالوا: حَابَّبْتُهُ حَبَابًا^(٦٥)، وتفيد المشاركة.

٤. صيغة (تَفَاعَلَ).

يغلب في هذه الصيغة معنى التشارك كصيغة (فَاعَلَ)، فيقال: تَخَاصَمَ زيدٌ وعمرو، وتجيء لمعنى التظاهر بالفعل دون حقيقته، ويجيء بمعنى الثلاثي، ومُطَاوَعًا لِفَاعَلَ^(٦٦).

وقد جاءت مادة (الحُب) من هذه الصيغة القياسية، فقالوا في (تَحَبَّبَ): (تَحَابَّ) و (تَحَابُّوا): وهما يتحَابَّان. ومنه الحديث: تُهَادُّوا تَحَابُّوا^(٦٧)، وقد أفادت المشاركة.

٥. صيغة (تَفَعَّلَ).

من صيغ الزوائد ولها معان منها: مُطَاوَعَة فَعَّلَ سواء أكان في التكثير نحو: قَطَعْتُهُ فَتَقَطَّعَ، أو للنسبة نحو: قَيْسُته فَتَقَيَّسَ، أي: نسبته إلى قَيْسَ، ويجيء للاتخاذ، نحو: تَوَسَّدَ ثوبه، وللتكلف، مثل: تَصَبَّرَ، ويجيء للتَجَنُّبِ كَتَحَرَّجَ^(٦٨).

وجاء من مادة (الحُب) على هذه الصيغة، نقل ذلك صاحب التاج: فيقال: تَحَبَّبَ فلان: إذا أظهره أي: الحُبَّ. وهو يَتَحَبَّبُ إلى الناس^(٦٩). وقد أفادت الصيغة معنى مطاوعة (فَعَّلَ) في التكثير.

٦. صيغة (اسْتَفْعَلَ).

الغالب في هذه الصيغة مجيئها للطلب، إمَّا صَرِيحًا، نحو: اسْتَكَتَبْتُهُ، أو تقديرًا، نحو: اسْتَخَرَجْتُهُ، ولمعان أخرى منها: الصيرورة حقيقة ومجازًا، وقد يجيء بمعنى أَفْعَلَ^(٧٠).

وجاء من (الحُب) على هذه الصيغة قياسا في القرآن الكريم ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ التوبة: ٢٣.

ويحتمل أن يكون معنى *اِسْتَفْعَلَ* في (*اِسْتَحَبَّ*) أفادت الطلب على الحقيقة، أي: طلبوا محبة الكفر، ويجوز أن يكون بمعنى (*أَحَبَّ*)، وضمَّن معنى اختار وأثر؛ ولذلك عُذِّيَ بـ "عَلَى" ^(٧١). ومثله قول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ إبراهيم: ٣

يقول أبوحيان مفسراً: "والاستحباب: الإيثار والاختيار، وهو استفعال من المحبة؛ لأنَّ المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه، يكون من أحبَّ إليها وأفضل عندها من الآخر، ويجوز أن يكون (*اِسْتَفْعَلَ*) بمعنى (*أَفْعَلَ*)، كاستجاب وأجاب، ولما ضمَّن معنى الإيثار عُذِّيَ بـ (على) ^(٧٢).

القسم الثاني: صيغ الأسماء الواردة في مادة (الحُب)

ويشمل المصادر، والمشتقات، والجموع.

أولاً: المصادر ^(٧٣):

المتأمل في المصادر وأنواعها يجدها متعددة كالمؤكد لعامله، أو المبين لنوعه، أو عدد مرات وقوعه، كما يكون صريحاً ومؤولاً ومُتَوَهِّماً أو مُتَصَيِّداً كما هو الشأن في الجملة المتقدمة على فاء السببية وواو المعية من نواصب المضارع، ويكون اكتساباً فيما ينوب عن المصدر ولاسيما في أحد أنواع ما يكتسبه المضاف من المضاف إليه. وكذلك يكون المصدر علاجياً كأفعال الحواس كالضرب والشرب والأكل والبطش والمشي، ويكون قلبياً كالحُبِّ والبُغْض والرغبة، وهذا الأخير مما يختص بالمفعول له أو لأجله. ومنه ما يجري على فعله ثلاثياً أو مزيداً، ومنه ما ليس كذلك شذوذاً أو سماعاً، أو حملاً على نظير أو حملاً على نقيض أو استحسان.

وبالتأمل في مصادر هذه المادة نجدها من وادي القلبية؛ لأنَّ (الحَبَّ) وما اشتق منه من أفعال القلوب، ومنها ما يكون مصدرًا للثلاثي أو للمزيد، والغالب على مصدر الثلاثي السماع، وعلى غير الثلاثي القياس؛ إذ مصادر الثلاثي ليس لها قياس يحتمل إنما ينتهي فيها الأمر للسماع أو الاستحسان.

١) المصادر الثلاثية لمادة (الحَبَّ).

جاءت سماعية في المصادر الآتية:

١. (الفُعْل).

تعددت استعمالات صيغة (الفُعْل) في العربية حيث جاءت مصدرًا لـ (فَعَلَ، وفَعِلَ، وفُعِّلَ)، واسم مصدر من: (فَعَلَ)، و (فَعِّلَ)، و (فَعَّلَ)، و (افْتَعَلَ)، و (فَاعَلَ)، و (أَفْعَلَ)، كما وردت أيضًا اسم معنى: كالحَبِّ والبُغْضِ، واسم عين: كالدُّبِّ والْبُرْجِ. وكذلك نجدها جاءت جمعًا، واسم جنس جمعي، وإفرادي، واسم جمع. هذا التعدد في الاستعمال يشهد بسعة هذه اللغة، وتعدد فنونها وأساليبها إيجازًا وإعجازًا واقتصارًا واختصارًا؛ إذ كُلُّ صيغة في هذه اللغة يندرج تحتها عشرات الكلمات ذات الدلالات المختلفة.

وقد جاء (الفُعْل) على (الحَبَّ) مصدرًا للثلاثي (حَبَّ) وللمزيد (أَحَبَّ)

لأمور - من وجهة نظري - هي:

أ - أ - أنَّ (الحَبَّ) حُمِلَ على نقيضه (البُغْضِ) وعلى مُرادفه (الوُدِّ) ^(٧٤).

ب - بأنَّ (حَبَّ) و (أَحَبَّ) لُغَتَانِ وما شأنه كذلك فيتعاقبان؛ وذلك لأنَّهُما متساويتان معنى لا لفظًا، ومتساويتان في التعدي إلى مفعول واحد، والهمزة في (أَحَبَّ) ليست للتعدي، وإلا نصب مفعولين، إذ يجوز أن تقول: أَحْبَبْتُ زَيْدًا بنصب مفعول واحد، كما تقول: حَبَبْتُ زَيْدًا على التكافؤ في التعدي.

ج- جائئهما متساويتان في إهمال مصدريهما، فلم تقل العربُ (حُبًّا) على (فَعْل) مصدرًا لـ (حَبّ)، ولا (إِحْبَابًا) مصدرًا لـ (أَحَبّ).

د- يدل (الحُبّ) على الغريزة الفطريّة والسجّية الخُلقيّة اللتين من شأنهما لزوم موصوفهما، وهذا ممّا يختصُّ به باب (كَرُمَ)، إذ جاءت مصادره على (فَعَالَة) نحو: كَرُمَ كَرَامَة، وعلى فُعُولَة نحو: يُوسُ يُّوسَة، وعلى (فَعَال) نحو: جَمَلَ جَمَالًا، وعلى (فُعْل) نحو: حَسُنَ حُسْنًا؛ لذا جاء مصدر (حَبّ وأَحَبّ) على (فُعْل) سماعًا. وكون (الفُعْل) يأتي من باب (ضَرَبَ) و (فَرِحَ) فهذا من باب دخولهما على (كَرُمَ)؛ للشبه اللفظي في الصيغة.

أمّا علّة ضم (الحاء) في المصدر (الحُبّ) دون فتحها؛ إذ الغالب في مصدر الفعل الثلاثي المتعدي من باب (ضرب) أن يكون على (فَعْل) بفتح الفاء وإسكان العين يوضّحه ابن القيم في قوله: "وكان الضمّ أولى لوجهين:

أحدهما: قوته وقوة الحُبّ. الثاني: أن في الضمة من الجمع ما يوازي ما في معنى الحُبّ من جمع الهمة والإرادة على المحبوب، فكأنهم دلوا السامع بلفظه وحركته وقوته على معناه^(٧٥).

هذا - وقد اختلفت آراء العلماء في (الحُبّ) أهو مصدر وهو الكثير، أو اسم المصدر على حذف الزوائد، أو مفعول مطلق على أربعة أقوال:

١. كونه مصدرًا، ذكر ذلك جميع اللغويين في كتبهم، وعدّه ابن القوطية من مصادر الثلاثي الأربع والعشرين^(٧٦).

٢. كونه اسم مصدر، ومن قال بذلك العكبري في قوله تعالى ﴿وَأَتَى أَمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ البقرة: ١٧٧ "يجوز أن يكون اسماً للمصدر الذي هو الإِحْبَاب"^(٧٧).

٣. أو كونه مصدر فعل ثلاثي ناب عن مصدر الرباعي، ف (حُبَّ) مصدر (حَبَّ) الثلاثي، ناب عن مصدر (أَحَبَّيْتُ) فاستُغْنِيَ بِأَخْفَ المصدرين عن أثقلهما؛ لكثرة ولوع الأنفس بالحُبِّ^(٧٨). نظيره في الاستغناء بمصدر الثلاثي عن مصدر الرباعي قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ آل عمران: ٣٧ ف "نَبَات" مصدر (نَبَتَ) ناب عن مصدر (أَنْبَتَ) وهو (الإنبات)^(٧٩).

٤. أو كونه مفعولا مطلقا، وهو رأي السهيلي^(٨٠)، ودلّل على ذلك بورود جمعه في قول الشاعر^(٨١):

ثلاثة أَحْبَابٍ فَحُبُّ عَلاَقَةٍ وَحُبٌّ تِمْلَاقٍ وَحُبٌّ هُوَ الْقَتْلُ

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَصَادِرَ لَا تَتَنَّى وَلَا تُجْمَعُ؛ لِأَنَّهَا جَمِيعُهَا جِنْسٌ وَاحِدٌ، وَيَصْدُقُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ إِلَّا إِذَا قُصِدَ بِهَا الْأَنْوَاعُ، وَسَرَّ عَدَمُ تَنَتِّيَّتِهَا وَجَمْعُهَا أَنَّهَا أَفْعَالٌ فِي الْمَعْنَى، إِذْ نَحْوُ: ضَرَبْتُ ضَرْبًا أَصْلَهُ: ضَرَبْتُ ضَرَبْتُ فَالْثَّانِي تَوْكِيدٌ لِلأَوَّلِ، إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ وَضَعَتِ الْمَصْدَرَ (ضَرْبًا) مَوْضِعَ الْفِعْلِ فَسَدَّ مَسَدَّهُ وَنَابَ مِنْابُهُ، فَالضَّرْبُ فِعْلٌ فِي الْمَعْنَى وَاسْمٌ فِي اللَّفْظِ، وَمِنَ الْبَدْهِيِّ أَنَّ الْأَفْعَالَ لَا تَتَنَّى وَلَا تُجْمَعُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خِصَائِصِ الْأَسْمَاءِ وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ (الْحُبُّ) عَلَى (الْإِحْبَابِ) دَلِيلٌ عَدَمَ مَصْدَرِيَّتِهِ عِنْدَ السَّهِيلِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ اسْتَغْنَى بِهِ عَنِ الْمَصْدَرِ، أَوْ أَنَّهُ مَصْدَرٌ وَقَدْ جُمِعَ لَتَعَدُّدِ أَنْوَاعِهِ، كَمَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ.

والأرجح من هذه الأقوال مجيئه مصدرًا للثلاثي نائبا عن المصدر الرباعي.

٢. (الفعل).

تعدد استعمال صيغة (الفعل) حيث جاءت اسما مفردا، نحو: القُرْدُ، والتَّزْرُبُ، واسم جنس إفرادي نحو: الشَّرْبُ والطَّبُّ، ومصدر (فَعَلَ وَفَعِلَ وَفَعُلَ)، واسم مصدر (فَعَلَ، وَفَعِلَ وَفَاعَلَ وَفَعُلَ)، واسم جنس جمعي.

وقد جاء (الحِبّ) - بكسر الحاء - على أنه يحتمل وجوها من الدلالات:

الأول: أن يكون مصدرًا دالا على الحدث، كالوَدَّ وزَنَّا ومعنى، قال سيبويه: "وقد جاء على فَعَلٍ نحو: فَعَلَهُ فِعْلا، ونظيره: قاله قَيْلا... وقالوا: ودِدْتُهُ وُدًّا، مثل: شَرِبْتُهُ شُرْبًا. وقالوا: ذَكَرْتُهُ ذِكْرًا كَحَفِظْتُهُ حِفْظًا"^(٨٢).

والثاني: أن يكون مصدرًا بمعنى المفعول، كالطَّحْن والدَّبْح بمعنى: مَطْحُون ومَذْبُوح^(٨٣).

والثالث: أن يكون مصدرًا على حذف الزوائد، أي أنه مختزل من (الحِبَاب)، وعليه يكون من الصَّيغ الفرعية المختزلة من أصولها.

الرابع: أن يكون اسم مصدر ناب عن المصدر، كنيابة القرض عن الإقراض، والنبات عن الإنبات

الخامس: أن يأتي (الحِبّ) مصدرًا ناب عن اسم المفعول، كما لقَّب زيد بن حارثة بـ (حِبّ) رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى (المحبوب)، والمؤنث: حِبَّة^(٨٤).
٣. (الفِعَال)

ورد (الحِبَاب) على (الفِعَال): مصدرًا لـ (حَابَيْتُهُ)^(٨٥) في لغة هُذَيْل^(٨٦)، وهو نظير (الودَاد) وزنا ومرادفه معنى، وقد ورد به كلام العرب قال أبو ذؤيب^(٨٧):

فَقُلْتُ لِقَلْبِي يَالِكَ الْخَيْرُ إِيْمَا يُدَلِّيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ حِبَابُهَا
ومثله قول صخر الغي^(٨٨):

إِنِّي بَدَهْمَاءَ عَزَّ مَا أَحَدُ عَاوَدَنِي مِنْ حِبَابِهَا الزُّؤُدُ
وقد علل ابن بري لمجيء (الحِبَاب) بقوله: "وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدر حَابَيْتُهُ مُحَابَّةً وَحِبَابًا، والثاني: أن يكون جمع (حُبّ)، كـ (عُشٌّ وَعِشَاش)^(٨٩)".

ويبدو لي تعليل ثالث وهو أنَّ (الحَبَاب) يحتمل أن يكون مصدرًا مجازيًا لـ (حَبَّ) و (أَحَبَّ) حيث لم تستعمل العرب مصدريهما القياسيين: (حَبًّا) و (إِحْبَابًا)، ولمَّا كان الأمر كذلك استعارت العرب (الحَبَاب) لـ (حَبَّ) و (أَحَبَّ)، ووجه ذلك أنهما يدلان على المشاركة مثلهما في ذلك مثل (فَاعَلَ) حيث لا يقع (الحُبَّ) في الغالب من جانب واحد، وإِنَّمَا يقع من جانبيين، فلمَّا كان ذلك كذلك جاء مصدره على (الفُعَال) حملا على المعنى.

يدلُّ على ذلك أنَّ (فُعَالًا) جاء مصدرًا للثلاثي الدال على المشاركة، نحو: نَكَحَ نِكَاحًا، وَسَفَدَ سِفَادًا، وَضَرَبَ ضِرَابًا، ومنها: لَقِيتُ فلانًا لِقَاءً؛ لِأَنَّ اللَّقَاءَ لا يقع إلا من اثنين^(٩٠). ومن غير الثلاثي في قوله تعالى: ﴿فَلَقَّحْ أَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَثَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧.

جاء فيه رفع الأول ونصب الثاني على الأصل، وجاء العكس نصب (آدم) ورفع (الكلمات)؛ "لِأَنَّ كُلَّ مَا تَلَقَّاكَ فَقَدْ تَلَقَّيْتَهُ"^(٩١).

ويحتمل أن يكون من باب الحمل على النظير فقد قالوا: حَبَّهُ حَبَابًا، كما قالوا: وَدَّهُ وَدَادًا. ويحتمل أن يكون مصدرًا على حذف الزوائد، وقد جاء ذلك كثيرًا في ثنايا كتب اللغة، مثل: قَرَضَ قَرْضًا، والأصل: إقراضًا، فحذف زوائده، ومثله: أَحَبَّهُ إِحْبَابًا، فهو مصدر حذف همزته، فصار: حِبَابًا.

٤. (الفُعَال).

من المعلوم أنَّ (الفُعَال) في المصادر يدلُّ على الصوت تارة نحو: صَرَخَ صُراخًا، وَنَبَحَ بُباحًا، أو على الداء أخرى: سَعَلَ سُعَالًا، وَزَكَمَ زُكامًا. ولمَّا كان (الحُبَّ) من الداء بمكان حيث يصيب الإنسان إمَّا في عقله وإمَّا في بدنه، فهو في الفعل يفسد على المرء عقله وفكره، وقد يفضي به إلى الجنون والصرع أو الوسواس إذا لم يحقق رغباته،

ومادام كذلك فهو داء ومصدره (الفُعَال) ^(٩٢)، فيقال: حَبَّ حُبَابًا، وأَحَبَّهُ حُبَابًا على هذا المعنى. ومن ذلك قول أبي عطاء السِّنْدِي مولى بني أسد ^(٩٣):

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ أَدَاءٌ عَرَانِي مِنْ حُبَابِكَ أَمْ سِحْرُ
ب - مصادر غير الثلاثي لمادة (حَبّ):

أما مصادر غير الثلاثي فالأصل أن تُجْرِيَ على أفعالها، فكانت من القياس بمنزلة حيث لم تتعدد صيغها؛ لعدم تعدد صيغ أفعالها.

فمن الأفعال المزیدة ومصادرها القياسية: حَابَيْتُهُ حِبَابًا وَمُحَابَّةً، وَاسْتَحَبَّ اسْتِحْبَابًا، تَحَبَّبَ تَحَبُّبًا ^(٩٤).

وقد ورد مصادر غير الثلاثي على غير قياس كما في: (مَحَبَّة) مصدر ميمي من المزيّد

الفعل (أَحَبَّ)، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ طه: ٣٩

أما (أَحَبَّ إِحْبَابًا) فلم يرد إلا بمعنى: أَحَبَّ البعير إِحْبَابًا، أي: أصابه كسر أو مرض فلم يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت ^(٩٥).

ثانيا - المشتقات الواردة في مادة (الحُبّ)

المشتقات جمع مشتق وهو: ما أخذ من غيره، سواء أكان المأخوذ منه مصدرًا وهو مذهب البصريين، أو فعلا كما هو مذهب الكوفيين ^(٩٦).

وقد ورد من مادة (الحُبّ) مشتقات تتمثل فيما يلي:

١. اسم الفاعل:

لا يخلو فعل (الحُبّ) أن يكون ثلاثيا أو غير ثلاثي، فالثلاثي المضعف المتعدي اسم فاعله القياسي منه: (حَابّ)، كـ (ودّ) فهو (وادّ). ومن غير الثلاثي قياسه (مُحِبّ)،

غير أنَّ العرب أهملت اسم الفاعل القياسي (حَابّ) من الثلاثي (حَبّ)، واستغنت عنه باسم الفاعل (مُحِبّ) من غير الثلاثي (أَحَبّ)؛ وذلك لأمرين:
"أحدهما: أنَّ الأصل هو الرباعي والنطق به أكثر فجاء على الأصل.
الثاني: أنَّ حروفه أكثر من حروف (حَبّ) والمحل محل تكثير لا محل تقليل^(٩٧).
وقد ناب عن اسم الفاعل وزنان:

- (فَعِيل) بمعنى (مُفْعِل)، فقد ورد (حَيِّب) بمعنى (مُحِبّ) في قول المُخَبِّل السعدي^(٩٨):

أَتَهْجُرُ لَيْلَى بِالْفِرَاقِ حَيِّبَهَا وما كان نفساً بالفِرَاقِ تَطِيبُ
فـ (حَيِّبَهَا) بمعنى (مُحِبَّهَا). وحكى ابن الأعرابي: أنا حَيِّبُكُمْ، أي: مُحِبُّكُمْ، وأنشد^(٩٩):

وَرُبَّ حَيِّبٍ نَاصِحٍ غَيْرِ مَحْبُوبٍ

- وجاء (حِبّ) بمعنى (مُحِبّ)^(١٠٠).

٢. اسم المفعول:

قياس اسم المفعول من الثلاثي المضعّف (حَبّ) على (مَحْبُوب)، ومن غير الثلاثي (أَحَبّ) قياس اسم المفعول منه على (مُحَبّ).

إلا أنَّ استعمال (مُحَبّ) نادر والمستعمل (مَحْبُوب)، وقد جاء في المُخَصَّص: "قال أبو عبيد: أَحَبَّهُ اللهُ فهو مَحْبُوب"^(١٠١)، ونظيره: أَجَنَّهُ اللهُ فهو مَجْنُون، وَأَزْكَمَهُ فهو مَزْكُوم^(١٠٢).

وهذا يحتمل أن يكون على توهم حذف الزائد وهو الهمزة من (أَحَبّ)، وأجنّ، وأزكم) فبنوا محبوب ومجنون ومزكوم على حَبّ، وجُنّ، وزكُم. وعليه يكون اسم المفعول قياساً على أنّه من فعل ثلاثي، وغير قياس على أنّه من المزيد بالهمزة.

وقال الأزهري: "وقد جاء المُحِبُّ شاذًّا في الشُّعر، ومنه قول عنتره^(١٠٣):
وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَطْئِي غَيْرَهُ مِنْي بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمَكْرَمِ
فقد استُعير اسم المفعول (مَحْبُوب) من الثلاثي (حَبَّ) للمزيد (أَحَبَّ)، كما
استُعير - سابقا - اسم الفاعل من المزيد (مُحِبَّ) للثلاثي؛ وذلك لأنَّ (فَعَلَ وَأَفْعَلَ)
بمعنى، والشَّيْئَانِ إِذَا تَقَارَبَا تَقَارَضَا.

وقد ناب عن اسم المفعول في هذه الصيغة أوزان:

- (فَعِيل) كـ (حَيِّب) بمعنى (مَفْعُول) (مَحْبُوب)، كقول ابن الدُّمَيْنَةِ^(١٠٤):
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى وَإِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَيِّبُ
- و(فُعَال) جاء بمعنى (مَفْعُول) نحو: (الحُبَاب) بالضم، بمعنى: المَحْبُوب^(١٠٥).
- و(الفُعْل) و(فُعْلَة) بمعنى (مَفْعُول)، قال الأزهري: ^(١٠٦) "حُبَّ الشَّيْءِ فَهُوَ
مَحْبُوبٌ، و(الحُبَّة) بالضم مع الهاء بمعنى: المَحْبُوبَة^(١٠٧).
- و(الفِعْل) و(الفِعْلَة) بمعنى (المَفْعُول) من نحو: الحِبَّ: الحَيِّب، مثل: خِذْنِ وَخِذَيْنِ،
وكان زيد بن حارثة يُدْعَى حِبَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، والأنثى بالهاء،
فالْحِبَّ: المَحْبُوب^(١٠٨).

٣. اسم التفضيل.

ورد اسم التفضيل من مادة (الحُب) في القرآن الكريم على نوعين:
الأول: صوغه مباشرة من الثلاثي المستوفي للشروط، وهو (حُبَّ) المبني للمجهول،
فجاء على (أَحَبَّ). نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ يوسف: ٨.
قال أبو حيان^(١٠٩): "و (أَحَبَّ) أفعل تفضيل، وهو مبني من المفعول شذوذاً؛
ولذلك عُذِّي بـ (إلى)؛ لأنه إذا كان ما تعلَّق به فاعلاً من حيث المعنى عُذِّي إليه

بـ(إلى)، وإذا كان مفعولا عُدِّي إليه بـ (في) ". ومثله كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ يوسف: ٣٣.

والثاني: من غير الثلاثي وهو المزيد من الهمزة؛ لذا استعمل الفعل المساعد وهو أشدّ، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥.

وقد توسَّعتِ العرب في صيغة (أفعل) فحذفوا الهمزة قياسا في لفظين هما: خير وشر؛ وذلك لكثرة لاستعمال. قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢١٦.

ويُعَلَّل ابن جني سبب حذف الهمزة فيقول: "الأشَرُّ بتشديد الراء هو الأصل المرفوض؛ لأنَّ أصل قولهم: هذا خيرٌ منه، وهذا شرٌّ منه: هذا أخيرٌ منه، وأشَرُّ منه، فكثُر استعمال هاتين الكلمتين فحذف الهمزة الأولى منهما، ويدلُّ على ذلك قولهم: الخورَى والشرَى تأنيث (الأخير، والأشَر)، وقال رؤبة:

بِلالٌ خَيْرَ النَّاسِ وإِبْنُ الأَخِيرِ

فعلى هذا جاءت القراءة (يقصد قراءة أبي قلابة: "الكَذَابُ الأَشَرُّ" سورة القمر ٩) ^(١١٠).

كما حذفت همزة أفعل التفضيل في (أحبّ) ولكن على سبيل الشذوذ، إذ لم يرد إلا في الشعر كقول الأحوص ^(١١١):

وزادني كَلَفًا في الحُبِّ أَنْ مَنَعْتَ

وَحَبُّ ^(١١٢) شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَأْمُونَا

الجموع المحتملة في مادة (الحُبّ).

الجموع في العربية إجمالا نوعان:

الأول: جمع التصحيح، وهو جمع المذكر السالم ويكون للعاقل بشروطه، نحو: التائبون، العابدون. وجمع المؤنث السالم أو ما جمع بألف وتاء مزيدتين، نحو: البنات، والفتيات.

والثاني: جمع التكسير، نحو: رجال وكرماء.

وتعد الجموع في العربية مظهرًا من مظاهر الإيجاز والاختصار؛ ذلك أن العرب قد استغنت بالحروف الزائدة في المثني والجمع عن العاطف والمعطوف، إذ بدل أن تقول العرب: جاء زيد وزيد، فاستغنت بالألف والنون في الرفع عن العاطف والمعطوف، والياء والنون نصبًا وجرًا، فقالوا: جاء الزيدان، ورأيتُ الزيدَين، ومررتُ بالزيدَين. وفي جمع المذكر السالم استغنوا عن العاطف والمعطوف بالواو والنون رفعًا، وبالياء والنون نصبًا وجرًا، فقالوا: جاء الزيدُون، ورأيتُ الزيدَين، ومررتُ بالزيدَين.

أمّا جموع مادة (الحُبّ) فلا تتجاوز جمع التكسير، وهي من وادي السّماع، ولا سبيل إلى السّماع إلا بالحفظ والرجوع إلى كتب اللغة، ولا يعدل عن السّماع إلى القياس إلا عند فقد الأول. والجموع طريق السّماع، وهذا واضح في جموع التكسير، وما وُضع من ضوابط وقوانين لذلك فهو أغلبي لا اضطراري، وما خرج عنه ليس بغريب في لغة العرب.

ولا يخفى أن السّماعي من الجموع إنّما وقع من العرب لعلّة في أنفسهم وهي: إمّا كراهية الإخلال بالوزن أو بالصيغة أو القافية أو الفاصلة، أو الرغبة في التخفيف، أو إجراء شيء مُجرى غيره، أو تشبيه شيء بشيء، أو حمل شيء على شيء، وبيان ذلك يحتاج إلى بحث ليس ذلك مقامه.

وقد جاءت جموع مادة (الحُبّ) كما يلي:

١. ما جاء على (فُعْل)، نحو: (الحُبّ)، وزعم بعضهم أن (الحُبّ) جمع^(١١٣) إلا أنّه عزيز وغريب في الجموع^(١١٤).

وهذا القول بمجيء (الحُبّ جمعا) فيه حكم بلاحيثية، ودعوى بلا دليل، وما شأنه كذلك لا يُسلّم به، ولا يُعوّل عليه.

لكنني تأملت قواعد التوجيه في العربية فوجدت له مندوحة، وهو أن الذي حمل القائل به الشبه اللفظي في الصيغة وهي (فعل)، وقد سبق في المصادر أنه مصدر يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع، حيث يجوز أن يقال: زيدٌ حُبٌّ، والزيدان حُبٌّ، والزيدون حُبٌّ، والهندات حُبٌّ، كما يجيء من الصيغ المشتركة بين المفرد، نحو: (دُهْن، وقُفْل)، والجمع، نحو: (حُمُر، وصُفُر) فهذه الصيغة مطردة في كل وصف على (أفعل وفَعلاء)، سواء أكان ذلك في الألوان، نحو: (حُمُر) جمع (أحمر وحمراء)، أو العيوب، نحو: (الصُّم والبُكم والعُمي). ولما كان المصدر شبيهاً بالجمع في معناه وفي كثير من صيغه^(١١٥) جاز لهذا القائل أن يقول بالجمع للشبه اللفظي في الصيغة؛ إذ الشيء إذا أشبه شيئاً أخذ حكمه، وأشباه ذلك كثير في العربية.

وأما كونه: "عزيزاً وغريباً" فيبانه أنه لم يُعهد في القياس العربي مُساواة الأصلي (المفرد) والفرع عنه (الجمع) في الحروف والحركات، أو في صيغة ما؛ إذ يُفضي إلى اللبس، وخفاء المعاني، مما يتنافى ومذاهب العرب، إذ من مذاهبهم أنهم يضعون اللفظ مُساوياً لمعناه للتعادل بينهما، فإذا كان المعنى مُفرداً وضعوا له اللفظ المفرد حتى يتساويا فلا يزيد أحدهما عن الآخر أو ينقص، وإن كان مُكرراً وضعوا له اللفظ المثنى، وإن كان أكثر من ذلك وضعوا له لفظ الجمع؛ كي تتعادل المعاني مع ألفاظها، فكُون (حُبّ) مفرداً وجمعه (حُبّ) كذلك قد خرج عن سمت العربية. ومال بها عن الجادة. وليس ذلك القول بغريب فقد ورد في العربية له نظائر، ومنه: (الفُلك)، فقد ورد في القرآن الكريم مفرداً في قوله تعالى ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ يس: ٤١. حيث وصف (الفُلك) بالمشحون وهو مفرد؛ لأن المنعوت مفرد كذلك، وجاء جمعا أيضاً في ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾

يونس: ٢٢، فالْفُلُكُ هنا جمع بدليل عود الضمير وهو (النون) في قوله: (وَجَرَيْنَ)، والضمير لا يُعاد إلا على مثله مُفردًا كان أو جمعًا، مذكّرًا كان أو مؤنثًا^(١١٦). فالضمة في (الْفُلُكُ) مُفردًا منزلة منزلة الضمة في (باء) بُرْد. هذا وقد اُختلف في (الْفُلُكُ) فهو عند ابن جني في الشواذ اسم مكسر، وعند الفراء اسم مفرد يقع على الواحد والجمع كالطاغوت، وعند الأخفش اسم جمع. والذي يستحسن من هذه الآراء أنه لفظ مشترك بين المفرد والجمع، فقد جاءت كلمات كثيرة في العربية من هذا اللون يجذب فيها المفرد الجمع^(١١٧). ومن ذلك: طائفة، ودِلاص^(١١٨).

وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب: باب (ما جمعه وواحد سواء) "قال الكسائي: يقال: غلام يَفْعَة، وغِلْمَان يَفْعَة، وقال سيبويه: يقال: جمل عُبر أسفار، وجمال عُبر أسفار، ودرع دِلاص، وأذرُع دِلاص، وامرأة هِجَان، ونساء هِجَان"^(١١٩). وهذه الصيغ قد تداخل فيها المفرد والجمع.

وعلى هذا يتبين أن (الحُب) مفردة وجمعه (حُبٌّ)، كالْفُلُك مفردة وجمعه (فُلُك)، فقد اتفقت الحروف، واختلفت المعاني، أي: إفرادا وجمعا.

٢. ما جاء على (فِعْلَان) بكسر الفاء نحو: (حُبٌّ) و (حِبَّان)، ونظيره: حُسٌّ (البستان) وحِسَّان، وعُود عِيدَان، وحُوت حَيْتَان.

٣. جمعه على (أَفْعَال) كما هو قياس الباب (حُبٌّ وأَحْبَاب)، جاء ذلك في قول الشاعر^(١٢٠):

ثلاثة أَحْبَابٍ فحُبُّ علاقةٍ وحُبٌّ تِمْلَاقٍ وحُبٌّ هو القَتْلُ
ونظيره: لُبٌّ وأَلْبَاب^(١٢١).

٤. جمعه على (فِعَال) فيقال: حُبٌّ وحِبَاب كـ "عُشٌّ و"عِشَّاش" و"خُفٌّ وخِفَاف"^(١٢٢).

٥. مجيئه على (فِعَلَة) فيقال: حُبٌّ وحِبَبَة، كما قالوا: دُبٌّ ودِبَبَة.

احتمالات الجموع في لفظة (الحِبّ) بكسر الحاء.

١. مجيئه على (فَعْلَة) فيقال: حِبّ وَحِبَّبة، كـ "قِرْد و قِرْدَة"، والحِبَّبة بمعنى: الحبيبة^(١٢٣).
٢. مجيئه على (أَفْعَال) وهذا غالب فيما كان على (فَعْل)، فيقال: حِبّ وَأَحْبَاب، كما يُقال: ضِدّ وأضداد، ونِدّ وأنداد. قال الرضي: "اعلم أنّ ما كان على (فَعْل) فإنّه يُجمع في القلة على (أَفْعَال) في الصحيح، كما في الأجوف وغيرهما"^(١٢٤).
٣. جمعه على (فُعُول)، نحو حِبّ وَحُبُوب، كَضُرُس وضُرُوس، و قِرْد وقُرُود^(١٢٥).
٤. مجيئه على (فُعْلَان)، فيقال: حِبّ وَحِبَّان، كما يقال: صِنُو وصِنُوان، وقِنُو وقِنُوان، ويجوز ضم (الفاء) فيقال: حِبّ وَحُبَّان، كما قالوا في: ذُنْب وذُؤْبَان، وصِرْم وصُرْمَان (القليل من الإبل)^(١٢٦).

الجموع الممكنة في لفظ (حَيِّب)

من الواضح لدى علماء العربية أنّ (حَيِّب) وبعض نظائره من الصيغ المشتركة التي تأتي تارة بمعنى اسم الفاعل، وأخرى بمعنى المفعول، وقد يكون ذلك سبباً في مجيئها من أوزان متعددة من جمع التكسير، ومن هذه الجموع:

١. أفعَال، فيقال: حَيِّب وَأَحْبَاب، كما يُقال: يَتِيم وأَيْتام، وشَرِيف وأشْرَاف^(١٢٧).
٢. أفعْلَة، نحو حَيِّب وأَحِبَّة، كـ "شَدِيد وأَشِدَّة".
٣. أفعِلَاء، نحو: حَيِّب وأَحِبَاء، نحو: عَزِيز وأعِزَّاء، وهو قياس فيه؛ لأنه على (فَعِيل) مُضَعَّف العين، وما كان شأنه كذلك يجمع على أفعِلَاء^(١٢٨). ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ﴾ المائدة: ١٨
٤. يجوز أن يكون على (فِعَال)، فيقال: حَيِّب وَحِبَاب، كما قالوا: خَفِيف وخِفَاف، وثَقِيل وثِقَال. قال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ التوبة: ٤١

المحور الرابع: اللغات الواردة في مادة الحُب.

إنَّ الباحث فيما ذكره علماء العربية القدامى عن اختلاف العرب في التفاعل بين الأصوات حين يتأثر بعضها ببعض يرى أنهم استعملوا مصطلح (اللغة)، ولم يستعملوا مصطلح (اللهجة) على النحو الذي تُعرف به عند علماء اللغة المحدثين، ويوضح الدكتور إبراهيم أنيس تعريف كلا المصطلحين، والفرق بينهما في قوله: "اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي: مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها... وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فالفرق بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها... وقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة "اللغة" حيناً، وبـ "اللحن" حيناً آخر"^(١٢٩).

أمَّا اللغات الواردة في مادة (الحُب) فقد جاءت على ضربين:

- اللغات المنسوبة إلى أصحابها. وهي بمثابة اللغات المحلية التي لا تتجاوز أصحابها، ولا تهجر مكانها إلا تقليداً أو افتراضاً أو استحساناً، فهي بمنزلة اللغة الخاصة.
- اللغات غير المنسوبة الشائعة بين العرب. وهي أكثر شيوعاً في لسان العرب، حيث لم تختص بقبيلة أو بيئة.

١. اللغات المنسوبة.

- لغة سُليَم، تُخَفَّف المضاعف بحذف أحد المثليين، فتقول: أَحَبْتُ في أَحَبِّتُ بحذف إحدى الباءين، ونقل حركة الباء الأولى إلى الحاء، فسكنت ثم حذفت تخفيفاً، حكى ذلك عنهم اللحياني، وذلك كما قالوا في: ظَنَنْتُ ظَنَنْتُ^(١٣٠).

- لغة هُدِيل، حَابِيَّتُهُ بصيغة المُفَاعَلَة، كـ "قَاتِلٌ"، ولعل (الحَبَاب) الذي ورد بمعنى (الحُبِّ) مصدر هذه اللغة ودليل عليها، ولم يُصَرِّح بهذه اللغة فيما بين يدي من مصادر العربية سوى الفيومي في المصباح^(١٣١).

- لغة كسر حرف المضارعة، وقد ورد ذلك في (أَحَبُّهُ). عن سيبويه: أَحَبُّ وإِحَبُّ أَتَّبَعُوا^(١٣٢). وهو شاذ^(١٣٣). وهذه اللهجة سمّاها ابن جني ثلثة بهراء^(١٣٤)، إذ يقولون: تَعْلَمُونَ، وَتَفْعَلُونَ، وَتَصْنَعُونَ، بكسر أوائل الحروف، وروى الكسائي بأنَّ كسر الياء في يَحِبُّ وَتَحِبُّ وَنَحِبُّ وإِحِبُّ هي لغة بعض قيس^(١٣٥).

أ- لغة تميم وأسد وقيس بفتح الياء من (يَحِبُّ)، وعليه جاءت قراءة أبو رجاء العطاردي (فَاتَّبَعُونِي يَحْبِبُكُمْ اللهُ)^(١٣٦).

٢. اللغات غير المنسوبة.

- يكاد يجمع العلماء على أنَّ (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) لغتان في مادة (الحُبِّ)، نحو: "حَبَّه وَأَحَبَّه"، غير أنَّ الثانية أكثر دوراناً وأفصح استعمالاً، فقد حكى سيبويه: حَبِيَّتُهُ وَأَحَبِيَّتُهُ بمعنى^(١٣٧).

- حكى الأزهري عن الفراء قال: "حَبِيَّتُهُ أَحَبُّهُ بالكسر لغة"، ولم ينسبها لأحد، وهي عند الكسائي لغة تميم وأسد وقيس كما مرَّ آنفاً^(١٣٨).

- ذكر صاحب المصباح: "و (حَبِيَّتُهُ أَحَبُّهُ) من باب (تَعَبَ) لغة"^(١٣٩).

المحور الخامس: الأساليب النحوية الواردة في مادة (الحُبِّ).

جاء في مادة (الحُبِّ) من أساليب التعجب والمدح والذم، ما قد وضحتها النحاة

في أبوابها. وبيان ذلك فيما يلي:

- أسلوب التعجب.

جاءت مادة (الحُبّ) من هذا الباب على صيغتين: إحداهما قياسية، والأخرى: بالتحويل إلى باب (فَعَلَ).

فما جاء على القياس من الثلاثي (حَبّ) نحو: مَا أَحَبَّهُ إِلَيَّ، وما أَحَبَّنِي لَهُ. على وزن (مَا أَفْعَلَهُ) ^(١٤٠).

ومن غير القياس: بالتحويل إلى (فَعَلَ) في قولهم: "حَبّ بفلان، أي: مَا أَحَبَّهُ إِلَيَّ" ^(١٤١)، قاله الأصمعي، وقال أبو عُبيد معناه: حُبّ بفلان بضم الباء ثم سُكِّنَ وأُدْغِمَ في الثانية، ومثله قال الفراء، وأنشد:

وَزَادَهُ كَلْفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مَنَعْتَ وَحَبًّا شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا

قال: وموضع "ما: رفع، أراد: (حُبّ) فأدغم، وأنشد شَمِرُ:

وَلَحَبَّ بِالطَّيْفِ الْمَلَمَّ خِيَالَا

أي: مَا أَحَبَّهُ إِلَيَّ، أي: أَحَبُّ بِهِ ^(١٤٢).

ويجوز في (الحاء) من (حَبّ) لغتان: فتح الفاء - كما في الشواهد السابقة - وضمها، فيقال: (حُبّ) ^(١٤٣).

"وهذه الصيغة مشتركة بين التعجب والمدح للمبالغة، وهي بهذه الدلالة تفيد تمكّن الوصف في صاحبه، حتى أصبح سجيّة فيه" ^(١٤٤).

- أسلوب المدح والذم.

لم يرد من مادة (الحُبّ) للمدح إلا صيغة التحويل التي سبق بيانها، حيث يُقال: حُبّ إِلَيَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ، ومنه قول ساعدة ^(١٤٥):

هَجَرْتُ غَضُوبُ وَحُبٌّ مَنْ يَتَجَبَّبُ

وَعَدْتُ عَوَادَ دُونَ وَلِيكَ تَشْعَبُ

وقد جاء في رواية الجوهرى (حَبّ) بالضم؛ لأنه أراد: حَبَبَ فأدغم ونقل الضمة إلى الحاء؛ لأنه مدح^(١٤٦).

ومن أساليب المدح تركيب (حَبّ و ذا)، فقالوا في المدح: حَبَّذا زيدٌ، وقالوا في الذم: لاحَبَّذا زيدٌ. وهذا التركيب قد اختلف فيه النُّحاة على مذاهب عدة:

أولها: ذهب بعض النحاة ومنهم: المبرد، وابن السَّراج والسَّيرافي إلى أنَّ الغالب عليها الاسمِيَّة، فجعلوا (حَبَّذا) اسماً مرفوعاً على الابتداء، وما بعده خبره: المحبُّوب زيد أو العكس، فعُلِّب الاسم لشرفه، كما أنَّ التركيب وجد في الأسماء نحو: بعْلَبْك ورَامَ هُرْمُز وخمس عشر، ولا يوجد في الأفعال ما هو مركب؛ ولكثرة ندائه، نحو قولهم: ياحَبَّذا^(١٤٧).

والثاني: غلَّبَ جانب الفعلِيَّة؛ لتصدر (حَبّ) الجملة وهو الفعل، والمخصوص هو الفاعل^(١٤٨) ونُسِبَ هذا الرأي للأخفش وأبي بكر الخطاب^(١٤٩). "وقال الربيعي: "ذا" زائدة، كما في: ماذا صَنَعْتَ، والمخصوص فاعل (حَبّ)"^(١٥٠).

القول الثالث: لا يُغَلَّبُ أحد الجزأين على الآخر، بل يبقى كل واحد منهما على ما كان قبل التركيب استصحاباً للأصل، فـ (حَبّ) فعل ماضٍ، و (ذا) اسم إشارة فاعله، وهذا ظاهر مذهب سيبويه - رحمه الله - حيث يقول: "وزعم الخليل - رحمه الله - أنَّ (حَبَّذا) بمنزلة: حَبّ الشيء، ولكن (ذا) و (حَبّ) بمنزلة كلمة واحدة نحو: (لولا) وهو اسم مرفوع، كما تقول: يا بنَ عمِّ، فالعمّ مجرور، ألا ترى أنك تقول للمؤنث: (حَبَّذا)، ولا تقول: حَبَّذِه؛ لأنه صار مع (حَبّ) على ما ذكرت لك، وصار المذكر هو اللازم؛ لأنه كالمثل"^(١٥١).

فهذه جملة الآراء في (حَبَّذا) ويرجع أصلها إلى قولين: (التركيب وعدمه)، وينشأ من ذلك قولان: أحدهما: فعلية الجميع، والآخر اسميته.

ويبدو لي أنّ الرأي القائل بعدم التركيب له وجاهته؛ لأنّ فيه إقرار كلّ من اللفظين على ما كان عليه قبل التركيب، كما لا يتوجه إليه اعتراض كالمذهبين السابقين.

ومّا تقدم يتبيّن أنّ: صيغة (حَبّ) المحوَّلة إلى باب (فَعَلَ) يجوز فيها أنْ تحمل دالّتين مشتركتين بين التعجب والمدح للمبالغة فيهما، وكذلك الشأن لكل فعل من الأبواب الصرفية إذ يجوز تحويله إلى باب (كَرَّمَ)؛ لإفادة التعجب والمبالغة في المدح.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد.

فقد ظهر لي بعد الدراسة والبحث النتائج الآتية:

- لم يُعرّف اللغويون معنى (الحُبّ) صراحة، بل فسّروه بالحمل على النقيض تارة وهو (البُغض)، وأخرى على مرادفه وهو (الوُد).
- الفعل المزيد (أحبّ) أكثر استعمالاً من الثلاثي (حبّ).
- جاء الفعل الثلاثي (حبّ) من أغلب أبواب الثلاثي الستة، إذ ورد السماع به في أربعة منها:
- (فَعَلَ يَفْعُل) على خلاف بابه، و (فَعَلَ يَفْعُل) على سبيل التجانس والإتباع، و (فَعَلَ يَفْعُل) من قبيل حمله على نظيره (وَدّ)، ومن (فَعَلَ يَفْعُل)؛ لأنّ الحبّ من الغرائز التي تتصف باللزوم والثبات في قلب المحب.
- جاء من مادة (الحُبّ) المزيد الثلاثي بحرف على ثلاثة أوزان: (أَفْعَل) أحبّ، و (فَعَلَ) حَبَّبَ، و (فَاعَلَ) حَابَّبَ على لغة هذيل. وورد من المزيد بحرفين على وزنين: (تَفَعَّلَ) تَحَبَّبَ، و (تَفَاعَلَ) تَحَابَّبَ. ومن المزيد بثلاثة أحرف جاء على وزن واحد وهو (اسْتَفْعَلَ) اسْتَحَبَّ.
- أهملت العرب اسم الفاعل القياسي من الثلاثي (حبّ)، واستغنت عنه باسم الفاعل من غير الثلاثي (مُحِبّ)، وعلّة ذلك: أنّ الرباعي أكثر استعمالاً من الثلاثي.

- أُسْتُعِير اسم المفعول (مُحْبُوب) من الثلاثي (حَبَّ) للمزيد (أَحَبَّ)، كما أُسْتُعِير اسم الفاعل من المزيد (مُحِبَّ) للثلاثي؛ وذلك لأنَّ (فَعَلَ و أَفْعَلَ) بمعنى، والشيئان إذا تقاربا تقارضا.
- الجموع الواردة من مادة (الحُبّ) لا تتجاوز جمع التكسير وهي سماعيّة.
- وقد جاء (الفُعْل) على (الحُبّ) مصدرًا للثلاثي (حَبَّ) وللمزيد (أَحَبَّ)، فلم يُسْتَعْمَل مصدرهما القياسي، فلم يقولوا: من (حَبَّ حَبًّا)، ولا من (أَحَبَّ إِحْبَابًا).
- يحتمل أن يأتي (الحِبَاب) مصدرًا مجازيًا لـ (حَبَّ) و (أَحَبَّ) حيث لم تستعمل العرب مصدريهما القياسيين (حَبًّا) و (إِحْبَابًا)، ولمّا كان ذلك كذلك استعارت (الحِبَاب) لـ (حَبَّ) و (أَحَبَّ)، ووجه ذلك أنهما يدلان على المشاركة مثلهما في ذلك مثل (فَاعَلَ) حيث لا يقع (الحُبّ) في الغالب من جانب واحد، وإنّما يقع من جانبيين، فلمّا كان ذلك جاء مصدره على (الفِعَال) حملًا على المعنى.
- من الصيغ المشتركة لفظة (حَيِّب)، إذ له دلالات متعددة، فقد جاء بمعنى اسم الفاعل، واسم المفعول، وقد جاء على جمع التكسير من أربعة أوزان هي: (أَفْعَال) حَيِّب: أَحْبَاب، و(أَفْعَلَة) حَيِّب: أَحِبَّة، (أَفْعَلَاء) حَيِّب: أَحِبَّاء، و(فِعَال) حَيِّب: حِبَاب.
- وردت اللغات من (حَبَّ) على ضَرْبَيْن: لغات منسوبة، ولغات غير منسوبة.
- جاء استعمال مادة (الحُبّ) في النحو للدلالة على التعجب بصيغته القياسية (ما أَفْعَلَه)، وبالتحويل إلى (فَعَلَ)، وفي التحويل تحتمل دلالتى التعجب، والمدح أو الذم.
- أظهرت الدراسة ظواهر متعددة لمادة (الحُبّ) منها: ظاهرة الحذف، حذف الهمزة من مضارع (أَحَبَّ)، والتغليب في (حَبَّدَا)، والحمل على التّظير كحمله على (وَدَّ)، والحمل على النقيض (بَعْض). والاستغناء حيث أُسْتُغْنِيَ باسم الفاعل من غير الثلاثي فقالوا: حَبَّ فهو مُحِبَّ، كما أُسْتُغْنِيَ باسم المفعول من الثلاثي فقالوا:

أَحَبُّهُ فهو مَحْبُوب. والترادف مثل: فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى، وتعدد الاستعمال مثل صيغة (أَفْعَلَ) فقد وردت تعجبا، وتفضيلا، وصفة مشبهة واسما، والتداخل والتجاذب كالحُبِّ والفُلُك فقد تداخل فيهما المفرد والجمع. وتوهم الحذف كما في احتمال توهم حذف همزة (أَحَبَّ) فصاغ مجيء اسم المفعول على مُحْبُوب.

- وقد ورد في هذا البحث كثير من العلل الصرفية، نحو: طرد الباب على وتيرة واحدة، وكثرة الاستعمال، واستصحاب الأصل، وكراهية توالي الأمثال.
- كشف البحث عن شيء من أسرار العربية التي أبدت الباحثة فيه نوعاً من الاجتهاد ووجهة النظر؛ اعتماداً على قواعد التوجيه المعروفة عند علمائنا، مثل: تعليل مجيء حَبَّ من باب نفع؛ طلباً للخفة والتجانس، وتعليل إمكان مجيء الفعل (حَبَّ) من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) للدلالة على المغالبة، ومثله تعليل مجيء (حَبَّ) من باب (فَرَحَ يَفْرَحُ)؛ حملا على نظيره (وَدَّ يَوَدُّ).

الهوامش والتعليقات:

- (١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٣، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ٢/ ٢٦، ٢٧.
- (٢) وعبر عنه الأزهرى بقوله: "الحُبّ: نقيض البُغْض". الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، حققه عبد السلام محمد هارون، وراجعته محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت): ٨/ ٤. ويتكرر هذا المعنى من معجم لآخر باختلاف يسير في الألفاظ.
- (٣) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، حققه وقدم له د. رمزي منير بعلبكي، ط١، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م: ١/ ٦٤.
- (٤) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مصطفى السقا و حسين نصار، ط١، ١٣٧هـ - ١٩٥٨م: ٢/ ٥٤٢.
- (٥) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، لبنان - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٨٢٢.
- (٦) ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١، لبنان - بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ٧/ ١٢٠.
- (٧) ينظر: الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق على هاللي، ط٢، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ٢/ ٢١٤.
- (٨) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، بيروت - لبنان، الهدى للطباعة والنشر، د. ت: ٣٨٩/ ٢.
- (٩) وعند تعريفهم لـ (الود) قالوا: "وَدِدْتُ الرجل أَوْدُهُ وُدًّا: إذا أَحَبَبْتُهُ" الجوهري، إسماعيل حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، القاهرة، دار العلم للملايين، ١٤٠١هـ - ١٩٨٤م: ٥٤٩. كما يأتي بمعنى التَّمَنِّي.
- (١٠) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، بدون طبعة، القاهرة، دار العلم والثقافة، (د. ت): ١٢٢.

(١١) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، خرج آياته ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، ط ٣، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ: ٣٣.

(١٢) كذلك ورد الكسر والضم في الأفعال، كما في قولهم: سَرَعَ إلى الشيء وسَرَعَ من بابي (فَرَحَ) و (كَرَّمَ) وصَقَبَ الشيء وصَقَبَ، بمعنى: قُرِبَ. حيث الكسر والضم أخوان لثقلهما. ينظر: ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجباني، ثلاثيات الأفعال المقول فيها أفعَل أو أفْعِل بمعنى واحد وزوائده، لابن مالك، أبو عبدالله محمد ابن عبد الله، ولأبي الفتح محمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي، تحقيق سليمان العايد، بدون طبعة، القاهرة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٩٠م: ٤٨، ٥٣.

(١٣) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٩ / ٢٧٨.

(١٤) قد يكون ذلك على توهم حذف الزائد وهو الياء، فيصيران: (حَبَبٌ) و (وَدَدٌ)، على وزن فَعْلٌ، وفَعْلٌ مما ينقاس في أفعال، نحو كَيْدٌ وأَكْبَادٌ.

(١٥) الغزالي، أبو حامد محمد محمد محمد، إحياء علوم الدين، صححه محمد بن مسعود الأحمدي، ط ١، بيروت - لبنان، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ١٣٣٢.

(١٦) ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ١٦، ١٧.

(١٧) عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، بدون طبعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م: ١٨٠.

(١٨) ينظر: المصدر السابق.

(١٩) أبوهديمة، طلبية عبدالستار، علم الأصوات، بدون طبعة، دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢٩هـ: ٢٠٦.

(٢٠) ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي، بدائع الفوائد، اعتنى به وراجعته: محمد عبدالقادر الفاضلي، د. أحمد عوض أبو الشباب، ط ١، بيروت - لبنان، المكتبة العصرية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ١٠٣ / ٢.

- (٢١) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٥، دار المعارف، د. ت: ٣٠٢.
- (٢٢) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، ط ٣، لبنان - بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م: ١ / ٣٦.
- (٢٣) ينظر: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، فعلت وأفعلت، تحقيق: د. رمضان عبدالنواب وصبيح التميمي، بدون طبعة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م: ٦٤. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، بدون طبعة، لبنان - بيروت، عالم الكتب، (د. ت): ١٣٨ / ٧.
- (٢٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١ / ٢٨٩.
- (٢٥) الأزهرى، تهذيب اللغة: ٤ / ٨.
- (٢٦) ابن يعيش، شرح المفصل: ١٣٨ / ٧. الزبيدي، تاج العروس: ٢ / ٢١٤.
- (٢٧) من غير نسبة، ينظر: السرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري، كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد شرف، بدون طبعة، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م: ١ / ٣٢٧.
- (٢٨) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي، المخصص، تحقيق: مصطفى السقا و حسين نصار، ط ١: ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م: مج ٤، ج ١٤ / ٢١٥.
- (٢٩) معناه: مَنْ أَحَبَّ فَطِنَ واحْتَالَ لِمَنْ يُحِبُّ، والطَّبُّ: الحِثْق. ينظر: الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط ٢، بغداد، ١٩٨٧ م، طباعة دار الشؤون الثقافية: ٤٣٤. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري، مجمع الأمثال، قدم له وعلق عليه: نعيم حسين زرزور، بدون طبعة، بيروت - لبنان دار الكتب، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: ٢ / ٣٥٧.
- (٣٠) ابن القطّاع، أبو القاسم علي بن جعفر السّعدّي، كتاب الأفعال، ط ١، بيروت - لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م: ٢.

- (٣١) أبوحيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط ١، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣١٣هـ - ١٩٩٣م: ١/ ٦٤٤.
- (٣٢) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: ١/ ٣٦٧. ابن خالويه، الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، بدون طبعة، لبنان - بيروت، عالم الكتب، (د. ت): ٢٦، أبو حيان، البحر المحيط: ٢/ ٤٤٨.
- (٣٣) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: ١/ ٣٦٧.
- (٣٤) غير منسوب، ينظر: الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار، ط ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٠م: ١/ ١٣٥.
- (٣٥) السرقسطي، كتاب الأفعال: ١/ ٥٧. الجوهري، الصحاح: ١/ ١٠٥.
- (٣٦) الجوهري، الصحاح: ١/ ١٠٥.
- (٣٧) ينظر: الفيومي: أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، بدون طبعة، دار الفكر، د. ت: ٢/ ١٥٥.
- (٣٨) ينظر: السرقسطي، الأفعال: ١/ ٥٧، ٥٨. ابن القطاع، كتاب الأفعال: ١/ ٩.
- (٣٩) ابن سيده، المخصص: مج ٤ ج ١٤/ ١٢٣. الرضي، محمد بن الحسن الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وزميليه، بدون طبعة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م: ١/ ١١٧، ١١٨.
- (٤٠) نرى ذلك شائعا في اللهجة الحجازية إذ يقولون: (يُحْبُّه) من باب (نَصَرَ).
- (٤١) وهو أن يغلب أحد الأمرين الآخر في معنى المصدر. ينظر: الرضي، شرح الشافية: ١/ ٧٠.
- (٤٢) للعلماء في هذه المسألة مذهبان: أحدهما - وهو رأي أكثرهم - أنها قياس في كل فعل ثلاثي متصرف خال من ملزم الكسر. ينظر: ابن جني، الخصائص: ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦ وينظر: حاشية شرح الشافية للرضي: ١/ ٧١.. والمذهب الثاني: مذهب الرضي أنها مقصورة على السماع. ينظر: الرضي، شرح الشافية: ١/ ٧١.
- (٤٣) ينظر: الرضي، شرح الشافية: ١/ ١٨٨، ١١٩.

- (٤٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١/٢٩٢. الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٨.
- (٤٥) ينظر: المصدران السابقان.
- (٤٦) وروى الجوهري في قول ساعدة (حُب) بضم الحاء فقال: "أراد حُبَّ فأدغم ونقل الضمة إلى الياء؛ لأنه مدح" ونسب هذا القول للفراء. ينظر: الصحاح: ٢/٢١٨.
- (٤٧) وهي لغة مسموعة كما في: قَنَطَ يَقْنُطُ، ينظر: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، ط ٣، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٢/٣١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها شواذ القراءات، تحقيق: على النجدي ناصف وآخرون، بدون طبعة، القاهرة، د. ت: ١/١٢١.
- (٤٨) من ذلك إتيان الفتحة المفتحة في جمع (هَمْزَة) فقالوا: (هَمْزَات)، وأتبعوا الكسرة الكسرة في كِسِرَات، وأتبعوا الضمة الضمة في جُمَلَات، هذا في كلمة، ومن أمثلة الكلمتين: هذا جُحْرُ ضَبَّ خَرِبٍ.
- (٤٩) ينظر: أبو البركات ابن الأنباري، عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه كتاب: الانتصاف من الإنصاف، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، (د. ت): ٧٥.
- (٥٠) ينظر: الرضي، شرح الشافية: ١/٧١.
- (٥١) الفيومي، المصباح المنير: ١١٧.
- (٥٢) الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٧.
- (٥٣) الرضي، شرح الشافية: ١/٧٧.
- (٥٤) المصدر السابق.
- (٥٥) ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/١٣٨، ١٣٩. وقد اعترض عليه ابن يعيش بأن (فَعَلَ) لازم (و حَبَّ) متعد.
- (٥٦) ابن سيده، المخصص: مج ٣ ج ١٢/٢٤٣. وينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١/٢١٩.

- (٥٧) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٤.
- (٥٨) البخاري، للإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، ط ١، دمشق - بيروت - دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ص ١٤، الحديث رقم (١٣). كتاب الإيمان
- (٥٩) المصدر السابق: ص ١٤، الحديث رقم (١٦) كتاب الإيمان.
- (٦٠) ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ٤/٦١.
- (٦١) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٣/٢١٣.
- (٦٢) ينظر: أبو البركات ابن الأنباري، الإنصاف: ١١، ١٢، ٢٢٩، ٧٨٥. العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، اللباب في علل الإعراب والبناء، تحقيق غازي مختار طليمات، ط ١، دار الفكر سوريا، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م: ٢/٣٥٨.
- (٦٣) الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر، اللالئ المشورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، المحقق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ١٨١.
- (٦٤) الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٨.
- (٦٥) ينظر: الفيومي، المصباح المنير: ١١٧.
- (٦٦) ينظر: الرضي، شرح الشافية: ١/٩٩.
- (٦٧) البخاري، للإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ٢٥٦هـ صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤، المملكة العربية السعودية - الجبل الصناعيّة، مكتبة الدليل، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م: ٢٢١. باب قبول الهدية.
- (٦٨) ينظر: الرضي، شرح الشافية: ١/١٠٤.
- (٦٩) الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٩.
- (٧٠) ينظر: الرضي، شرح الشافية: ١/١١٠.

- (٧١) أبو حيان، البحر المحيط: ٢٣/٥.
- (٧٢) المصدر السابق: ٣٩٣/٥.
- (٧٣) المصدر هو: مادل على الحدث دون الزمن، قال ابن مالك:
- المصدر اسم ماسوى الزمان مِنْ مَذْلُولِي الفعل كَأَمْنٍ مِنْ أَمِنَ.
- (٧٤) إِلَّا أَنْ (الْوَدَّ) مثلث الفاء، و (الحُبّ) لم يرد فيه إلا الضم والكسر.
- (٧٥) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: ١٠٣/٢.
- (٧٦) ينظر: ابن القوطيّة، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، كتاب الأفعال، تحقيق: علي فودة، ط٢، القاهرة. مكتبة الخانجي، ١٩٩٣م: ٣. السرقسطي، كتاب الأفعال: ٥٧/١. العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بدون طبعة، مكتبة عيسى البابي الحلبي، د. ت: ١٤٤/١. الزبيدي، تاج العروس: ٢١٤/٢.
- (٧٧) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: ١٤٤/١.
- (٧٨) ابن قيم الجوزية، الفوائد: ١٠٣/٢.
- (٧٩) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: ٢٥٤/١.
- (٨٠) السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن، نتائج الفكر، تحقيق د. محمد إبراهيم البناء، دون طبعة أو تاريخ: ٣٦٤.
- (٨١) من غير نسبة، ينظر: السهيلي، نتائج الفكر ٣٦٤. ابن يعيش، شرح المفصل: ٤٨/٦، ٩/ ١٥٧.
- (٨٢) سيويه، الكتاب: ٦/٤، ٧.
- (٨٣) المصدر السابق: ٦٤/٤.
- (٨٤) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٢١٤/٢.
- (٨٥) كما جاء مصدرًا لـ (فَعَلَّ)، وبه قُرئ قوله تعالى: (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا)، قرئ بالتخفيف (كِذَّابًا). ينظر: الفراء، معاني القرآن: ٢٢٩/٣.
- (٨٦) ينظر: الفيومي، المصباح المنير: ١١٧.

- (٨٧) ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، بدون طبعة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م: ٧٢.
- (٨٨) المصدر السابق: ٢٥٤.
- (٨٩) ابن بري، أبو محمد عبدالله المصري، التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مراجعة عبدالسلام هارون، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م: ٥٨/١.
- (٩٠) عضيمة، عبد الخالق محمد، دراسات في أسلوب القرآن، بدون طبعة، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ٣٥/٤.
- (٩١) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: ٥٤/١.
- (٩٢) وكذلك يحتمل (الفُعَال) أن يكون جمعا في المعنى على غير قياس، نحو: الرُفَات، والرُكَام، وماشابه ذلك.
- (٩٣) الجوهري، الصحاح: ٢١٣/٢.
- (٩٤) المصدر السابق: ٢١٣/٢ - ٢١٩.
- (٩٥) ينظر: الجوهري، الصحاح: ٢٢١/٢.
- (٩٦) ينظر: أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف: ٢٣٥.
- (٩٧) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: ١٠٤/٢.
- (٩٨) الزبيدي، تاج العروس: ٢٢٥/٢.
- (٩٩) ابن منظور، لسان العرب: ٢٩٠/١.
- (١٠٠) الزبيدي، تاج العروس: ٢٢٥/٢.
- (١٠١) ابن سيده، المخصص: مج ٣ ج ١٢ / ٢٤٣.
- (١٠٢) ابن منظور، لسان العرب: ٢٩٠/١.
- (١٠٣) الأزهرى، تهذيب اللغة: ٨/٤.

- (١٠٤) الزبيدي، تاج العروس: ٢/ ٢٢٥.
- (١٠٥) المصدر السابق: ٢/ ٢١٤.
- (١٠٦) في تهذيب اللغة: ٨/ ٤.
- (١٠٧) الزبيدي، تاج العروس: ٢/ ٢١٤.
- (١٠٨) ينظر: المصدر السابق.
- (١٠٩) في البحر المحيط: ٥/ ٢٨٣.
- (١١٠) ابن جني، المحتسب: ٢/ ٢٩٩.
- (١١١) أبوحيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م: ٥/ ٢٣٢.
- (١١٢) ولليت رواية أخرى: وَحَبَّ شَيْئًا (على معنى التعجب). ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ٢٩٢/ ١.
- (١١٣) ويحتمل أن يكون اسم جمع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١/ ٢٩٠.
- (١١٤) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٢/ ٢١٥.
- (١١٥) هذا بحث جد دقيق حيث ورد الاتفاق بين الجمع والمصدر في صيغ كثيرة من ذلك: قيام وقعود، حيث يحتملان أن يكونا مصدرين لـ (قام، وقعد)، أو جمعين لـ (قائم وقاعد).
- (١١٦) ينظر: ابن جني، الخصائص: ١/ ١٦٧، ٣/ ٦٤. الرضي، شرح الشافية: ٢/ ٩٧.
- (١١٧) ينظر: ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١.
- (١١٨) ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، ط٢، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ١٨٥/ ٢.

- (١١٩) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، شرحه علي قاعور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ٤١٣. وينظر: ابن جني، الخصائص: ٢/ ٩٤، ٩٥، ١٠١.
- (١٢٠) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد: ١٠١/٢.
- (١٢١) الرضي، شرح الشافية: ٩٤/٢.
- (١٢٢) ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة: ٣/ ١٣٣٦. الرضي، شرح الشافية: ٩٣/٢، ٩٤.
- (١٢٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١/ ٢٩٠.
- (١٢٤) في شرح الشافية: ٩٣/٢.
- (١٢٥) المصدر السابق.
- (١٢٦) المصدر السابق.
- (١٢٧) ينظر: ابن جني، الخصائص: ٥٣/٣.
- (١٢٨) ينظر: الفيومي، المصباح المنير: ١١٧.
- (١٢٩) أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م: ١٦.
- (١٣٠) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٢/ ٢١٣.
- (١٣١) ص: ١١٧.
- (١٣٢) أي: من باب الإتياع، فأُتبع كسر الفاء بكسر العين.
- (١٣٣) ينظر: ابن سيده، المخصص: مج ٣، ج ١٢/ ٢٤٢.
- (١٣٤) ينظر: ابن جني، الخصائص: ١١/٢.
- (١٣٥) ينظر: النحاس، إعراب القرآن: ١/ ٣٦٧.
- (١٣٦) ينظر: المصدر السابق.
- (١٣٧) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٢/ ٢١٤.
- (١٣٨) ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة: ٤/ ٨. الجوهري، الصحاح: ٢/ ٢١٣، ٢١٤.

- (١٣٩) الفيومي: ص ١١٧.
- (١٤٠) ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٧.
- (١٤١) ولعل الأصح: أَحِبُّ بفلان.
- (١٤٢) الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٦ - ٢١٧.
- (١٤٣) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/١٤١.
- (١٤٤) السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ط ٣، عمّان - الأردن، دار الفكر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ٤/٢٤٧.
- (١٤٥) الجوهري، الصحاح: ٢/١٠٦، وجاء في رواية (وَحَبٌّ مَنْ يَتَجَنَّبُ) بفتح الحاء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١/٦٥٠، و الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٨.
- (١٤٦) ينظر: الجوهري، الصحاح: ٢/١٠٦. و الزبيدي، تاج العروس: ٢/٢١٨.
- (١٤٧) وقد اعترض عليهم ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني، في شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط ١، دار هجر للطباعة والتوزيع: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ٣/٢٣ - ٢٤. وينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، بدون طبعة، عالم الكتب، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م: ٢/١٤٥. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط ٣، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ١/١٥٥. ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، بدون طبعة، د. ت: ١/٦١٠.
- (١٤٨) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل: ٧/١٤١. ابن عصفور، شرح الجمل: ١/١٦٠. الرضي، محمد بن الحسن الاسترابادي، شرح الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، بدون طبعة، منشورات جامعة بنغازي، د. ت: ٤/٢٥٦.
- (١٤٩) ينظر: الأزهري، خالد بن عبدالله، التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢/٨٩.

(١٥٠) الرضي، شرح الكافية: ٢٥٦/٤.

(١٥١) سيويه، الكتاب: ١٨٠/٢. ووافقه عدد من النحويين، ينظر: ابن خروف، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: سلوى محمد عمر عرب، ط١، جامعة أم القرى، منشورات معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ: ٥٩٩/٢. ابن مالك، شرح التسهيل: ٢٣/٣.

قائمة المصادر والمراجع

- الأزهرى، خالد بن عبدالله، التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، حققه عبدالسلام محمد هارون، وراجعته محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت).
- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط ٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم:
- الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط ٢، بغداد، ١٩٨٧م، طباعة دار الشؤون الثقافية.
- شرح القصائد السبع الطوال، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٥، دار المعارف، د. ت.
- البخاري، للإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ٢٥٦هـ.
- صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤، المملكة العربية السعودية - الجيل الصناعات، مكتبة الدليل، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- صحيح البخاري، ط ١، دمشق - بيروت - دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ابن بري، أبو محمد عبدالله المصري، التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، مراجعة عبدالسلام هارون، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.
- أبو البركات ابن الأنباري، عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه كتاب: الانتصاف من الإنصاف، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان:
- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٢، بيروت - لبنان، الهدى للطباعة والنشر، د. ت.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها شواذ القراءات، تحقيق: على النجدي ناصف وآخرون، بدون طبعة، القاهرة، د. ت.

- الجوهري، إسماعيل حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٣، القاهرة، دار العلم للملايين، ١٤٠١هـ - ١٩٨٤م.
- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف:
 - ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، ط ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
 - البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط ١، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ابن خروف، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: سلوى محمد عمر عرب، ط ١، جامعة أم القرى، منشورات معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ .
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد:
 - ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
 - مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، بدون طبعة، لبنان - بيروت، عالم الكتب، (د. ت).
- ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، بدون طبعة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، حققه وقدم له د. رمزي منير بعلبكي، ط ١، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- الرضي، محمد بن الحسن الاسترابادي:
 - شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وزميليه، بدون طبعة، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
 - شرح الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، بدون طبعة، منشورات جامعة بنغازي، د. ت.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق على هلاللي، ط ٢، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، فعلت وأفعلت، تحقيق: د. رمضان عبدالنواب وصبيح التميمي، بدون طبعة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر:
- اللالئ المثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، المحقق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ط ٣، عمان - الأردن، دار الفكر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط ٣، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- السرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري، كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد شرف، بدون طبعة، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن، نتائج الفكر، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا (بدون طبعة أو تاريخ).
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي:
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مصطفى السقا و حسين نصار، ط ١: ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- المخصص، القاهرة، بدون طبعة، دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، ط ٢، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني العلوي، أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ط ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، بدون طبعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.

- ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، بدون طبعة، د. ت.
- عضيمة، عبد الخالق محمد، دراسات في أسلوب القرآن، بدون طبعة، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين:
 - التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بدون طبعة، مكتبة عيسى البابي الحلبي، د. ت.
 - اللباب في علل الإعراب والبناء، تحقيق غازي مختار طليمات، ط ١، دار الفكر سوريا، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الغزالي، أبو حامد محمد محمد محمد، إحياء علوم الدين، صححه محمد بن مسعود الأحمدي، ط ١، بيروت - لبنان، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار، ط ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٠م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط ٢، لبنان - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب شرح الكبير، بدون طبعة، دار الفكر، (د. ت).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، أدب الكاتب، شرحه علي قاعور، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن القطّاع، أبو القاسم علي بن جعفر السّعدّي، كتاب الأفعال، ط ١، بيروت - لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، كتاب الأفعال، تحقيق: علي فودة، ط ٢، القاهرة. مكتبة الخانجي، ١٩٩٣ م.
- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، ط ٣، لبنان - بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي:
 - بدائع الفوائد، اعتنى به وراجعته: محمد عبدالقادر الفاضلي، د. أحمد عوض أبو الشباب، ط ١، بيروت - لبنان، المكتبة العصرية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
 - روضة المحبين ونزهة المشتاقين، خرج آياته ووضع حواشيه: أحمد شمس الدين، ط ٣، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ .
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني:
 - شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط ١، دار هجر للطباعة والتوزيع: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
 - ثلاثيات الأفعال المقول فيها أفعَل أو أفعِل بمعنى واحد وزوائده، لابن مالك، أبو عبدالله محمد بن عبد الله، ولأبي الفتح محمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي، تحقيق سليمان العايد، بدون طبعة، القاهرة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٩٠ م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، بدون طبعة، عالم الكتب، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ١، لبنان - بيروت، دار الفكر، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري، مجمع الأمثال، قدم له وعلق عليه: نعيم حسين زرزور، بدون طبعة، بيروت - لبنان دار الكتب: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، ط ٣، لبنان - بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

- أبوهديّة، طلبة عبدالستار، علم الأصوات، بدون طبعة، دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢٩هـ .
- ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة المدني، د. ت.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، بدون طبعة، القاهرة، دار العلم والثقافة، (د. ت).
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، بدون طبعة، لبنان - بيروت، عالم الكتب، (د. ت).

القصيدة الفسيفساء

قراءة في لامية الأبيوردي

د. وئام محمد أنس

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب بالدمام – جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل

القصيدة الفسيفساء قراءة في لامية الأبيوردي د. واثم محمد أنس

ملخص البحث:

يشبه النص الشعري الفسيفساء في احتوائه على مكونات وعناصر شتى، تألفت وتناسقت حتى تشكلت في نهاية الأمر نتاجاً فنياً ينتسب إلى الذات الشاعرة، لكن تلك النسبة قد مرت بمراحل حتى استقرت عند هذه الذات، وأهمها تلك العملية الاستدعائية التي تقوم بها ذاكرة المبدع فتستحضر مما قرأت من النصوص السابقة لعملية إنشاء القصيدة، ما يشكل محاور ومراكز دلالية تصلح للدوران الآن حولها. وإذا ما كانت هذه المحاور وتلك المراكز تمثل جوهر تلك العملية، فليست هي المكون الوحيد لاستقاء المبدع من خارج النص، بل هناك أيضاً الجانب الشكلي بمفرده الذي يتعرض لانتقاء المبدع ليغدو صالحاً لتوظيفه فنياً داخل النص الشعري.

وسيكون بحثي على ثلاثة محاور: أولاً: مكونات الفسيفساء (الكلمات – التراكيب – التصوير الفني – الإيقاع)، ثانياً: العلاقات الدلالية (التشاكل – التباين – التصرف)، ثالثاً: التشكل الجمالي (وهو محاولة للإجابة على سؤال، ألا وهو: كيف تشكلت تلك العناصر السابقة داخل القصيدة؟ أو كيف استطاع الشاعر أن يربط بين ما استقدمه من خارج النص وبين ما ينتسب إلى ذاته المبدعة؟ وقد رأيت الإجابة تتضح من خلال تكتيكين محوريين: الحجاج، والتوازي).

تحاول الدراسة تقديم مقارنة نصية، من خلال الإبحار في قصيدة مدحية للشاعر الأبيوردي (توفي سنة ٥٠٧ هـ).

The poem mosaic Read on for the illiterate Alabiwrdrdy

Poetic text looks like a mosaic in the components it contains various elements are combined and Tnasagt even formed in the end product of technically belongs to the self-poet , But that belonging has gone through stages until it settled at this self, the most important of those Summoned process carried out by the creative memory Evokes which it read from earlier versions of the process of creating the poem, Which constitutes hubs and centers indicative suitable for simultaneous rotation around. And whether these themes and these centers are at the heart of that process, it is not the only component creator to draw from outside the text , But there is also a formal side With all its components which is exposed to the selection of the creator to become valid employed technically within the poetic text .

It will be a research on three axes: First: Mosaic components (words - compositions - Art photography - rhythm), Second: indicative Relations (isomorphism - Contrast - act), Third: conformation aesthetic (It is an attempt to answer the question, namely: How do it shape these earlier an items within the poem? Or how could the poet that connects between what have brought from outside the text and what belongs to the same creative? I have seen the answer emerges from two Technique pivotal: the argument, and parallelism). The study attempts to provide textual approach, by sailing in a poem commendatory to Alabiwrdrdy poet (died in 507 AH) .

مقدمة:

ورد في لسان العرب مادة (فسس) الفسيس: الرجل الضعيف العقل، والفسيسفساء: ألوان تؤلف من الخرز فتوضع في الحيطان يؤلف بعضها على بعض وتُركب في حيطان البيوت من الداخل كأنه نقش مصور^(١).

عُرف المعنى العلمي للكلمة عند الرومان بـ "(opus musivum)" وهي في العادة تُطلق على العمل الفني ذي الشكل المتناسك أو الرسم المصنوع من مكعبات صغيرة الحجم، جمعت مع بعضها البعض، وغُرسَتْ في مونة تعمل على تماسكها، وهي تعطي إما شكلاً مسطحاً أو شكلاً ثلاثي الأبعاد، وتندمج معها لتعطي أشكالاً وزخارف متعددة، ويقوم فن الفسيسفساء على إيقاع اللون والخط في تكوين الوحدة التشكيلية الظاهرة والتي تسمى (البساط)، وتسمى أيضاً في اللغة اللاتينية عند الرومان *structum pavementum tesserae* ويُقصد بها الأرضية المبنية من مكعبات صغيرة وملونة إما من الحصى أو الأحجار والصخور الرخامية أو الفخار أو الزجاج أو الصدف، وهي ذات أشكال حركية تشكل زخرفة هندسية أو نباتية أو إنسانية أو حيوانية^(٢).

والنص الشعري يشبه الفسيسفساء في احتوائه على مكونات وعناصر شتى، تآلفت وتناسقت حتى تشكلت في نهاية الأمر نتاجاً فنياً ينتسب إلى الذات الشاعرة، لكن تلك النسبة قد مرت بمراحل حتى استقرت عند هذه الذات، وأهمها تلك العملية الاستدعائية التي تقوم بها ذاكرة المبدع فتستحضر مما قرأت من النصوص السابقة لعملية إنشاء القصيدة، ما يشكل محاور ومراكز دلالية تصلح للدوران الآنبي حولها. وإذا ما كانت هذه المحاور وتلك المراكز تمثل جوهر تلك العملية، فليست هي المكون الوحيد لاستقاء المبدع من خارج النص، بل هناك أيضاً الجانب الشكلي بمفرده الذي يتعرض لانتقاء المبدع ليغدو صالحاً لتوظيفه فنياً داخل النص الشعري.

وقد استقيتُ هذا المصطلح "الفسيفساء" من تشبيه جوليا كريستيفا للنص بأنه لوحة فسيفسائية، وقد رأت في هذا الصدد أن النصوص الشعرية الحداثيّة تتم صناعتها عبر امتصاصها، وفي الوقت نفسه عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصياً، ويمكن التعبير عن ذلك بأنها ترابطات متناظرة (alter junction) ذات طابع خطابي^(٣).

ومعنى ذلك أن النص الشعري لا يبدأ من فراغ، إنما يتم من خلال ديناميكية لغوية، قوامها التماهي مع النص القديم ونفيه في الوقت ذاته. وقد أطلق باختين على تلك العملية مصطلح "الحوارية"^(٤)، وذلك من حيث قيام النص المحدث بإقامة حوار في مع النص القديم، يتم من خلاله عملية تشرب لعلاقاته البنيوية، وإعادة إنتاجه في الوقت ذاته؛ ليتكيف مع سياق النص المحدث.

وقد رأيت في لامية الشاعر الأبيوردي أنموذجاً لاشتغال تلك العملية، وهو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد، من أبناء معاوية الأصغر، وينتهي نسبه إلى أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. كان من أبيورد بخراسان، وقد انتقل إلى بغداد وظل في خدمة مؤيد الملك بن نظام الملك، فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة بن منوهر ألزمه أن يهجوّه ففعل، فسعى عميد الدولة إلى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر، فأبيح دمه فهرب إلى همذان ثم إلى أصفهان حيث تولى أشرف المملكة بعد ذلك، وتوفي فجأة سنة سبع وخمسمائة. قيل أنه كان كبير النفس عظيم الهمة، لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة، وكان من دعائه في الصلاة: اللهم ملّكني مشارق الأرض ومغاربها، وكذلك قيل أنه كان يصوم النهار ويقوم الليل متبحراً في الأدب، خبيراً بعلم النسب، من تصانيفه كتاب المختلف والمؤتلف، وقبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان، وطبقات العلم في كل فن، وتعلة المشتاق إلى ساكن العراق، والدرّة الثمينة، وصهلة القارح ردّ فيه على أبي العلاء المعري في كتابه (سقط الزند)، وقيل إنه لقي عبد القاهر الجرجاني وأخذ عنه^(٥).

وتأتي القصيدة - موضوع الدراسة - في سياق اقتراح الصفي أبي المحاسن بن خلف النيرماني على الشاعر، أن ينتقل من أصفهان إلى همذان، ويقيم في ضيافته ليبي له مدرسة تكون مثابة للناس، ومظنة للاستفادة والاعتباس، فأجابه الشاعر إلى ذلك وتحول إلى همذان، وقابل ما بذله من الوعد ببناء المدرسة بشكر ومدح ضمته هذه القصيدة^(٦). وسيكون بحثي على ثلاثة محاور: أولاً: مكونات الفسيفساء، ثانياً: العلاقات الدلالية، ثالثاً: التشكل الجمالي.

أولاً: مكونات الفسيفساء.

تتألف الفسيفساء في أي نص من عدة عناصر، هذه العناصر ليس كلها من ابتكار الشاعر وإن كان هو الذي نظمها، فقد استعارت ذاكرته بعضها من نصوص سابقة على إبداعه نصه الشعري بغرض التحوير وإعادة البناء الفني، ومن أهم هذه العناصر ما يأتي:

١ - الكلمات.

كيف يحدث الحوار من خلال الكلمات؟ وهل الكلمات حكرٌ على شاعر بعينه، حتى نحكم أن التالي له قد استعار منه؟ وما معيار ذلك الحوار وتلك الاستعارة؟ "لا يقتصر الأمر على كون الكلمات قد استعملت دائماً من قبل، وكونها تحمل آثار استعمال سابق، بل إن "الأشياء" نفسها قد لومست، في حالة واحدة على الأقل من حالاتها السابقة، من قبل خطابات أخرى لا يحقق المرء في أن يصادفها"^(٧). فلسنا نستطيع أن نزعم بأن كل الكلمات داخل النص المحدث، يتناص الشاعر فيها مع ما سبقه من نصوص، وإنما هناك بعض الكلمات التي تمثل مرتكزاً لإنتاج أشكال دلالية متعددة، وبالتالي فهي تشكل نواة لإقامة علاقات دلالية في البيت الواحد أو البيتين. نرى ذلك في مطلع قصيدة الأبيوردي:^(٨)

أُتِيحتْ لداء في الفؤاد عُضالِ ربّا بالظباءِ العاطلاتِ حوالِ
وفي لسان العرب: تاح الشيء يتيح تهيأً، وأُتِيحَ له الشيء أي قُدِّرَ أو هُيئَ^(٩).
فقد شكَّلت الكلمة "أُتِيحتْ" مُنْطَلَقاً لعقد علاقات لغوية وإيحائية داخل البيت
وخارجه. فالشاعر حيص بيص يقول في وصف الخمر:^(١٠)
أُتِيحتْ لمشعوف الفؤاد مُدْلُهُ رمته الغواني عن قسيّ التصرم
ويقول النابغة الجعدي في سياق الفخر:^(١١)
أُتِيحتْ له والغمُّ يحتضرُ الفتي ومن حاجة الإنسان ما ليس لاقيا
ويقول توبة بن الحمير الخفاجي:^(١٢)
وَلَوْعُ أُتِيحتْ للفؤاد ولم تكن تُنال على عفوَ كذاك سرائره
وكذلك يقول الطرماح في حديثه عن محبوبته:^(١٣)
أُتِيحتْ له أم اللهيم وما تني على فاجع تغدو إذا لم تُروِّحِ
إنَّ صيغة البناء للمجهول جامعة لهذه الشواهد. وفي الأبيات ١، ٢، ٤ تعلق
لام الفعل "أُتِيحتْ" بذات الشاعر، وبفؤاده في ٣، لكن في بيت الأبيوردي تعلق بـ
"داء في الفؤاد عضال"، فانتساب الإتاحة للداء تزيل الفوارق بينهما: المحبوبة/ الداء،
كأنها تحولت لداء في نفس الشاعر، وليته داء مؤقت إنما هو مزمّن لا يزول أبد الدهر،
والأكثر من ذلك أن الفعل "أُتِيحتْ" لا ينتسب إلى المحبوبة كما في الأبيات الأربعة، إنما
ينتسب إلى الرُّبّا التي تحوي ظباء، وهذه الرُّبّا بدورها تحولت إلى مثير استدعت ذكريات
الشاعر مع محبوبته، ولا شك أن عدم المباشرة في انتساب الفعل للذات، قد مثّل لنا
تلك المسافات التي تفصل بين الشاعر ومحبوبته، وبالتالي تلك المعاناة التي أضنت
الشاعر وأورثته داء ليس له دواء.

ومن جهة أخرى فقد تقاطع بيت الأبيوردي مع الأبيات الأربعة في عنصر "المفارقة". ففي بيت الأبيوردي استدعى مشهد الأطباء العاطلات/ الخاليات من الحلي والزينة صورة محبوبته المتحلية والمتزينة. وعند حيص بيص، في الوقت الذي أُتيحت له الخمر التي ترمز إلى محبوبته، انقطعت عنه بقية الفتيات ولم تلق له بالاً. وعند النابغة بينما أُتيحت له محبوبته فهناك حاجات أخرى غير متاحة له وبعيدة المنال عليه. وبينما أُتيحت المحبوبة لفؤاد توبة، فهي في الوقت ذاته ليست سهلة المنال، مثلها مثل قلب الشاعر الذي لا ينال إلا محبوبته.

وعند الطرماح رغم أن "أم اللهم" قد أُتيحت له فإنها لا تستقر عنده، وقد عبر عن ذلك بواسطة الأفعال المضارعة "تني - تغدو - تروح" التي عكست حركتها وكأن الشاعر لم يظفر بها من الأصل.

ومثل ذلك قول الأبيوردي: ^(١٤)

وحُزْتُ ندىً ما شأنه بمطالِهِ وحازَ ثناءً لم يشنه مطالي
وردتُ مادة "حوز" في لسان العرب بمعنى التفرد، والجمع، والضم ^(١٥). وجاءت المادة في شعر من قبله، معبرة عن جمع المعاني القيمة والأشياء المادية، فمن الأولى قول الشريف المرتضى: ^(١٦)

وأني ما حُزْتُ الفخارَ مغرباً وقلتُ أقباسُ بعد إلى ترابه
وقول أبي فراس الحمداني: ^(١٧)
حتى اعترفتُ وعزتي فضائله وفات سقباً وحاز الفضل منفردا
ومن الثانية قول الصنوبري: ^(١٨)
على أني وإن حُزْتُ الثريا فقلتُ أقباسُ بعد إلى ترابه
وقول الشريف المرتضى: ^(١٩)

وحاز الملك لا إرئنا ولكن جحد السيف قسراً واغتصاباً

لكن الأبيوردي قد جمع بين صورتَي الفعل (ح، و، ز) حزت: الذي فيه انتساب الحوز إلى ذات الشاعر، وحاز: الذي فيه انتساب الحوز إلى الممدوح، ولعل الشاعر أراد من ذلك أن يجعل ذاته مقابل ذات الممدوح، ولاسيما أن من معاني (الحوز) الانفراد، فلم يرد الشاعر أن ينفرد الممدوح بالثناء دون أن يجعل لذاته شيئاً، حتى ولو كان ذلك الشيء هو (الندى) الذي منحه إياه الممدوح، ولعلنا نستأنس - في ذلك - بما ورد في سيرة الشاعر من اعتداده بنفسه، وحلمه بإعادة خلافة أجداده الأمويين.

ثم إن الأبيوردي قد جمع في بيته بين العالمين: القيمي والحسي، وذلك ليبين ضرورة وجودهما سوياً في الحياة من جهة، وليوحي بأن ما يحوزه مكمل ومتمم لما يحوزه الممدوح من جهة أخرى.

٢- التراكيب.

أولى القدماء التراكيب من الاهتمام ما هي جديرة به، وعلقوا عليها إعجاز القرآن واستدلوا بها عليه، وجعلوا النظم عمدة في الكشف عنه، والقطب الذي يستوعب صور الكلام المعجز، ويبدو أن مسألة الإبداع والاتباع قد مثّلت مدار اهتمام القدماء بالتراكيب، ومحور تجادلهم^(٢٠). ولذا حاول الأبيوردي أن يصنع جسراً من التواصل الفني بين نصه الشعري وبين النموذج الشعري، المتمثل في ما أنتجه الشعراء الأوائل، ومن أمثلة ذلك قوله:^(٢١)

سلي ابني نزارٍ عن جدودي بعدما سمعتِ ببأسي إذ هزرتُ نصالي

فالجملة المكونة من فعل الأمر: سل 'ياء المخاطبة (الفاعل)، قد بُني عليها عدة عناصر تعبيرية، أهمها: المسؤول (ابني نزار)، والمسؤول عنه (جدودي)، وبعض الأحداث السردية (سمعتِ ببأسي - هزرتُ نصالي).

إن الشواهد في النموذج الشعري عند الأوائل، تتفق على الرتبة العروضية لفعل الطلب (المطلع في البيت)، وفي المفعول الذي يتعدى له الفعل (المخاطب/ المفرد المؤنث)، لكنها تختلف في نظام العلاقات. فالمسؤول عند الشريف الرضي قد يتأخر ويتقدم عليه المسؤول عنه: (٢٢)

سلي عن فمي فصل الخطاب وعن يدي
رماحاً كحَيَّات الرمال طوالا
وكذلك الأمر عند المتنبي: (٢٣)

سلي عن سيرتي فرسي وسيفي
ورمحي والهملعة الدفاقا

لكنه ربما يتفق الأبيوردي مع عنتره في مسألة الرتبة، فقد ورد التركيب عنده ثلاث مرات: (٢٤)

سلي سيفي ورمحي عن قتالي	هما في الحرب كانا لي رفاقا
سلي فزارة عن فعلي وقد نفرت	في جحفلٍ حافلٍ كالعارض المَطَلِ
سلي يا عبلُ قومك عن فعالي	ومن حضر الوقعة والطرادا

إن اختلاف الرتبة عند الشريف الرضي والمتنبي، له مغزى فني وواقعي في الوقت ذاته، فلأن الشريف الرضي ينصبُّ اهتمامه على الفصاحة والبلاغة، ولأن المتنبي كان يرى في سيرته مؤهلاً لأن يكون أميراً أو وزيراً وملكاً، فلذا كان تقديم المسؤول عنه على المسؤول، أما عند عنتره والأبيوردي فالاثنتان يشتركان في مسألة واحدة ألا وهي "النسب" مع اختلاف رؤيتهما لها، فعنتره كان يتنكر له أبوه لكونه ابن أمة، ولذا فجعل اهتمامه بالإعلان وبالشهود: "فزارة - قومك"، عدا البيت الأول الذي جاءت الشهود فيه من أدوات الحرب: "سيفي - رمحي"؛ لتعبر عن بطولاته ورأس ماله في الحياة.

وأما الأبيوردي فالنسب يعني له الطموح والاعتزاز إذ إنه يطمح إلى إعادة مجد آبائه الأمويين؛ ولذا فهو يحتاج أيضاً إلى شهود: "ابني نزار"، ونلاحظ أن الشهود عند الأول والثاني متعلقة بالقبلية أو العشائرية: "فزارة - قومك - نزار". وقد جاء المسؤول عنه عندهما متناغماً مع ذلك المغزى، فهو عند عنتره "فعلي - فعالي" لأنه يحتاج إلى معادل يسد النقص ويملاً الفراغ/ الاتهام في نسبه. أما الأبيوردي فالمسؤول عنه عنده "جدودي" يتسق مع فخره بنسبه الأموي الذي يملأ شعره وسعيه لإعادة الخلافة الأموية.

وهكذا فالصيغة الإنجازية التي تمثلت في الصيغة التركيبية "سلي" ربما اتسمت في هذا السياق بالقوة التعبيرية، وما ينتج عنها من تأثير في معتقدات المتلقي سواء كان التأثير حقيقياً أم مؤملاً^(٢٥). وربما يكون ذلك لرسمها صوراً حياتية متعلقة بالذات المبدعة، وأنها كانت بمثابة الوساطة لإعادة إنتاج علاقات لغوية وإيحائية.

ويقول الأبيوردي كذلك:^(٢٦)

ولا تنكري ما أشتكي من خصاصة عرفتُ بها البأساء منذ ليالٍ
ويقول ابن الرومي:^(٢٧)

أشكو إليك خصاصة وتجملاً قد برحاً بي أيما تبريح
ويقول الشريف الرضي:^(٢٨)

مللتُ مقامي غير شكوى خصاصة وإنما لأمر ما أملُّ مقامي
ويقول الكميت:^(٢٩)

تضوّر يشكو ما به من خصاصة وكاد من الإفصاح بالشكو يعربُ

ربما يكون الأبيوردي استقى تركيبه من هذه التراكمات نفسها التي وردت في النماذج السابقة، من حيث المادة "شكو" و "خصص"، لكن ذاتية الشاعر هي المعيار

الفني الذي احتكم إليه في اختياراته اللغوية، فالأبيوردي رغم حوارهِ مع تلك الصيغة التركيبية على تصرفها وتعدد اشتقاقاتها، فإنه أثر صيغة "أشتكي" على وزن/ أفعل، وهي تزيد على بقية الصيغ الأخرى أنها تعني إظهار الشكوى، هذا بالإضافة إلى حرف الجر "من" الذي جاء بعد أداة النهي "لا"، وقد أفاد التأكيد على عموم "خاصة"، ولا شك أن ذلك يوحى بفداحة الخطب ومدى معاناة الشاعر بسبب فقره وحاجته، لدرجة أن ذلك الأمر أصبح لا يحتمله الشاعر فلم يستطع مداراته والاحتفاظ به كسِرٍّ من أسرارهِ الشخصية، والأكثر من ذلك أن هذه الحاجة وذلك الضنك قد شمل كل حياته وصار عنواناً لها.

وقد امتدَّ تصرف الشاعر في التركيب اللغوي إلى مكملات الجملة في الشطر الثاني، فلم يقف ضرر الخاصصة على ما ذكره الشاعر، إنما كانت وسيلة للتغنيص عليه في بقية أموره، ولتعكير صفو حياته، وقد أسهم الفعل "عرفت" والظرف "منذ" في جعل هذه الحالة السوداء جديدة على الشاعر فلم يعهدها من قبل. وهكذا أسهمت اختيارات الشاعر اللغوية في رسم صورة لمكونات ذاته، ولطبيعة واقعه الذي يحياه.

٣- التصوير الفني.

٣-١ الاستعارة التصويرية.

تتأسس هذه الاستعارات داخل نسقية يحكمها مبدأ الاستلزام، إذ هناك استعارة أم أو كبرى، وهناك تفريع مقولي مستلزم عنها. وهي بذلك تُعد تشكيلاً لتصورات البشر ورابطاً لأجزاء العالم؛ أي إنها مكوّن من مكونات الذهن البشري بها نحيا، وبها نوضح أفكارنا ونقول العالم ونختزل الحدود بين أشياءه التي تبدو متباعدة^(٣١). وقد اخترت هذا المصطلح لأنه يمثل بعض التفرعات والتوالدات الناتجة عن حوار الأبيوردي - من خلال نصه - مع نصوص الشعراء السابقين عليه، فمثلاً نجده يقول في قصيدته: (٣١)

وهنّ ملاحٌ غير أنّ نواظراً تديرينها، زلّت بهنّ نعالِي

فالشاعر جعل نواظر المحبوبة كأنها شيء من مفردات الحياة، التي تحتاج إلى إدارة وتخطيط؛ وبالتالي فقد نجحت المحبوبة في التحكم في ذلك الشيء وإدارته إدارة مُحكمة، تمكنها من تسليطه على أي شيء أو أي كائن؛ ولذا فـ "نواظراً تديرينها" عُدّت الأصل في انتسابها إلى ذلك اللون الاستعاري، ومثلها في ذلك قول عمر بن أبي ربيعة: (٣٢)

فإن جمحت عني نواظراً أعين رمينَ بأحداق المها والجاذِر

فالأصل هو التحكم والتسليط، أما المؤثرات الناتجة عن ذلك فهي فروع لذلك الأصل، وهي مندرجة ومتواترة ضمن ما أطلقنا عليه "النموذج الشعري". نرى ذلك في قول ابن الرومي: (٣٣)

فتى يتقي لحظ العيون ويرعوي ويغشى رماح الخط مشتبكات

وقول أبي تمام: (٣٤)

أنا من لحظ مقلتيه جريح أداوى بعبّرة ونحيب

وقول أبي فراس: (٣٥)

رشاً إذا لحظ العفيفَ بنظرة كانت له سبباً إلى الفحشاءِ

وقول الصنوبري: (٣٦)

يسل من الجفون سيوفَ لحظٍ بها يدعو القلوبَ إلى البرازِ

فاتقاء تلك النظرات، وما ينتج عنها من جراح، أو تغير سلبي أخلاقي، أو تحولها إلى سيوف مستعدة إلى القتال، كل ذلك متفرع عن الأصل الاستعاري السابق. والأبيوردي نفسه قد ضمّ فرعاً من هذه الفروع إلى الأصل، وهو "زلّت بهنّ نعالِي".

إن هذا التضام في الاستعارات وذلك التشرذم ليدعم اكتناز النص بالدلالات،
ويبتعد بالشاعر المحدث عن شبهة الحرفية ومجرد الاستنساخ.
٢-٣ الاستعارة الإبدالية.

وقد توسلتُ بهذا المصطلح لأفرق بين هذا اللون الاستعاري، الذي اصطلح
عليه "البلاغيون العرب بالاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة التي يُصرح فيها بلفظ
المشبه به"^(٣٧) وبين اللون السابق (الاستعارة التصويرية).
يقول الأبيوردي:^(٣٨)

ولا تقبلي قول العذول فتندمي إذا قطعتُ عنكِ الوشاةُ حبالِي

فهنا جعل الشاعر المودة والوصل بينه وبين محبوبته كالحبل، ولذا فهو يحذرها
من أن يقطع الوشاة هذا الحبل. لكن طبيعة الوشاة ربما تكون مختلفة عند أبي تمام،
وبالتالي تختلف آلية عملهم:^(٣٩)

بعدها أصلتَ الوشاةُ سيوفاً قطعتُ فيَّ وهْيَ غيرُ حدادٍ

ربما تناظرت بعض مفردات الصورتين (الوشاة - قطعت)، لكن المخالفة تمثلت
في الوظيفة النحوية والدلالية للفعل "قطعت"، فهو عند الأبيوردي الفعل المحوري في
الصورة، أما عند أبي تمام فقد جاء على رأس جملة النعت لكلمة "سيوفاً"، أي أنَّ دوره
جاء ثانوياً بعد الدور الرئيس الذي قام به الفعل المحوري "أصلت"، فالوظيفة النحوية
عند الأبيوردي للفعل "قطعت" ترتب عليها وظيفة دلالية، وهي أنَّ أساس الجرم الذي
يخشاه الشاعر أن يقطع الوشاة العلاقة بينه وبين مَنْ يحب، أما عند أبي تمام فأساس
الجرم هو تجريد الوشاة لل سيف من غمده والاستعداد للقطع.

وفي رأيي أن الدافع وراء تلك المخالفة بين الشعارين اختلاف المقصدية عند
كلٍّ منهما، فالأبيوردي تمثلت رؤيته لفعل الوشاة في قطعهم العلاقة بينه وبين محبوبته،

أما أبو تمام فقد اقتصررت رؤيته لهم على مجرد توجيه السيوف إليه، ومحاولة تقطيعه هو وليس حبل المودة والوصل بينه وبين ممدوحه.

٤ - الإيقاع.

إن الأغلب الأعم في النصوص التي رصدت محاورة الشاعر معها، قد أتت على بحر الطويل مثل نص الشاعر/ المتحاور، ربما يتسق ذلك مع بعض الإحصائيات التي رصدت تصدر بحر الطويل للأوزان المستخدمة في دواوين الشعراء حتى العصور المتأخرة (من القرن السادس الهجري حتى الحادي عشر)^(٤٠).

ولعل هذا البحر يتناسب وغرض القصيدة/ المدح، فالمدح ليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس، وتضطرب لها القلوب، والبحر في الوقت ذاته يتسق وحالة اليأس والجزع والحزن الشديد، يث الشاعر من خلاله أشجانه^(٤١).

وهناك ما يتعلق بذلك الحد العروضي من الإيقاع، وهو ما يطلق عليه الدكتور أحمد حيزم "الصيغة النموذجية الوزنية"، وهي تقايس - على حد تعبيره - وتتحقق في وحدة لغوية لازمة، إن في مطلع البيت أو مقطعه، وتوفر خصائصها صورة إطارية جامعة ترتد إليها تجارب إنشائية متعددة^(٤٢).

٤-١ المطلع.

يقول الأبيوردي:^(٤٣)

فلا تنكري سيري إليك على الوجي ركائب لا يُنعلن غير ظلال

فالصيغة الوزنية "فلا تنكري" تواترت عند أكثر من شاعر قبل الأبيوردي، منهم الشريف المرتضي، إذ يقول:^(٤٤)

فلا تنكري لوئاً تبدلت غيره كمستبدل بعد الرداء رداء

وابن الخياط: (٤٥)

فلا تنكري ما أحدث الدهرُ إنما نوائبه أقران كل فتى قَرَم

وكذلك تميم بن المعز: (٤٦)

فلا تنكري أن رحتُ وحدي مفردًا وأن بتُّ يقظان الحجا غير نَوَام

رغم هذا التشاكل في الوزن بين تلك الأبيات التي تواترت من خلالها صيغة "فلا تنكري"، حيث جاء جميعها على وزن الطويل، فإنها كانت مُرتكزًا لرؤى متعددة على اختلاف ذوات الشعراء أصحابها. إن الصيغة رغم اتفاقها في المخاطب/ المحبوبة – عدا بيت تميم فالمخاطب الأيام – فإنها اختلفت في مدلولات الخطاب، فهي بين أن تثبت عنت المحب في الوصول إليها وتكبد المشاق، وبين مطالبتها بالاعتراف بالمشيب الذي أصاب العاشق، وبين إثبات ما فعلته الخطوب والنوائب بجسد العاشق المتيّم، وأن هذا لا يقلل من قيمته، وبين سرد بطولات الذات ومفاخرها ومدى قدرتها على تحدي أيام الدهر.

وهكذا فإن هذه الصيغة تُعد ضربًا من الوحدات التعبيرية الموقعة إلا أنها لا تعينا من حيث هيئة توزيعها في البيت، وما يكون لها من الاطراد في القصيدة، أو ما تنهض به من وظائف في خطاب خاص، وإنما يهمنا أن تكون صورتها والدة لتفريعات تعبيرية متنوعة^(٤٧). فالذات تبدو من خلال تلك الصيغة حجاجية، تنافح عن رؤيتها للحياة وللكون، حتى وإن كان الآخر يرى عكس تلك الرؤية أو يرى تهافتها، وكذلك تبدو متلبسة برداء القوة – فيما تزعم – على اختلاف وسائلها وكنهها، حتى وإن كان ذلك من خلال ضعفها وتزلفها إلى مَنْ تحب.

٤-٢ المقطع.

وهو آخر جزء في البيت وخاتمته، وقد عددناه الحاكم في تصريف الكلام، فهو الذي يحدد بدايته وإليه مرساه^(٤٨). ونمثل لذلك بإعادة الأبيوردي إنتاج لامية أبي العلاء المعري التي مطلعها: (٤٩)

طربن لضوء البارق المتعالي ببغدادَ وهُنَّا ما لهنَّ وما لي
وفيها يحن أبو العلاء إلى وطنه الشام وبلدته المعرة، ويقارن بينها وبين بغداد.
ومثل ذلك إعادة الأبيوردي للامية البحرّي التي مطلعها: ^(٥٠)
عستَ دَمَنٌ بالأبرقين خِوالٍ تردُّ سلامي أو تُجيبُ سؤالي
وهي مدحية لأحد السلاطين بدأها بالغزل ثم تُثي بالشكوى من الأصدقاء.
وكذلك هجائية للسري الرِّفاء يقول في مطلعها: ^(٥١)
إلام يرومُ الحاسدون نضالي وأيمانهم في الرمي دون شمالي
إن إعادة إنتاج المقاطع إجراء اتّباعي، يبدو فيه اللاحق متأثراً بالسابق يردد
صوته منفعلًا به.

إلا أنه وهو يسوس الأول، ويحاول أن يرده إلى مسالك فنه يخلف أثره فيه،
ويحدث كرجع صدى يرتدُّ إلى السابق من التابع. فهو فعل تأثر وتأثير يبدو فيه اللاحق
وسيط تقبُّل، والمقاطع ذاكرة حية مفتوحة لما تعاقب عليها من مساءلات الشعراء ^(٥٢).
إن المزية التي لفتت الشاعر في مسألة "المقطع"، ليس فقط أنه جمع بين ركني الحدِّ
العروضي (الوزن/ الطويل - القافية/ اللام المكسورة)، إنما هو أنه آخر ما يطرق أذن
السامع/ المتلقي، وذلك - بلا شك - مدعاة لممارسة إبداعه في إعادة تشكيل البنية
الفنية للبيت ومن ثمَّ القصيدة، فقد استطاع الأبيوردي - من خلال تأثره بشعر
الأوائل - أن يجعل من المقطع محتتمًا ومنطلقًا في الوقت ذاته لإعادة البناء الأغراضية
والدلالية في الوقت ذاته.
ثانيًا: العلاقات الدلالية.

رأيت أن أفرد هذا المحور بالحديث ولا أدرجه ضمن مكونات الفسيفساء،
وذلك لما أراه من أن الدلالة تشكل العامل الجوهرية في التفاعلات النصية بين السابق

واللاحق من الإنتاج الشعري، وهي التي على أساسها تتشكل البنية الفنية لأي نص. وركائز هذه العلاقات ثلاثة: التشاكل، والتباين، و التصرف.

١ - التشاكل.

هو مفهوم ابتدعه غرايماس (١٩٦٦) في ميدان الدلالية البنيوية، وتعمم في ما بعد استعماله في تحليل الخطاب، ويشير إلى جملة الوسائل المساهمة في انسجام مقطع خطابي أو رسالة، وهو بالإضافة إلى ما يحققه من ملاءمة دلالية بين الألفاظ المشاركة في ملفوظ، يتسم بامتداده المتنوع (من المركب إلى النص)^(٥٣). فليس هناك كم نصي محددًا مسبقًا للشاعر المحدث كي يتحاور معه دلاليًا، فقد يكون بيتًا أو مقطعًا أو القصيدة بأكملها. من ذلك قول الأبيوردي:^(٥٤)

عرضن عليّ الوصل، والقلب كله لديك، فأني يتغين وصالي

الذي تأثر بالمضمون الدلالي لمقطع من رائية عمر بن أبي ربيعة "وهل يخفى القمر"، ويمتد هذا المقطع من البيت السابع الذي يقول فيه:^(٥٥)

قد خلونا فتمنين بنا إذ خلونا اليوم نبدي ما تُسر

وحتى البيت السادس عشر والآخر:

قد أتاننا ما تمنينا، وقد غُيب الأبرامُ عنا، والقَدَر

ولعل ما دعا الأبيوردي لذلك التشاكل تعضيد السياق، فالآبيات السابقة على هذا البيت يقدم الشاعر لمحبوبته بيضًا حسنا فداء لها، وهو استحضار غرضه المقارنة بين حبه وهيامه بحبيبته مقابل هؤلاء النسوة اللاتي "طلعن بدورًا - ومسن غصونًا"، وتلك مؤهلات ترجح ما عنيناه من تقديم الشاعر لمحبوبته فروض الولاء والبرهنة على صدق مشاعره. لذلك كله كان لزامًا على الشاعر أن يستحضر مشهد النسوة المتييمات بعمر بن أبي ربيعة. أضف إلى ذلك أن الأبيوردي أراد أن يوجه السياق

ويمهد للمتلقي بالاعتراف الضمني، ثم الصريح بتفرد محبوبته وتميزها عن أقرانها، وقد وجدنا ذلك التصريح بعد هذا البيت في قوله: ^(٥٦)

وهنّ ملاحٌ غير أن نواظراً تديرينها، زلتُ بهنّ نعالِي

وربما تبدو براعة الشاعر في اختزاله للمشهد السردى عند عمر بن أبي ربيعة في الجملة الخبرية "عرضن عليّ الوصل"، التي فيها تكثيف لتلك المشاعر الكامنة داخله نحو محبوبته، وإبراز لمقاومته الجانب الحسى من مفهوم العشق والغرام، وفي ذلك دلالة على قوته رغم أنه مرغوب فيه لدى الجنس الآخر/ الفتيات، ولعل صيغة الماضي في الفعل "عرضن" قد اتسقت مع ذلك المشهد السردى في النص الأول، وكذلك الجملة الاسمية "والقلب كله لديك" التي أثبتت النتيجة المحورية المستقاة من ذلك الحوار الدلالي، وهي أن ذات الشاعر ليست متيمة بأحد سوى المحبوبة.

٢- التباين.

وهو حوار يقيمه الشاعر المُحدث مع الشاعر القديم، يدور على طرفين: التقاء وافتراق، فالشاعر المحدث هنا لا يكتفي بالنقل عن سابقه أو محاولة التماهي معهم، إنما ليكون رؤية أخرى تعكس ذاته، وهي ليست مخالفة للمخالفة، إنما تأتي متناسقة مع السياق وخلفية الذات النفسية، وتعكس رؤيتها للكون والحياة. من ذلك قول الأبيوردي: ^(٥٧)

إذا زُجرت منهن وجناءً خلتهما وقد مسّها الإعياء، ذاتُ عقَالِ

الشاعر في سياق إثبات حبه ووفائه لمحبوبته، وأنه ما زال على العهد رغم بعدها وانقطاعها عنه، ولذا يعرض رحلته إليها وما تعرض له من مشقة وعنت، ومن وسائله لذلك إبراز المؤثرات التي تعرّضت لها راحلته، التي سيرّها وقت ارتفاع النهار، وقد رقّ خفها من كثرة المشي، لكنّ هذه الناقّة رغم أنها - باعتدافه - تامة الخلق

صلبة شديدة، فإنها قد أصابها الإعياء حتى إن الناظر يحسبها معقولة من غاية اللغوب.

لكن هذه الناقّة ذات الصفات نفسها، صورها الشعراء السابقون على الأبيوردي من خلال رؤية مخالفة لرؤيته، منهم ذو الرمة إذ يقول: ^(٥٨)

هل تدنينك من خرقاء ناجيةً وجنأً ينجأ عنها الليلُ علّكومُ
والخطيئة حيث يقول: ^(٥٩)

مُقَدَّفةً باللحم وجنأً عدوها على الأين إرقالُها ووجيفُ
وهي عند أبي نواس: ^(٦٠)

وجنأً تكفي بالسير ركبها تحريك سوطٍ وقوله حيّهلُ
وعند أبي تمام: ^(٦١)

فظللتُ حدَّ الأرض تحت العزم في وجنأً تدني حدَّ كلِّ بعيدٍ

فهذه الناقّة في رؤية هؤلاء الشعراء سريعة جداً، لدرجة أنها تطوي الزمن طيّاً، ولا يحتاج ركبها أن يبذل جهداً في حثها على المضي والإسراع، وكذلك فهي تقرب المسافات البعيدة. لكن الأبيوردي أراد أن يحدث اتّساقاً وانسجاماً بين بنى النص، ويكمل السياق بما يسهم في تجذير الدلالة وتطويرها.

٣- التصرف.

رغم اشتراك الشعراء في بعض المعاني الجامعة فإن هذا الاشتراك لا يعطل أسباب الفريدة، وإنما هو على عكس ذلك يوفر حظوظها لاختلاف صور المعنى الواحد، من استعمال إلى آخر بما يجعل الحديث عن المعنى الواحد الثابت لغوياً من القول ^(٦٢). ولعلّ مردّد ذلك إلى اختلاف رؤية الشعراء الفنية والتفاوت بينهم في

التكوين الفني، ومقدرتهم في التصريف اللغوي والدلالي. نرى ذلك في قول الأبيوردي: (٦٣)

ولكنني أرضى الغواية في الهوى وأحمل فيه ما جناه ضلالي

الذي ربما تأثر بامرئ القيس في معلقته، حيث يقول: (٦٤)

نواعم يُتبعن الهوى سبل الردى يَقْلَنُ لأهل الحِلْم ضللاً بتضلال

فامرؤ القيس يصف بعض الفتيات العذارى بأنهنّ ساحرات أخاذات نعومة ولطافة وليونة، يأخذن بلباب كل من ينظر إليهن، ويوقعنه في غرامهن وحبهن، حتى يسلكنه سبل الهلاك والموت؛ إما لكون أهلهن وقومهن ذوي عزة، فيعرضن عشاقهن للهلاك والموت دفاعاً عن شرفهن، وإما لأنهن يُقدمن على ما يُعد مخاطراً في الهوى، فهن لا يكففن وجدهن مخافة الفضيحة. إنهن في كل الأحوال يسلطن سحرهن على أهل العقل والحصافة والحكمة، فيصرفنهم قولاً وفعللاً عن دروب النهى والحجا إلى مسالك الجهالة والغواية (٦٥).

لا شك أن هذا البيت يحمل إقراراً ضمناً بأن امرأ القيس يستعذب هذا الضلال وتلك الغواية، بل يعد ذلك مغامرة تقع ضمن مغامراته العاطفية. وإذا ما كان امرؤ القيس قد أبرز ذلك الاستعذاب عن طريق الوصف السردى، بواسطة الوحدات: يتبعن/ الذي صور هؤلاء الفتيات كأنهن يرتبن أحداثاً تلو أحداث (الردى بعد الهوى) - يقلن/ وهو فعل حوارى يعكس مدى مرحهن وجاذبيتهن وجراتهن، وقد شكّل كل ذلك المهاد للوحدة التالية - ضلاً: وهي ذروة الصوت الإعلاني الذي يحاول كسر الأعراف والتقاليد.

لكن الأبيوردي رغم تصريحه باعترافه بل واتخاذ الغواية في الهوى منهجاً وسبيلاً، فإنه يتغاضى عن ذلك الجانب الوصفى السردى لمن تسبب في تلك الغواية، وكذلك يرتد إلى ذاته ليستمد منها شرعية هذا الاعتراف وذلك التصريح متحملاً

تبعاته غير متصل من أي ضرر يقع على عاتقه بسبب سلوك هذا السبيل، وقد أسهمت ضمائر المتكلم في تمثل مذهب العذريين في الغزل، وفي إضفاء شيء من الروحانية على ملامحه: "ولكنني - الضمير المستتر في أرضى - الضمير المستتر في أحمل - ضاللي". وقد عضد ذلك الأفعال المضارعة التي أوحى بعزم الذات على المضي في ذلك الطريق: أرضى - أحمل.

ثالثاً: التشكل الجمالي.

إذا كنا في المبحثين السابقين قد حاولنا أن نقدم وصفاً لعناصر الفسيفساء وعلاقاتها داخل القصيدة وخارجها، فإننا سنحاول في هذا المبحث أن نجيب على سؤال، ألا وهو: كيف تشكلت تلك العناصر داخل القصيدة؟ أو كيف استطاع الشاعر أن يربط بين ما استقدمه من خارج النص وبين ما ينتسب إلى ذاته المبدعة؟ وقد رأيت الإجابة تتضح من خلال تكتيكين محوريين: الحجاج، والتوازي.

١ - الحجاج.

ورد في اللسان: حاجته أحاجُه حجاجاً ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج، التي أدليت بها وحاجُه محاجَّةً وحجاجاً نازعه الحجة، والحجة: الدليل والبرهان^(٦٦) وهو يفترض وجود قضية لدى المتحدث يدافع عنها، ويجادل المخاطب من أجل إثباتها؛ وبالتالي تفنيد حجج المخاطب. وفي النص الشعري يلجأ الشاعر إلى استخدام كل تقنيات اللغة ليثبت قضيته الفنية، ويفنّد تهم المخاطب الضمني أو الحقيقي، في محاولة لتحقيق النجاعة لتجربته الفنية.

١-١ مبدأ الأنفع

وهو - على حد تعبير الدكتور عبد الله صولة - قانون بتطبيقه نفهم ما يُقال لنا ونحسب دلالة هذا الذي يُقال لنا في ضوء المقام أو الوضعية منطلقين من دلالاته في

مستوى المكون اللساني، فقانون النافع يترجمه متأول الملفوظ إلى سؤال من قبيل: لماذا قال المتكلم ما قال؟ ويستعين في تحصيل الجواب عن ذلك بالمقام أو الوضعية^(٦٧). فهو إذن انتقاء يرجع إلى تمكن الشاعر من شاعريته، وهو اختيار من متعدد الألفاظ والتراكيب.

١-١-١ التأليف الزمني

إنه بالنظر إلى لغة القصيدة نجد أنه رغم التقاط الشاعر ألفاظه من معجم الشعر القديم ومن البيئة الصحراوية، فإنه استطاع أن يصنع توليفة من خشن الألفاظ ورقيتها، ومن غريبها وصعبها من جهة ومفردات تنتسب إلى عصره يتداولها الناس في حياتهم اليومية من جهة أخرى، فهو يزاوج في لغته ويصنع منها أشكالاً يضم بعضها إلى بعض. من أمثلة ذلك:^(٦٨)

ولولاك يا ذات الوشاحين لم تكن	موشحةً من أدمعي بلالي
وأغضيت عيني عن مهاها فلم أبل	لديها بعيني جؤذر وغزال
ولكنني أرضى الغواية في الهوى	وأحمل فيه ما جناه ضلالي

فبالنظر إلى البيتين الأول والثاني في مقابل البيت الثالث، يتضح لنا ما نريد أن نثبت، وقد كان من الممكن أن يأتي الشاعر في البيت الثالث بوحدات تحمل الجينات نفسها في البيتين السابقين، لكنه في البيت الثالث قد ارتد إلى ذاته فلم يستطع التكلف في إبراز مشاعره فأتت الوحدات والتراكيب معبرةً عن انتسابها إلى ذاته وعصره.

١-١-٢ التداعي

وربما يتضح ذلك المبدأ أيضاً في مسألة التداعي بين الدوال، فكل لفظة تستدعي لفظة بعينها لتعبر عن رؤية الشاعر في محاولة لتحقيق الاتساق بين مكونات الملفوظ، من أمثلة ذلك ما نراه في البيت (١) بين: "لداء/ الفؤاد - عضال"، وفي (١٦) بين:

"بطيف / خيالك"، وفي (١٩) بين: "خوضي / هوله"، وفي (٢٠) بين: "قول / العزول"، وبين "قطعت / الوشاة - حبالتي"، وفي (٢٣) بين: "مصالي / نزال"، وفي (٤٤) بين: "حزت / ندى، وحاز / ثناء". إن هذا التداعي بين الدوال يُعد عدولاً من الشاعر عن ملفوظ بعينه إلى ملفوظ آخر، يرى فيه أنه الأنسب في موضعه من التركيب، والأكثر تناسقاً مع السياق.

١-١-٣ المجاز

إذا افترضنا أن المجاز يُحدث في الكلام ما يسميه النحو التوليدي بخرق قواعد الانتقاء الدلالي كما تظهرها قواعد الإسقاط في المكون الدلالي، فإنه يمكن وضع المجاز في باب العدول النوعي النسقي، لكن على اعتباره استبدالاً يمكن وضعه في العدول الجدولي فهو خروج من الحقيقة إلى غيرها^(٦٩).

وأعني بالمجاز - في هذا السياق - مفهومه الواسع الذي يعني العدول عن الدلالة المباشرة والحقيقية للوحدات إلى الدلالة غير المباشرة وغير الحقيقية. من ذلك علاقة المشابهة، مثل: التشبيه في قول الشاعر: "طلعن بدوراً - ومسن غصوناً؛ فهو يشبه محبوبته بأنها مثل البدر في نوره وجماله واستدارته، وكذلك يجعلها مثل الغصون في رقتها وتمايلها. فلو أطلقنا على صفتي الجمال والرقّة (ب) وهي معلومة جديدة على المخاطب، وأطلقنا على "بدوراً وغصوناً" (أ) وهي معلومة قديمة لأن البدر من البدهي أنه جميل والغصن متمايل لرقته، لوجدنا أن الشاعر قد عدل عن المعلومة الجديدة في (ب)، إلى المعلومة القديمة في (أ) كي يصدقه المخاطب، ويكون ذلك أدعى لعدم الاعتراض منه أو الإنكار^(٧٠). ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر: ^(٧١)

يهشون للعافي كأن وجوههم صدور سيوف حودثت بصقال

فلو قال وجوههم منيرة ضاحكة مستبشرة ربما لن يصدقه المخاطب، لكن المشبه به في الشطر الثاني قد لزم أن يكون لا معاً مضياً، فلعل ذلك أوقع في بيان الحجة. ومثل ذلك الكناية في قوله: (٧٢)

وأيقن أني لا ألوذ بباخلٍ يضيع عرضاً في صيانة مالٍ

فلم يكتف الشاعر بوصف الملاذ به الافتراضي بالبخل، بل رأى ضرورة إثبات ذلك للمخاطب "صيانة مال" إذ بالضرورة هناك تلازم بين من يصون المال ويحرص على جمعه في مقابل ضياع العرض وعدم الحرص عليه، وبين أن يكون بخيلاً.

وهناك علاقة المجاورة، وقد تمثلت في قول الشاعر في البيت (٤٤) "وحزت ندى" ولا شك أن الشاعر يقصد أنه نال عطاء مادياً، لكنه أتى بما ينتج عن ذلك وهو الكرم، فقد عدل عن (ب) المعلومة القديمة وجاء بـ (أ) المعلومة الجديدة. وربما (ب) لا تمثل حكماً ما أو صفة من شأنها أن تثير اعتراضاً أو تحفظاً، وعلى هذا فلا يمثل العنصر (أ) حجة على ما ادّعي لها لأنه لم يُدع لها شيء، وإنما يمثل العنصر (أ) تبئيراً لجانب من جوانب (ب) فهو من هذه الناحية معلومة جديدة، فعنصر (أ) يُعدُّ هنا تبئيراً للقيمة المادية والمعنوية المتسببة عن المال. والمقصود بالتبئير هنا هو تسليط الضوء على ما هو أهم في المعلومة، فهو الجديد الذي يريد المتكلم إيصاله إلى المخاطب (٧٣).

١ - ٢ الوصل والفصل

وهما أصلان أساسيان من أصول الخطاب التي قامت عليها البلاغة القديمة والجديدة كذلك، وقد بلغ من أهميتهما أن هناك من جعلهما حدّاً للبلاغة "فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها فقال: "معرفة الفصل من الوصل" ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يُكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة" (٧٤).

من أشكال الوصل في القصيدة أدوات الشرط؛ وهي تقوم بوظيفة الربط بين جملتين ربما يتصور المخاطب ارتباطهما أو وجود علاقة بينهما. من أمثلة ذلك قول الأبيوردي: (٧٥)

سواجم تكفيها الحيا وانهماله إذا انحلّ في وُطف الغمام عزالي

فالظاهر أن ماء المطر أغزر من أي ماء آخر، فإذا بالشاعر يفاجئ المخاطب الضمني الذي ربما يفترض كونه ينكر حبه أو يقلل من درجته، بأن دموعه تكفي الربا المطر وكثرته فهي بالتالي أغزر منه.

ومنها أدوات العطف، وقد كان أكثرها وروداً وتكراراً حرف "الواو"، فقد تكررت ثمان وعشرين مرة في القصيدة، وهي في مجملها جاءت تُعدد مواقف الذات المحبة التي تعكس علاقتها الوثيقة بمن تحب، وكذلك لتثبت تنوع وسائل الحب والود وأنه ليس تقليدياً جامداً سواء كان المحبوب/ المرأة أو المحبوب/ الممدوح. ومنها أدوات الاستفهام، وذلك في مثل قول الشاعر: (٧٦)

فما لنساء الحي يُضمرن غيرةً سبتها العوالي، ما لهنّ ومالي؟

فأداتا الاستفهام "فما - ما" قد مثّلتا دعماً للسياق السردى، الذي يحكي فيه الشاعر عن مدى تعلق نساء الحي به، فالاستفهام هنا قد جاء بمثابة رفض ذلك التعلق، وإثبات تعلقه - في الوقت ذاته - بوحدة فقط هي المحبوبة. وربما تأتت قوة الأداة هنا من أن الشاعر لم يجب عن السؤالين، إنما ترك للمخاطب الإجابة في ظل ما يقتضيه السياق، ولعل ذلك أشد وأكد في بيان الحجة والإقرار بها.

وأما الفصل فمن أشكاله: الاعتراض، وذلك في مثل قول الشاعر: (٧٧)

عرضن عليّ الوصل، والقلب كلّهُ لديك، فأنى يبتغين وصالي

فالاعتراض هنا قائم على تعدد الأصوات، صوت الادعاء أو الظاهر من ناحية، وصوت الحق أو الحقيقة من ناحية أخرى^(٧٨). فالظاهر هو هيام نساء الحي بالشاعر، لكن الشاعر أراد أن يثبت جوهر المسألة وهي أن قلبه ليس ملكاً لمن إنما لمحبوبته.

ومن أشكاله: النفي، وقد تعددت أدواته في القصيدة، فمن ذلك قول الشاعر:^(٧٩)
فما رعت القربى قريشٌ، ولا اتقت عتابي، ولم يكسِفْ لَذلك
الشاعر هنا في سياق إثبات ما يشكوه من خصاصة لمحبوبته، وقد تنوعت أدوات النفي لتتسق مع تنوع المنفي، وكأن الشاعر يحاول الفصل بين ما تتصوره المحبوبة وبين ما هو واقع، وقد جاءت الأدوار الثلاثة تصوراً لتسلسل الأحداث، فآداة "ما" توحى بأن عدم رعاية قريش للقربى كان في الماضي وهو أول حدث، و"لا" التي تفيد الماضي والحاضر معاً، عكست ما ترتب على الحدث السابق فبالضرورة سيتوجه الشاعر لعتاب قريش، ثم جاءت "لم" التي تدخل على الفعل المضارع فتحوله إلى ماضٍ ليتوافق زمنياً مع الحدثين السابقين، وهو حدث مترتب أيضاً على ما مضى، فالشاعر يريد أن يثبت أنه رغم ما حدث فلم يسؤ حاله.

ومن أشكاله: القصر، ومن أمثله قول الشاعر:^(٨٠)
فلا تنكري سيري إليك على الوجى ركائبَ لا يُعلن غير ظلالِ
فربما يقول الواشي: إن الشاعر كاذب في ادعائه، فناقته ما زالت قوية وخفها غليظ، ولذا جاء أسلوب القصر ليفصل بين ادعاءات الواشي – الافتراضي أو الواقعي – وبين حقيقة الأمر وهو أن خفً ناقته يكاد لا يرى من كثرة المشي إلى المحبوبة مما يثبت أنه ما زال على العهد.

ومن أشكاله كذلك: الاحتباس، من ذلك قول الشاعر:^(٨١)

وفيكِ صدودٌ من دلالٍ، أظنه على ما حكى الواشي - صدودٌ ملالٍ
فجملة "على ما حكى الواشي" أراد الشاعر - في سياق إثبات حبه لمحبوته -
من خلالها أن يؤكد على أن هذا الظن ليس هو ما ادَّعاه، إنما هو ادعاء الواشي، وفي
ذلك خشية منه أن يحدث لبس في ذهن محبوبته أن يكون ظنه قد ساء بها. فهو فصل
بين ادعاء الواشين وبين اعتقاده هو.

٢- التوازي

"البنيات المتوازية هي البنيات المتشابهة صورة وموقعاً"^(٨٢). وقد توفر في القصيدة
شكلان من أشكال التوازي، وهما: التوازي الجزئي، والتوازي الكلي. وأعني بالجزئي
الذي يتحقق على مستوى البيت الواحد، ومن أهم أنواعه:

٢-١ توازي الصوائت

وذلك نراه في أول بيت بالقصيدة:^(٨٣)

أُتِيحت لَداءٍ في الفؤادِ عِضالٍ ربا بالظباءِ العاطلاتِ حِوالِ

حيث نلاحظ تكرار حرف المد "الألف" ثمان مرات، ولعل ذلك يوحى بمدى
الآلم الذي يشعر به الشاعر حينما رأى تلك الربا، وحركت في نفسه مشاهد وذكريات
جمعته ومحبوته.

٢-٢ توازي الصوامت

ومثال ذلك في قول الشاعر:^(٨٤)

يحوط حمها غلمة أمويةً بخطيةً مُلس المتون طِوالِ

فهنا نلاحظ تكرار حرف الطاء في: "يحوط - بخطية"، وبينهما كذلك توازي في
الموقع، وهو من حروف الإطباق الذي يوحى بالقوة والإحاطة، في مقابل حرف الميم
الذي يوحى بالليونة في: "حمها - ملس"، "غلمة - المتون"، وربما اتسقت الليونة مع

التعبير عن بلدته "كوفن"، ومع الصبية الذين كانوا بصحبته بحكم صغر سنهم، وكذلك مع نوعية الرماح التي كانت مجوزتهم.

٢-٣ التوازي المعجمي

ومنه توازي المشابهة اللفظية، مثل: "الوشاحين - موشحة"، "الوصل - وصالي"، "صدود - صدود"، "خيالك - خيال"، "شانه - يشنه"، وهو توازي يعتمد فيه الشاعر الإشارة إلى ما بين عناصر الملفوظ من علاقات، ويحيل إلى مرجعيتها من خلاله.

ومنه توازي التضاد، وذلك مثل: "أرخصها - غوال"، "خالفتني - واصلتها"، "غلظ - رقة"، "تلقح - حيال"، "خفيف - ثقال". وهي توازيات تبرز المفارقة التي يتعرض لها الشاعر في علاقته بالناس وبالكون. وربما افتقد التوازي المعجمي لشرط التكافؤ في الموضوع، إلا أن باقي العلاقات تظل مؤثرة وتقوم بدور حيوي في تشكيل العلاقات داخل بنية النص.

٢-٤ توازي التركيب

وقد يأتي بشكل جزئي بين تركيبين داخل البيت، مثل: "طلعن بدوراً - مسنّ غصوناً" فقد جاء الفعلان ماضيين وألحق بهما نون النسوة، وجاء التمييز جمع تكسير، وربما أحدث ذلك إيقاعاً موسيقياً يلفت إلى تعدد صفات هؤلاء الفتيات الحسنه، مما يثبت تضحيته - لدى محبوبته - من أجلها. ومثل ذلك "وبدّ الحيا إذ جاد - والليث إذ سطا" مع اختلاف مرجعية ضمير الغائب/ الممدوح.

وقد يأتي هذا التوازي على مستوى البيت بأكمله، مثل قول الشاعر: ^(٨٥)

وحزتُ ندى ما شانه بمطالهِ وحاز ثناءً لم يشنه مطالي

فالبيت قد احتوى على علاقات المشابهة، فبين "حزتُ - حاز" مع اختلاف مرجعية الضمير، وبين "ما شانه - لم يشنه"، وكذلك "مطاله - مطالي" مع اختلاف

مرجعية الضمير أيضاً. والتضاد بين مع اختلاف المحاز "ندى - ثناء" رغم أن بينهما تناظراً من حيث كونهما قيمتين معنويتين.

إن هذا التشابه بين وحدات البيت في الصورة والتكافؤ في الموقع، قد أسهم في رسم حدود العلاقة بين الذات الشاعرة والمدوح، وهي - على ما يبدو - علاقة تناظر بين الطرفين، لا يريد الشاعر أن يمنح المدوح كل شيء وينسى ذاته، فبالرغم من أن الشاعر ضيق اليد ويحتاج إلى عطاء المدوح، فإن المدوح أيضاً يحتاج إلى ثناء الشاعر، وإذا كان المدوح لم يؤخر عطاءه إلى الشاعر، فإن الشاعر كذلك لم يؤخر مدحه له.

ومثل ذلك أيضاً البيت الذي يليه: ^(٨٦)

فسقتُ إليه الشكر بعد سؤاله وساق إليّ العرف قبل سؤاله

فالتناظر في الصيغ والموسيقى، قد نتج عنه تناظر دلالي أسهم في اتضاح معالم العلاقات داخل النص.

وأما التوازي الكلي فيأتي في القصيدة على مستوى المقاطع:

المقطع الأول: من البيت (١) : (١٤)

والرابط بين المقطعين الأول والثاني: (١٥)، (١٦)

المقطع الثاني: من البيت (١٧) : (٢٧)

والرابط بين المقطعين الثاني والثالث: (٢٨) : (٣٢)

المقطع الثالث: من البيت (٣٣) : (٤٢)

المقطع الرابع: (٤٣) : (٤٥)

يتأسس هذا التقسيم المقطعي على أساس الانتقال من ضمير إلى آخر، فالشاعر قد انتقل من ضمير المتكلم، إلى ضمير المخاطب، إلى ضمير الغائب، ثم عاد إلى ضمير

المتكلم. فالبطل – إذا صح التعبير – في المقطع الأول هو الشاعر الذي تعمد بدء القصيدة وختمها، وفي الثاني المحبوبة، وفي الثالث الممدوح.

إن الشاعر من خلال المقطع الأول ييث أشجانه، ويحاول إثبات حبه لمحبوته، وأنه ما زال وفياً لتلك العلاقة، ورغم ما يتخلل المقطع من ضمائر أخرى، مثل: "الغائب" العائد على الفتيات الملاح، فإنه لا يفتأ يرتد مرة أخرى إلى ذاته.

وقد جاء الرابط بين المقطع الأول والثاني تمهيدياً، يحاول الشاعر فيه – بعد كل محاولاته لإثبات حبه – إلقاء اللوم على محبوبته، ورغم ذلك فإنه يقنع منها بالقليل. والناظر لأفعال هذا المقطع يجد تنوعاً ما بين حسية ومجردة، فالأولى مثل: "أغضيت – أرى – بعث"، والثانية مثل: "أرضى – خالفتني – واصلتها". ولا شك أن ذلك قد أقام توازياً بين عالمي الحس وعالم التجريد.

وفي المقطع الثاني/ ضمير المخاطب تكثر فيه الأساليب الإنشائية، ولا سيما النهي بلا: "فلا تنكري – ولا تقبلي – فلا تلزميني – ولا تنكري"، والأمر: "سلي"، والاستفهام: "هل اشممت – فهل ملثم اللبات". إن طغيان الأسلوب الإنشائي على المقطع الثاني ليشي بعلو النبرة واختلاف إيقاع الخطاب، الذي أخذ شكل الحدة والحسم، مما يوحي برغبة الشاعر في إثبات هويته بجانب إثبات ولائه لمحبوته، وأنه إذا كان قد ظهر في المقطع الأول بثوب الحب الذي يستجدي العدد من محبوبته، فإن ذلك لا يعني تلاشي ذاته، ولا يعني أن هناك ذرة شك تشوب حبه وهيامه.

ثم يأتي الرابط التمهيدي للمقطع الثالث؛ ليسلط الضوء على صورة من صور الحياة القاسية التي يحياها، ولعل في ذلك تمهيداً لحديثه عن ممدوحه في المقطع الثالث/ ضمير الغائب، وقد تنوع هذا الضمير إلى مفرد وجمع، فتارة يسرد خصال الممدوح، وتارة يسرد مآثر قومه، ورغم أنه جاء غمطياً جمع بين الصفات المتواترة في أشعار السابقين وأهمها "الكرم – الشجاعة"، فإنه قد ألحق به المقطع الرابع الذي يتناول فيه

الحديث عن الممدوح نفسه، إلا أنه عاد مرة أخرى ليرتد إلى ذاته "كنت - حزت - فسقت".

وبعد، فإن بداية الشاعر بذاته وانتهاءه بها ليتناغم مع ما أثر عنه من اعتداده بذاته، وحلمه بإعادة مجد آبائه وأجداده الأمويين، وقد تبين لنا أيضاً مدى تحكم الذات وسيطرتها على مجريات القصيدة من بدايتها إلى نهايتها حتى أنهتها بالشكل الذي تريده.

نتائج الدراسة:

١ - ليس كل الكلمات داخل النص المحدث، يتناص الشاعر فيها مع ما سبقه من نصوص، وإنما هناك بعض الكلمات التي تمثل مرتكزاً لإنتاج أشكال دلالية متعددة، وبالتالي فهي تشكل نواة لإقامة علاقات دلالية في البيت الواحد أو البيتين.

٢ - اتسمت الصيغة الإنجازية في القصيدة بالقوة التعبيرية، مما كان له أبعد الأثر في معتقدات المتلقي سواء أكان تأثيراً حقيقياً أم مؤملاً. وربما يكون ذلك لرسمها صوراً حياتية متعلقة بالذات المبدعة، وأنها كانت بمثابة الوسطة لإعادة إنتاج علاقات لغوية وإيحائية.

٣ - ذاتية الشاعر هي المعيار الفني الذي احتكم إليه في اختياراته اللغوية.

٤ - عُدت بعض الصور الواردة في قصيدة الأبيوردي الأصل في ما أطلقنا عليه "الاستعارة التصويرية"، أما المؤثرات الناتجة عن ذلك فهي فروع لذلك الأصل، وهي مندرجة ومتواترة ضمن ما أطلقنا عليه "النموذج الشعري".

٥ - لعبت بعض الوحدات الدلالية كمكون من مكونات الصورة في القصيدة، إضافة إلى المقصدية دوراً حيوياً في مخالفة بعض صور "النموذج الشعري" والإضافة إليها.

- ٦- بدت الذات من خلال بعض صيغ المطلع حجاجية، تنافح عن رؤيتها للحياة وللكون، حتى وإن كان الآخر يرى عكس تلك الرؤية أو يرى تهافتها، وكذلك بدت متلبسة برداء القوة.
- ٧- كانت بعض المقاطع في القصيدة مدعاة لممارسة إبداع الشاعر في إعادة تشكيل البنية الفنية للبيت ومن ثم القصيدة، فقد استطاع الأبيوردي - من خلال تأثره بشعر الأوائل - أن يجعل من المقطع مختماً ومنطلقاً في الوقت ذاته لإعادة البناء الأغراضى والدلالي في الوقت ذاته.
- ٨- مثلت أركان العلاقات الدلالية الثلاثة: التشاكل - التباين - التصرف، درجاتٍ في كيفية انتساب التجربة ومفرداتها إلى الذات الشاعرة ومشروعيتها.
- ٩- استطاع الشاعر أن يربط بين ما استقدمه من خارج النص وبين ما يتنسب إلى ذاته المبدعة عن طريق تكتيكين محوريين: الحجاج والتوازي، وما تفرع عنهما من أدوات فنية، فالأول مثل: (التأليف الزمني - التداعي - المجاز - الوصل والفصل) والثاني مثل: (توازي الصوائت - توازي الصوامت - التوازي المعجمي - توازي التركيب).
- ١٠- يتبين لنا من خلال هذه القصيدة؛ أن شعراء تلك الحقبة لم يكتفوا - على حد اتهام كثير من الباحثين - بتقليد الشعراء القدامى، أو التأثر بشعرهم، إنما حاولوا - كذلك - إحداث تغيير على كافة مستويات القصيدة الفنية، وأن يضيفوا إلى التجربة الشعرية ما يُنسب إلى ذواتهم الشاعرة.

الهوامش والتعليقات:

- (١) انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (فسس).
- (٢) المنهجية الحديثة في دراسة وتوثيق الموازيك، حسن بدوي ص ٩٥، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الشارقة، سنة ١٩٩٨م.
- (٣) انظر علم النص، جوليا كريستيفا ص ٧٩، ترجمة فريد زاهي، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، المغرب، سنة ١٩٩٧م.
- (٤) ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تزفيتان تودوروف ص ١٥٦، ترجمة/ فخري صالح، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ٢٠١٢م.
- (٥) انظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي ٢/ ١٣٩١: ١٣٩٤، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ١٩٩٣م.
- (٦) انظر ديوان الأبيوردي ٢/ ٦٤٥، الطبعة الأولى، تحقيق/ عمر الأسعد، مجمع اللغة العربية، دمشق، سنة ١٩٧٤م.
- (٧) ميخائيل باختين المبدأ الحواري ص ١٦١.
- (٨) ديوان الأبيوردي ٢/ ٦٤٥.
- (٩) انظر لسان العرب، مادة (تيج).
- (١٠) ديوان حيص بيص ١/ ١١٠، تحقيق/ مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الإعلام، العراق، سنة ١٩٧٤م.
- (١١) ديوان النابغة الجعدي ص ١٨٩، تحقيق د/ واضح الصمد، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٨م.
- (١٢) ديوان توبة بن الحمير ص ٤٤، تحقيق د/ خليل إبراهيم العطية، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٨م.
- (١٣) ديوان الطرماح ص ٩٩، تحقيق د/ عزة حسن، دار الشرق العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٤هـ، سنة ١٩٩٤م.
- (١٤) ديوان الأبيوردي ٢/ ٦٥٠.
- (١٥) انظر لسان العرب مادة (حوز).

- (١٦) ديوان الشريف المرتضى ٢ / ٣٣٨، تحقيق محمد التونجي، دار الجليل، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ١٩٩٧م.
- (١٧) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٨٦، شرح د/ خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- (١٨) ديوان الصنوبري ٢ / ٣٩٣، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٨م.
- (١٩) ديوانه ١ / ١٦٤.
- (٢٠) انظر فن الشعر ورهان اللغة، د/ أحمد حيزم ص ١٣٢، دار صامد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، تونس، سنة ٢٠١٢م.
- (٢١) ديوانه ٢ / ٦٤٨.
- (٢٢) ديوان الشريف الرضي ٢ / ٦٤١، تحقيق/ محمد بن سليم اللبابيدي، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، سنة ١٣٠٩هـ.
- (٢٣) شرح ديوان المتنبي ٢ / ٦، شرح/ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٣١هـ، سنة ٢٠١٠م.
- (٢٤) ديوان عنتر بن شداد ص ٥٧، ٦٦، ٢٩، مطبعة الآداب، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، سنة ١٨٩٣م.
- (٢٥) انظر تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح ص ١٤٠، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، المغرب، ولبنان، سنة ٢٠٠٥م.
- (٢٦) ديوانه ٢ / ٦٤٨.
- (٢٧) ديوان ابن الرومي ١ / ٣٣٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٣هـ، سنة ٢٠٠٢م.
- (٢٨) ديوانه ٢ / ٨٤٤.
- (٢٩) ديوان الكميت بن زيد الأسدي ص ٢٧، تحقيق د/ محمد نبيل طريفي، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ٢٠٠٠م.
- (٣٠) انظر الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، د/ جمال بن دحمان ص ١٦٧، ١٦٨، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ٢٠١١م.

- (٣١) ديوانه ٢ / ٦٤٦ .
- (٣٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٢١١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٤٠٤ هـ، سنة ١٩٨٤ م.
- (٣٣) ديوانه ١ / ٢٧٥ .
- (٣٤) شرح ديوان أبي تمام، التبريزي، تحقيق/ راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٧ هـ، سنة ٢٠٠٧ م.
- (٣٥) ديوانه ص ١٨ .
- (٣٦) ديوانه ١ / ١٢٨ .
- (٣٧) تحليل الخطاب الشعري ص ٨٣ .
- (٣٨) ديوانه ٢ / ٦٤٧ .
- (٣٩) ديوانه ١ / ١٩٣ .
- (٤٠) انظر موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس ص ١٩٦، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، سنة ١٩٥٢ م.
- (٤١) انظر المرجع نفسه ص ١٧٥، ١٧٦ .
- (٤٢) انظر من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، د/ أحمد حيزم ص ٣١، دار صامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، سنة ٢٠١٠ م.
- (٤٣) ديوانه ٢ / ٦٤٧ .
- (٤٤) الشهاب في الشيب والشباب، الشريف المرتضي ص ١٦٧، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٢ هـ، سنة ١٩٨٢ م.
- (٤٥) ديوان ابن الخياط ص ١٤٧، تحقيق خليل مردم، المجمع العلمي العربي، دمشق، سنة ١٣٧٧ هـ، سنة ١٩٥٨ م.
- (٤٦) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ص ٣٨٥، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٣٧٧ هـ، سنة ١٩٥٧ م.
- (٤٧) من شعرية اللغة إلى شعرية الذات ص ٣١ .
- (٤٨) انظر من شعرية اللغة إلى شعرية الذات ص ٣٥ .

- (٤٩) سقط الزند، أبو العلاء المعري ص ٢٣٥، تحقيق د/ صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- (٥٠) ديوان البحري ٣ / ١٧٠١، تحقيق/ حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٦٤م
- (٥١) ديوان السري الرّفاء ص ٣٧٢، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- (٥٢) من شعرية اللغة إلى شعرية الذات ص ٣٦.
- (٥٣) انظر معجم تحليل الخطاب، ترجمة د/ عبد القادر المهيري، و د/ حمادي صمود ص ٣٢٢، ٣٢٣، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، سنة ٢٠٠٨م.
- (٥٤) ديوانه ٢ / ٦٤٦.
- (٥٥) ديوانه ص ١٧٤.
- (٥٦) ديوانه ٢ / ٦٤٦.
- (٥٧) ديوانه ٢ / ٦٤٧.
- (٥٨) ديوان ذو الرمة ص ٢٥١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٧هـ، سنة ٢٠٠٦م.
- (٥٩) ديوان الخطيئة ص ٢٥٤، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق/ نعمان أمين طه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، دون تاريخ.
- (٦٠) ديوان أبي نواس ص ٣٧٤، تحقيق/ أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- (٦١) ديوانه ١ / ٣٠٥.
- (٦٢) فن الشعر ورهان اللغة ٤٩٦، ٤٩٧.
- (٦٣) ديوانه ٢ / ٦٤٦.
- (٦٤) ديوان امرئ القيس ص ٤٨، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- (٦٥) انظر المرجع نفسه ص ٤٨.
- (٦٦) انظر لسان العرب مادة (حجج).

- (٦٧) انظر في نظرية الحجاج، د/ عبد الله صولة ص ٧٨، مسكيلاني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، سنة ٢٠١١م.
- (٦٨) ديوانه ٢ / ٦٤٦.
- (٦٩) انظر في نظرية الحجاج ص ٩٠، ٩١.
- (٧٠) انظر المرجع نفسه ص ٩١.
- (٧١) ديوانه ٢ / ٦٥٠.
- (٧٢) ديوانه ٢ / ٦٥٠.
- (٧٣) انظر في نظرية الحجاج ص ٩٥.
- (٧٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ص ٢٢٢، تحقيق د/ محمود شاكر، الهيئة العامة للكتاب، مصر، سنة ٢٠٠٠م.
- (٧٥) ديوانه ٢ / ٦٤٦.
- (٧٦) ديوانه ٢ / ٦٤٧.
- (٧٧) نفسه ٢ / ٦٤٦.
- (٧٨) في نظرية الحجاج ص ١٠٤.
- (٧٩) ديوانه ٢ / ٦٤٩.
- (٨٠) نفسه ٢ / ٦٤٧.
- (٨١) ديوانه ٢ / ٦٤٧.
- (٨٢) الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري ص ١٩١.
- (٨٣) ديوانه ٢ / ٦٤٥.
- (٨٤) نفسه ٢ / ٦٤٩.
- (٨٥) ديوانه ٢ / ٦٥٠.
- (٨٦) ديوانه ٢ / ٦٥١.

المصادر والمراجع

- الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، د/ جمال بن دحمان، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ٢٠١١م.
- تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، المغرب، ولبنان، سنة ٢٠٠٥م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د/ محمود شاكر، الهيئة العامة للكتاب، مصر، سنة ٢٠٠٠م.
- ديوان ابن الخياط، تحقيق خليل مردم، المجمع العلمي العربي، دمشق، سنة ١٣٧٧هـ، سنة ١٩٥٨م.
- ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٣هـ، سنة ٢٠٠٢م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح د/ خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- ديوان أبي نواس، تحقيق/ أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- ديوان الأبيوردي، تحقيق/ عمر الأسعد، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، دمشق، سنة ١٩٧٤م.
- ديوان امرئ القيس، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- ديوان البحتري، تحقيق/ حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٦٤م.
- ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ، سنة ١٩٥٧م.

- ديوان توبة بن الحمير، تحقيق د/ خليل إبراهيم العطية، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٨ م.
- ديوان الخطيئة، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق/ نعمان أمين طه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، دون تاريخ.
- ديوان حيص بيص، تحقيق/ مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الإعلام، العراق، سنة ١٩٧٤ م.
- ديوان ذو الرمة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٧ هـ، سنة ٢٠٠٦ م.
- ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
- ديوان الشريف الرضي، تحقيق/ محمد بن سليم اللبائدي، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، سنة ١٣٠٩ هـ.
- ديوان الشريف المرتضى، تحقيق محمد التونجي، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ١٩٩٧ م.
- ديوان الصنوبري، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٨ م.
- ديوان الطرماح، تحقيق د/ عزة حسن، دار الشرق العربي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٤ هـ، سنة ١٩٩٤ م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٤٠٤ هـ، سنة ١٩٨٤ م.
- ديوان عنتر بن شداد، مطبعة الآداب، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، سنة ١٨٩٣ م.
- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق د/ محمد نبيل طريفي، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠ م.

- ديوان النابغة الجعدي، تحقيق د/ واضح الصمد، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٨م.
- سقط الزند، أبو العلاء المعري، تحقيق د/ صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٨هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- شرح ديوان أبي تمام، التبريزي، تحقيق/ راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٢٧هـ، سنة ٢٠٠٧م.
- شرح ديوان المتنبي، شرح/ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٣١هـ، سنة ٢٠١٠م.
- الشهاب في الشيب والشباب، الشريف المرتضي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٢هـ، سنة ١٩٨٢م.
- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد زاهي، دار توبقال للنشر، الطبعة الثانية، المغرب، سنة ١٩٩٧م.
- فن الشعر ورهان اللغة، د/ أحمد حيزم، دار صامد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، تونس، سنة ٢٠١٢م.
- في نظرية الحجاج، د/ عبد الله صولة، مسكيلاني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، سنة ٢٠١١م.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ١٩٩٣م.
- معجم تحليل الخطاب، ترجمة د/ عبد القادر المهيري، و د/ حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، سنة ٢٠٠٨م.
- من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، د/ أحمد حيزم، دار صامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تونس، سنة ٢٠١٠م.

- المنهجية الحديثة في دراسة وتوثيق الموازيك، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، سنة ١٩٩٨ م.
- موسيقى الشعر، د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، سنة ١٩٥٢ م.
- ميخائيل باختين المبدأ الحوارى، تزفيتان تودوروف، ترجمة/ فخري صالح، رؤية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ٢٠١٢ م.

"انْعَاسُ الْمَعْنَى عَلَى الْمَبْنَى فِي نُونِيَّةِ الرَّنْدِيِّ"

د. محمد علي الهروط

الأردن – الجامعة الألمانية الأردنية

"انعكاسُ المعنى على المبنى في نونية الرندي"
د. محمد علي الهروط

ملخص:

تَعَيَّتْ تَضَاعِيفُ الْبَحْثِ تَجَلِيَّةَ الْعَلَاqَةِ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى فِي نُونِيَّةِ أَبِي الْبَقَاءِ الرُّنْدِيِّ، إِذْ بَيَّنَّ الْبَحْثُ - عَبْرَ الشَّوَاهِدِ - أَنَّ ظِلَالَ الْمَعْنَى (الْتَّنَائِيَّةَ الضَّدِّيَّةَ: التَّحَوُّلَ السَّلْبِيَّ مِنَ الْاسْتِقْرَارِ وَالْإِسْتِقْلَالِ إِلَى الدَّمَارِ وَالْإِحْتِلَالِ الَّذِي انْتَابَ الْأَنْدُلُسَ)، انْعَكَسَ عَلَى لُغَةِ الْقَصِيدَةِ وَبَنَائِهَا، وَتَوَجَّهَ مُسْتَوَيَاتُهَا: الدَّلَالِيَّةُ وَالنَّحْوِيَّةُ وَالْبَلَاغِيَّةُ وَالْعَرُوضِيَّةُ.

وَخَلَصَ الْبَحْثُ إِلَى أَنَّ لُغَةَ الْقَصِيدَةِ (المبنى) اسْتَجَابَتْ لِضَغْطِ الْمَعْنَى، فَجَاءَتْ أَدَاةً طَبِيعَةً، وَمُتَسَاوِفَةً مَعَ مَقْصِدِيَّةِ الشَّاعِرِ الْتَائِرِ عَلَى الْإِحْتِلَالِ الْجَائِرِ، وَقَدْ ظَهَرَتْ اسْتِجَابَةُ الْمَبْنَى عَبْرَ اسْتِعْمَالِ الشَّاعِرِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَدُلَّ عَلَى التَّحَوُّلِ وَالتَّقْلُبِ وَالْإِنْزِيَاكِ وَالتَّضَادِّ (مِنْ الْأَصْلِ إِلَى الْفَرْعِ/ الْمَأْلُوفِ إِلَى غَيْرِ الْمَأْلُوفِ/ الْمَتَوَقَّعِ إِلَى غَيْرِ الْمَتَوَقَّعِ/ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ...)، سَوَاءً أَكَانَ الْمُسْتَعْمَلُ لَفْظًا، أَمْ جُمْلَةً، أَمْ أُسْلُوبًا.

الكلمات المفتاحية: انعكاسُ المعنى على المبنى، نونية الرندي.

Abstract:

The research aims at clarification the relationship between the thematic purport and structure in (Nuniyyat Al-Rndy). The research has clarified through exemplifying that the thematic purport (negative transformation from independence into occupation) which is reflected on the language, the structure of the poem and influencing its semantical and syntactic and rhetorical and metrical levels.

The research concluded that the language of the poem responded to the pressure of the thematic purport the aspects of this response can be seen by the use of everything which is related to this transformation and antynoms (from the original to the branches), either being used as word or sentence or style.

Keywords: The relationship between the thematic purport the structure, Nuniyyat Al-Rundy.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ تُقْصَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُولُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتَمًا كُلَّ سَابِعَةٍ
وَيَتَضَيَّ كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
أَيَّنَ الْمُلُوكُ دُورَ النَّجَاحِ مِنْ يَمَنِ؟
وَأَيَّنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرَمٍ؟
وَأَيَّنَ مَا حَازَهُ قَارُونَ مِنْ دَهَبٍ؟
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ
دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارًا وَقَاتَلَهُ
كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
فَجَائِعِ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ
وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوكٌ يُسَهِّلُهَا
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَاثْمَحَتْ
فَاسْأَلْ بِلَنَسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَةٍ؟
وَأَيَّنَ قُرْطُبَةُ دَارِ الْعُلُومِ؟ فَكَمْ
وَأَيَّنَ حِمَصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْهِ؟
قَوَاعِدُ كُنْ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا
تُبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ

فَلَا يُعْرِ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
إِذَا بَبَتْ مَشْرِفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ
كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنَ وَالْغَمْدُ غُمْدَانُ
وَأَيَّنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ؟
وَأَيَّنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ؟
وَأَيَّنَ عَادَ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ؟
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانُ
وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ
يَوْمًا وَلَا مَلِكَ الدُّنْيَا سَلِيمَانُ
وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ
وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكُ
هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَأَنْهَدَ تَهْلَانُ
حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
وَأَيَّنَ شَاطِئَةُ أَمَّ أَيْنَ جِيَّانُ؟
مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضٌ وَمَلَّانُ
عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ
قَدْ أَفْغَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمرَانُ

حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا
 حَتَّى الْمَحَارِبُ تُبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
 يَا غَافِلًا - وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ -
 وَمَاشِيًا مَرَحًا يُلْهِيه مَوْطِنُهُ
 تِلْكَ الْمَصِيبَةُ أَتَسَتْ مَا تَقْدَمُهَا
 يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً
 وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً
 وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَةٍ
 أَعِنْدَكُمْ بَبًا مِنْ أَهْلِ أُنْدُلُسٍ؟
 كَمْ يَسْتَعِثُّ بِنَا الْمُسْتَضْعِفُونَ وَهُمْ
 مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ
 أَلَا نُفُوسٌ أَيْبَاتُ لَهَا هِمٌّ
 يَا مَنْ لِدِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمْ
 بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ
 فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ
 وَلَوْ رَأَيْتُ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمْ
 يَا رَبِّ أُمٌّ وَطِفْلٌ حَيْلَ بَيْنَهُمَا
 وَطِفْلَةٌ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ
 يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً
 لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ

فِيهِنَّ إِلَّا نُوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ
 حَتَّى الْمَنَابِرُ تُرْثِي وَهِيَ عِيدَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الدَّهْرِ يَقْظَانُ
 أَبْعَدَ حِمَصٍ تُعْرِ الْمَرْءَ أَوْطَانُ؟
 وَمَا لَهَا مَعَ طُولِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
 كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عَقْبَانُ
 كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ النَّفْعِ نِيرَانُ
 لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
 فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
 أَسْرَى وَقَتْلَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
 وَأَنْتُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَانُ؟
 أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانُ وَأَنْصَارُ
 أَحَالَ خَالَهُمْ كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
 وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
 عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ أَلْوَانُ
 لَهَا لَكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
 كَمَا تَفَرَّقَ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ
 كَأَنَّهَا هِيَ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
 وَالْعَيْنُ بِأَكِيَّةٍ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ
 إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ^(١)

مُقدِّمة:

جاءت قصيدة الرُّندي رَدَّةً فعلٍ طَبِيعِيَّةٍ على ما اجْتَرَحَهُ أَيْدِي الفَرَنْجَةِ
بالأندلس، الَّذِي أَهْلَكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، إِذْ وَقَبَ شَفَقُ الأندلس، وَخَوَى نَجْمُهَا،
فَتَمَلَّكَتْ هَذِهِ الصُّورُ مَجَامِيْعَ أَحاسيسِ الشَّاعِرِ، وَتَلَبَّسَتْ بِمَشَاعِرِهِ، وَتَمَسَّكَتْ
بِنَلَايِبِ وَجْدَانِهِ، فَاسْتَحْوَذَ ذَلِكَ مَكَانًا عَلِيًّا فِي بِنَاءِ الْقَصِيدَةِ وَارْتَدَّ صَدَاهُ جَلِيًّا فِي
مُقَوِّمَاتِهَا؛ إِذْ حَاوَلَ الشَّاعِرُ إِرْقَاءَ دِمَاءِ آبَاءٍ جَلَدَتْهُ الَّذِينَ صَارُوا هَدْمًا، وَأَفْصَحَ عَنِ
امْتِعَاضِهِ وَتَبَرُّمِهِ مِنَ التَّحَوُّلِ الَّذِي انْتَابَ بَلَدُهُ بِلُغَتِهِ الشَّعْرِيَّةِ؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ الْقَصِيدَةُ
مُحَذَّرَةً مِنَ الأَخْطَارِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ الْمُحْدِقَةِ إِذَا مَا انْتَكَسَ الْعَرَبُ أَوْ تَحَادَّلُوا،
وَمُجَسَّدَةً - فِي مُجْمَلِهَا - حَالَةَ الشَّاعِرِ النَّفْسِيَّةَ الْحَزِيْنَةَ النَّاجِمَةَ - كَمَا يُسَمَّى فِي عِلْمِ
النَّفْسِ - عَنْ مُثِيرٍ خَارِجِيٍّ، وَأَنْفِعَالًا مُتَأَجِّجًا عَلَى نَفْسٍ مُحْتَرِقَةٍ مُتَأَسِّيَّةٍ عَلَى الضِّيَاعِ.

وَمِنْ هُنَا، فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ - بِحَقٍّ - رِثَاءٌ صَادِرٌ مِنَ الْقَلْبِ^(١)، يَقُولُ يَاسِينَ
الأيُّوبي: "مِنْ جَمِيلِ المَرَاثِي الصَّادِقَةِ المؤَثَّرَةِ رِثَاءِ المَدُنِ وَالْأَوْطَانِ، الَّذِي يَصْدُرُّ
عَنْ تَجَرِبَةٍ صَادِقَةٍ مُعَمَّقَةٍ؛ لِأَنَّهَا تَتَجَاوَرُ مِحْنَةَ الشَّاعِرِ الْخَاصَّةِ إِلَى حَدَثٍ كَبِيرٍ يَشْمَلُ
الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ الْمَنْظُورَيْنِ فِي السَّمْعِ وَالْبَصِيرَةِ"^(٢).

وَلِأَنَّ الْقَصِيدَةَ تُعَدُّ مِنْ غُرَرِ قَصَائِدِ "رِثَاءِ المَدُنِ وَالْمَمَالِكِ"؛ فَقَدْ طَافَتْ فِي
الآفَاقِ وَسَارَ بِهَا الرِّفَاقُ، وَتَقَلَّقَتْ فِي الْبِلَادِ، وَتَلَقَّفَهَا النَّاسُ حَتَّى شَاعَتْ مَبَانِيهَا،
وَدَاعَتْ مَعَانِيهَا، وَقَدْ مَثَلَتْ لَوْحَةً فَنِيَّةً شَاكِيَةً بَاكِئَةً، وَمَقْطُوعَةً تَرَاجِيدِيَّةً مُخْزِيَةً جَادَتْ
بِهَا قَرِيحَةُ الشَّاعِرِ، الَّذِي أَجْبَرَنَا عَلَى التَّرْحَالِ مَعَهُ فِي أَجْوَانِهَا، الَّتِي وَصَفَتْ بِشَكْلِ
دَقِيقٍ رَقِيقٍ مَا حَلَّ بِالْأندلسِ، وَبَيَّنَّتْ حَالَ الْأُمُورِ الَّتِي تَوُولُ حَالَهَا إِلَى الضَّدِّ،
وَصَوَّرَتْ حَالَ الْمُسْلِمِينَ وَفِتْدَاكَ وَهُمْ فِي أَمْرٍ لَا يُنَادَى وَلِيْدُهُ.

لَمْ تَتَوَقَّفِ المَرثِيَّةُ عِنْدَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، بَلْ تَأَثَّرَ بِهَا الشَّاعِرُ

الإسباني خورخي منريكي Jorge Manrique (١٤٤٠-١٤٧٩)، عندما رثى والده بقصيدة تشابه كثيراً مع عددٍ فقرات قصيدة الرندي ومضامينها وأفكارها^(٤).

ومن شدة اهتمام الناس آنذاك بالقصيدة، لم تخلُ من التصرفِ بها، ولم تسلم من العبث، إذ امتدت ألسنة الناس إليها، فأضافوا إليها آياتاً لم يفهمها الشاعر؛ لفرط إعجابهم بها، إذ يقول المقرئ بشأن هذه الزيادات: "وَعَالِبُ ظَنِّي أَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَاتِ لَمَّا أُخِذَتْ غِرْنَاطَةُ وَجَمِيعُ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ - إِذْ كَانَ أَهْلُهَا يَسْتَنْهَضُونَ هِمَمَ الْمُلُوكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ - فَكَانَ بَعْضُهُمْ لَمَّا أَعْجَبَتْهُ قَصِيدَةُ صَالِحِ بْنِ شَرِيفٍ، زَادَ فِيهَا تِلْكَ الزِّيَادَاتِ"^(٥).

لو تتبعنا آيات القصيدة، لألفينا أن صدرَ الرندي قد حصرَ مما حدثَ لبلده، وأنَّ الهمَّ الناجمَ عن التحوُّلِ السلبيِّ في الأندلس لم يبرح أفكارَ القصيدة، أو يُعَادِرُ تضاعفها، إذ استهلَّ الشاعرُ قصيدته بمجموعةٍ من الحكمِ الواعظةِ المستلهمةِ عن تجربةٍ حقيقيةٍ (سقوط الأندلس وتبدُّلِ حالها)؛ ليُدلِّ بها الشاعرُ على أنَّ الأمورَ لا تبقى على حالها، بل تتحوَّلُ وتتغيَّرُ، فالتمَّامُ لا بدُّ له من نقصٍ يتخلَّلُه، والسُّرورُ لا بدُّ من حُزنٍ يُخالِطُه.

بعد ذلك استحضَرَ الشاعرُ مثلاً على ذلك من الملوك والقادة الذين علا شأنهم في التاريخ القديم، ثمَّ تساءل: أين هم؟ وأين أملاكهم وتيجانهم وأموالهم؟ لقد صاروا أثراً بعد عين، وكأنَّه يكرِّرُ قولَ أبي العلاء المعري^(٦):

صَاحَ هَٰذَا قُبُورُنَا تَمَلُّا الرَّحْمَ — بَ فَالْأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
ثُمَّ يَنْتَقِلُ الشَّاعِرُ - عَلَى نَحْوِ سَرِيعٍ - إِلَى ذِكْرِ حَالِ الْأَنْدَلُسِ الْمَتَقَلِّبِ بَعْدَ الْإِخْتِلَالِ، ذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَدْعَى صُورَةَ الْمَدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ اللَّوَاتِي صِرْنَ رُسُوماً دَوَارِسَ بَعْدَ أَنْ كُنَّ قَوَاعِدَ الْبِلَادِ، وَبَيَّنَّ حَالَ الْمَسَاجِدِ اللَّوَاتِي تَحْوُلْنَ إِلَى كَنَائِسَ، وَمَحَارِبِهِنَّ وَمَنَابِرِهِنَّ اللَّوَاتِي يَبْكِينَ وَيَرْتَيْنَ حَالَهُنَّ، وَيَشْكِينَ خُلُوهُنَّ مِنَ الْمَصْلُوكِينَ.

وفي نهاية القصيدة يُبرزُ الشاعرُ التَّحوُّلَ الَّذِي انْتَابَ سُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ، فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، انْفَضُّوا عَنْ بَعْضِهِمْ طَرَائِقَ قِدْدًا، وَتَقَطَّعَ أَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا، وَإِذْ يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ يَخُصُّ بِالذِّكْرِ أَهْلَ الْمَغْرِبِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تُثِرْهُمْ حَالَةُ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ مَا عَادُوا شَيْئًا مَذْكُورًا - بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُلُوكًا - تَحْتَ الْإِخْتِلَالِ، وَلَمْ تَسْتَفْزِزْهُمْ صُورَةُ الْأُمِّ وَالطِّفْلِ اللَّذِينَ فُتِقَا بَعْدَ أَنْ كَانَا رَتْقًا، وَلَمْ تُخْزِنُهُمْ صُورَةُ الطِّفْلِ الَّتِي يَقُودُهَا الْعِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً، فَانْسَلَخَتْ عَنْ حِضْنِ وَالِدَتِهَا بَعْدَ أَنْ تَرَعَرَعَتْ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ بَيْنَهُ فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغِبْطَةٍ.

نَهَضَتِ الْقَصِيدَةُ بِرُمُتِهَا عَلَى الثَّنَائِيَةِ الضَّدِّيَّةِ (التَّحَوُّلُ مِنَ الْمَاضِي الْجَمِيلِ الْمُحَبَّبِ إِلَى الْحَاضِرِ الْقَيْحِ الْمَكْرُوهِ) الَّتِي عَاشَتْهَا الْأَنْدَلُسُ، وَقِيَامَ الْقَصِيدَةِ عَلَى فِكْرَةِ الثَّنَائِيَّةِ تُذَكِّرُنَا بِقَصَائِدِ أُخَرَ بُنِيَتْ عَلَى الْمُنَوَالِ نَفْسِيَّةٍ، وَمِنْهَا: ثُونِيَّةُ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي، وَثُونِيَّةُ ابْنِ زَيْدُونَ (أَضْحَى الثَّنَائِي) الَّتِي شَكَا فِيهَا بَنُوهُ وَحُزْنُهُ، وَنَشَرَ لَوَاعِجَهُ الْمُمْتَدَّةَ لِمَحَبُوبَتِهِ وَلَادَةً بِنْتَ الْمُسْتَكْفِي عَبْرَ اسْتِعْمَالِ أُسْلُوبِ التَّضَادِّ: الْبُعْدُ وَالْقُرْبُ، الْإِقَاءُ وَالْجَفَاءُ...

وَلَاَنَّ الشَّعْرَ مِنْ حَيْثُ اللَّعْنَةُ (الْمَقَالُ / الْمُبْنَى) مُلْتَصِقٌ بِتَصَاقًا شَدِيدًا بِالظُّرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِالشَّاعِرِ وَمَقْصِدِهِ الشَّعْرِيِّ (الْمَقَامُ / الْمَعْنَى)؛ فَقَدْ أَغْرَأْنَا ذَلِكَ إِلَى تَلْمُسِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمُبْنَى^(٧)، وَسَبَرِ غُورِ مَظْهَرِ التَّأَثُّرِ وَالتَّأْيِيرِ بَيْنَهُمَا فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي شَكَّلَتْ مَحَجَّةَ الْبَحْثِ، وَمَحَطَّةَ رَاحِلَتِهِ.

لَقِيَتِ الْقَصِيدَةُ اهْتِمَامًا مِنَ الْبَاحِثِينَ، إِذْ أُجْرِيتْ عَلَيْهَا عِدَّةُ دِرَاسَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، إِذْ يُمْكِنُ إِجْمَالُ أَبْرَزِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْبَاحِثُ بِمَا يَلِي:

١ - دِرَاسَةُ مُحَمَّدٍ مِفْتَاح - وَهِيَ الْأَقْدَمُ - فِي كِتَابِهِ الْمَعْنُونِ بِ: (فِي سِيْمَاءِ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ).

- ٢- دراسة السعيد النوتي بعنوان (قصيدة أبي الطيب الرندي في رثاء الأندلس/ دراسة بلاغية تحليلية).
- ٣- دراسة عبد السميع موفق بعنوان (تفاعل البنى في نونية أبي البقاء الرندي- مقارنة أسلوية).
- ٤- دراسة محمد رضوان الداية (أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس).
- ٥- دراسة بوعلام رزيق بعنوان (الخصائص الأسلوية في نونية أبي البقاء الرندي).
لكنَّ الفارقَ بينَ هذه الدراسة وتلك؛ أنَّ تلكَ الدراساتَ لم تُسلطِ الضوءَ على أثر المعنى في توجيه الظواهر الأسلوية والفنية واللغوية المبنوثة في القصيدة، ذلكَ الأثر الذي حاولَ هذا البحثُ استجلاءه، وتفسيره تفسيراً يتساقط مع مناسبة القصيدة؛ للوقوف على لغة الشاعر التي جاءت أداة طيعة معبرة عما يدور حوله، وجواء يلجأ إليه، ومتنفساً للهروب من الضغط الذي يكابده، ومراغم لبث حزنه.
والسؤال المطروح الآن: كيف عبّر الشاعر عن المعنى (التحول من الإيجاب إلى السلب) عبر المبنى؟ يظهر ذلك عبر استعمال الشاعر الأبواب الدلالية والنحوية والبلاغية والعروضية التي يتجلى في ظاهرها معنى عام (التحول والتقلب)، وفي باطنها (شواهدا من القصيدة) معنى خاص مرتبط بمقصديّة الشاعر من البيت الشعري، ومثال ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - جُئِش الشاعر إلى الجملة الإنشائية الطلبية التي تُشير في ظاهرها إلى معنى التحول؛ لأنَّ معناها يتحول من الحقيقة إلى المجاز، أمّا المعنى الخاص من استعمال هذه الجملة فيقرأ عبر موطنها في القصيدة.
أملت طيعة الموضوع أن تُقسّم عُنَوانه الرئيسة على أربعة أقسام: الظواهر الدلالية، والظواهر البلاغية، والظواهر النحوية، والظواهر العروضية، تُنسرب فيها العُنَوانات الفرعية، وإليكها في موضعها.

١. الظواهر الدلالية:

● الألفاظ الدالة على التحول:

إنَّ المتمعنَ بطبيعة الألفاظ التي انتقاهما الشاعرُ من معجمه اللغوي، ليوظفها في القصيدة، يجدُّها - في معظمها - تنتمي إلى الحقل الدلالي (التغير والتقلب)، بل أضاف الشاعر عليها فوضاً من الدلالات التي تحيلُ انزياحاً من معناها الأصلي كالتحسر والندم؛ ليربطها مع ما يحيطُ به من تحول وتقلب؛ وهذا مما لا شك فيه أضفى على القصيدة جواً أشبه ما يكونُ بما تم فيه العويل والنحيب، وأثرت الجمال الفني اللغوي للقصيدة، وألبستها ثوباً من التحسر وتهيج المشاعر، ووضعت القارئ في أجواء التحول التي خيمت على ديار الأندلس.

تنوع أسلوب الشاعر في توظيف هذه الظاهرة، فانقسم على قسمين:

أ. الطباق (اللفظتان):

يعدُّ الطباق - بلاغياً - محسناً بديعياً، وسبيلاً من سبل عرض المعاني - معجمياً - وحين يستعمل في التغير، فإنه يهدف إلى إقامة الضدية بين الألفاظ والمعاني والصور في الكلام؛ تحقيقاً لغايات بلاغية وجمالية تنميقية، إذ يستعين به المرء؛ لغايات جذب الانتباه، فيحاول التملق إمعان النظر في هذا اللون، ومعرفة القصد منه، وكما يقال: "ويضدها تميز الأشياء".

لا ريب في أن أسلوب (الطباق) فيه ضرب من التحول، ذلك أننا عندما نستعمل لفظاً فيه معنى ما، ثم تأتي بما يقابله، حينئذ يكون المعنى العام للفظتين قد اكتسب نوعاً من التقلب، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَسْبُهُمْ أَيْقَاطُ وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٨)؛ أي: لو رأيتهُم لظننتهم أيقاطاً بسبب تقلبهم وتفتح عيونهم، والحال أنهم نيام^(٩). فقد أسهم الطباق في دفع التوهم (الاستيقاظ)، فانقلب المعنى من حال إلى حال.

أَمَّا الرُّنْدِيُّ فَقَدْ اسْتَعْمَلَ هَذَا الْأُسْلُوبَ كَثِيرًا، وَلَمْ يَأْتِ بِهِ عَلَى عَوَاهِنِهِ بُعِيَّةَ التَّحْسِينِ الْبَدِيعِيِّ، أَوْ إِضَافَةِ مَسْحُوقٍ تَجْمِيلِيٍّ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مِنْهُ رِسَالَةٌ مُؤَدَّاهَا: إِنَّ الضَّدَّ لَأَبَدٌ وَأَنْ يَقْتَرَنَ بِضِدِّهِ، وَإِنَّ الضُّدَّيْنِ لَيْسَا بِبَعِيدَيْنِ فِي الْمَسَافَةِ وَالزَّمَنِ، فَهُمَا مُتَجَاوِرَانِ لَفْظًا، وَمُخْتَلِفَانِ مَعْنَى، لَكِنَّهُمَا مَعَ بَعْضِهِمَا بَعْضًا - فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ - يُؤَدِّيَانِ مَعْنَى عَامًّا.

يَنْسَجِمُ أُسْلُوبُ الطَّبَاقِ مَعَ حَالَةِ الضَّدِّيَّةِ الَّتِي اكْتَنَفَتِ الْأَنْدُلُسُ، إِذْ يُفِيدُ تَوْظِيْفُهُ التَّوْضِيْحَ الدَّقِيقَ لِمَا آلَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ فِي الْأَنْدُلُسِ، فَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَرِيبَةً طَبِيعَةً مُطْمَئِنَّةً، أَضْحَتْ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا؛ يَسَبِّبُ الدَّمَارَ وَالسَّلْبَ، وَلَنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ غَالِبَ الْمَوَاطِنِ الْمَتَضَمِّنَةِ أُسْلُوبَ الطَّبَاقِ فِي الْقَصِيدَةِ، اسْتُلْهِمَتْ مَعَانِيَهَا مِنَ الْحَالَةِ الْوَاقِعِيَّةِ لِلأَنْدُلُسِ، لِذَلِكَ سَاعَدَ الطَّبَاقُ فِي رَسْمِ صُورٍ وَاقِعِيَّةٍ لِحَالِ الْأَنْدُلُسِ لَا خَيَالِيَّةٍ، وَمِنْهَا:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُعْرِ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

جَاءَ الطَّبَاقُ فِي الْبَيْتِ بَيْنَ (تَمَّ وَنُقْصَانُ)، فَالْبَيْتُ حَافِلٌ بِمَعَانِي الْحِكْمَةِ، الَّتِي تَمَحَّضَتْ عَنْ تَجْرِبَةٍ عَاشَهَا الشَّاعِرُ (اِخْتِلَالِ الْأَنْدُلُسِ)، فَبَعْدَ أَنْ بَطِرَتْ مَعِيشَتُهَا، تَحَوَّلَتْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَأَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يُعَمِّمَ هَذَا الْأَمْرَ عَلَى الْأَشْيَاءِ بِحِكْمَةٍ فِيهَا مَعْنَى التَّحَوُّلِ، فَرَبَطَ تَحَوُّلَ الْأَشْيَاءِ بِدَلَالَةِ ثَنَائِيَّةِ الطَّبَاقِ (الشَّيْءُ وَضِدُّهُ)، وَهِيَ صُورَةٌ بَصَرِيَّةٌ تَعْتَمِدُ عَلَى عُنْصُرِ الْمَقَابَلَةِ بَيْنَ مَظْهَرَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ يُوُولُ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا إِلَى الثَّانِي، وَهَذَا يُعَدُّ مِنْ بَرَاعَةِ الْاسْتِهْلَالِ فِي الْقَصَائِدِ.

هِيَ الْأُمُورُ - كَمَا شَاهَدَتْهَا - مِنْ سَرِّهِ زَمَنُ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ

مَا زَالَ الشَّاعِرُ يَسْرُدُ الْحِكْمَ عَلَى تَقَلُّبِ حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَحَوْلَائِهِ، فَتَارَةً أَفْرَحَتْكَ، لَكِنَّهَا سَرَعَانَ مَا تُحْزِنُكَ أَرْمَانًا. وَقَدْ أَضْفَى الطَّبَاقُ بَيْنَ (سَرٍّ وَسَاءٍ) نَوْعًا

مِنَ الْإِيحَازِ وَالْإِخْتِصَارِ مَعَ إِصْصَالِ الْمَدْفِ مِنْهُ، فَعَجَزُ الْبَيْتِ أَشْبَهُ مَا يَكُونُ تَوْقِيعاً مِنْ
التَّوْقِيعَاتِ أَوْ الْمُسْكُوكَاتِ اللَّغَوِيَّةِ.

يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِعَةٍ إِذَا نَبَتَ مَشْرِفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ

وَوَظَّفَ الشَّاعِرُ الطَّبَاقَ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْفِعْلَيْنِ (يُمَزَّقُ وَ نَبَتَ)، فَالْفِعْلُ
(يُمَزَّقُ) يَعْنِي: التَّقْطِيعَ إِلَى أَجْزَاءٍ، وَالْفِعْلُ (نَبَتَ) يَعْنِي: عَدَمَ الْقَطْعِ وَهُوَ صِفَةٌ
لِلسَّيْفِ، وَالْمَثَلُ الْعَرَبِيُّ يَقُولُ: (لِكُلِّ صَارِمٍ نَبْوةٌ).

وَقَبْلَ الشَّرُوعِ فِي تَبْيَانِ اسْتِعْمَالِ الطَّبَاقِ فِي هَذَا الْبَيْتِ، لَأَبْدُ مِنَ التَّعْرِيجِ عَلَى
أَلْفَاظٍ وَظَفَّهَا الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ وَلَهَا دَلَالَاتٌ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِي:

- يُمَزَّقُ: فِعْلٌ مُضَارِعٌ ذَالٌّ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ، وَقَدْ أَسْنَدَهُ الشَّاعِرُ إِلَى فَاعِلِهِ غَيْرِ الْحَقِيقِيِّ.
- الدَّهْرُ: اسْمٌ بِمَعْنَى حَوَادِثِ الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ، وَحَوَادِثُ الدَّهْرِ تُعْنِي: الْمَصَائِبَ،
وَقَصَدَ الشَّاعِرُ بِهِ هُنَا (الْإِخْتِلَالَ)، فَأَطْلَقَ كُلًّا وَأَرَادَ بَعْضًا.
- سَابِعَةٌ: وَتَعْنِي الطَّوِيلَةَ الْوَاسِعَةَ، وَتَأْتِي - غَالِبًا - صِفَةً لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ
(الدَّرْعِ)، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا الشَّاعِرُ هُنَا بِمَعْنَى: تَمَامِ الْعَيْشِ وَرَغَدِهِ.
- مَشْرِفِيَّاتٍ: السُّيُوفُ الَّتِي تُجْلَبُ مِنْ مَشَارِفِ الْعِرَاقِ، أَوْ الْيَمَنِ، أَوْ بِلَادِ الشَّامِ.
- خُرْصَانٌ: جَمْعُ خُرْصٍ، وَهِيَ الرِّمَاحُ، وَسُمِّيَتْ بِـ (خُرْصَانٍ)؛ نِسْبَةً إِلَى قَرِيَةٍ
بِالْبَحْرَيْنِ اشْتَهَرَتْ بِصِنَاعَةِ مِثْلِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الرِّمَاحِ^(١).

فَهَذِهِ الرَّمْزِيَّةُ فِي اسْتِعْمَالِ دَلَالَاتِ الْأَلْفَاظِ تَشْبِيهًِ بِالنَّظَرَةِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ النَّاقِبَةِ،
فَالشَّاعِرُ يَسْتَشْرِفُ الْمُسْتَقْبَلَ الْمُتَنَظَّرَ لِلْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِ يَقُولُ: إِنَّ
الدَّهْرَ سَيَتِمَدُّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِيَصِلَ إِلَى كُلِّ بَلَدٍ يَعِيشُ فِي دَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ غَيْرِ آبِهِ
أَهْلُهُ بِمَا حَدَثَ بِالْأَمَمِ السَّابِقَةِ - كَالْأَنْدَلُسِ لِأَنَّ أَهْلَهَا لَمْ يَتَعَلَّمُوا فُنُونَ اسْتِعْمَالِ
السَّلاحِ لِلدَّوْدِ عَنْ حَيَاضِهِمْ وَلَمْ يُجَرِّدُوا السُّيُوفَ مِنْ أَغْمَادِهِنَّ، بَلِ انْصَرَفُوا إِلَى

مَجَالِسِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالتَّرَفِ - وَهَذَا مَصِيرُ مَنْ يَحْدُو حَدْوَهُمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى مُرْتَبِطٌ بِالْفِكْرَةِ الَّتِي تُرَاوِدُ الشَّاعِرَ، ذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ وَكَأَنَّهُ يُشَبِّهُ حَالَ الْأَنْدَلُسِ - وَهِيَ تَلْتَجِفُ بِمَظَاهِيرِ الْبُهْرَجِ الْخَدَّاعِ - بِالذُّرُوعِ السَّابِغَةِ، فَالْأَنْدَلُسُ بِهِذِهِ الصِّفَةِ كَانَتْ طُعْمًا سَهْلًا لِلْأَعْدَاءِ، كَذَلِكَ الدُّرُوعُ السَّابِغَةُ الَّتِي سَتَحَرِّقُهَا رِمَاحُ الْأَعْدَاءِ، وَهُنَا يُبَيِّنُ الشَّاعِرُ أَثَرُ الدَّهْرِ فِي تَغْيِيرِ مَعَالِمِ الْحَيَاةِ.

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانٌ

مَا زَالَ الشَّاعِرُ يَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ نَظْرَةَ الْحَكِيمِ الَّذِي خَبِرَ الدُّنْيَا وَالْأَلْيَالِي الْعَادِرَةَ إِذْ تُفَاجِئُ الْمَرْءَ؛ لَيْسَتْ خُلِصَ مِنْهَا الْعِبَرُ وَالْعِظَاتُ، وَهِيَ حِكْمَةٌ شَبِيهَةٌ بِالْحِكْمَةِ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ (سَرٌّ وَسَاءٌ)، فَالطَّبَاقُ فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ (مَسَرَّاتٍ وَأَحْزَانٍ) قَرِيبٌ فِي دَلَالَتِهِ مِنْ دَلَالَةِ الْبَيْتِ الثَّانِي.

يَا غَافِلًا - وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنَّ كُنْتَ فِي سِنَةٍ، فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ

دَلَالَةُ الطَّبَاقِ فِي (سِنَةٍ وَ يَقْظَانُ) تَشْبِيهُ بِتَقَلُّبِ الْأُمُورِ إِلَى الضَّدِّ كَمَا حَدَثَ بِالْأَنْدَلُسِ، فَمَنْ يَعِشْ فِي غَفْلَةٍ، يَأْتِ عَلَيْهِ يَوْمٌ عَسِيرٌ؛ لِيُوقِظَهُ مِنْ غَفْلَتِهِ، كَمَا حَصَلَ مَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ حِينَ كَانُوا مُتْرَفِينَ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فَعُلبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ. يَا مَنْ لِيذْلَةٍ قَوْمٌ بَعْدَ عِزِّهِمْ أَحَالَ حَالَهُمْ جُورٌ وَطُغْيَانٌ

تَمَثَّلَ الطَّبَاقُ هُنَا بَيْنَ (ذُلٍّ وَ عِزٍّ)، لِإِظْهَارِ الْحُزْنِ وَالتَّفَجُّعِ وَالْحَسْرَةِ عَلَى مُلْكٍ زَائِلٍ، وَحَيَاةٍ عَزِيزَةٍ، وَعَيْشٍ رَغِيدٍ. وَهُنَا يَتَّبِعُ إِحْسَاسُ الشَّاعِرِ بِالتَّحَوُّلِ السَّلْبِيِّ لِحَرَكَةِ تَقَلُّبَاتِ الزَّمَنِ، فَيَذْكُرُ بَعْضَ مَظَاهِيرِ الْعِظَمَةِ الزَّائِلَةِ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّأْسِي فَحَسَبَ، بَلْ لِلْإِيْمَاءِ إِلَى أَنَّ مَا حَصَلَ بِالْمُدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ هُوَ حَلَقَةٌ فِي سِلْسِلَةِ حَلَقَاتِ الْهَدْمِ الَّتِي تُمَارِسُهَا تَقَلُّبَاتُ الزَّمَنِ عَلَى الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ

نَلْحَظُ فِي هَذَا الْبَيْتِ الطَّبَاقَ الْمَكْتَفَ الَّذِي جَلَبَهُ الشَّاعِرُ؛ لِتَصْوِيرِ الْحَالَةِ الَّتِي
آلَ إِلَيْهَا الْأَنْدَلُسِيُّونَ، وَيَتِمَثَّلُ بِـ (الْأَمْسُ "الْمَاضِي الْقَرِيبَ الْمَعْلُومَ" وَالْيَوْمَ "الْحَاضِرَ
الْبَعِيدَ الْمَجْهُولَ")، وَ (مُلُوكًا وَعُبدَانِ)، وَ (مَنَازِلَهُمْ وَبِلَادَ الْكُفْرِ)، وَلَا أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ
الْحَالَةَ فِي وَطَرٍ لِلشَّرْحِ أَوْ التَّفْسِيرِ، فَكُلُّ مَا يَتَقَيَّضُ قَوْلُهُ: إِنَّ وَتِيرَةَ الْحُزْنِ عِنْدَ الشَّاعِرِ
ارْتَفَعَتْ، فَازْدَحَمَتِ الْمُتَضَادَّاتُ فِي ذَهْنِهِ بِوصفِهَا رَدَّةَ فِعْلٍ طَبِيعِيَّةٍ لِحَالِ الْأَنْدَلُسِ.
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ

الْمَسَاجِدُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، ارْتَبَطَتْ بِاللَّهِ، وَتَقَامُ فِيهَا
الْعِبَادَةُ، وَقَدْ رَمَى الشَّاعِرُ مِنْ ذِكْرِ (الْمَسَاجِدِ وَالْكَتَائِبِ) - بِوصفِهَا طَرَفِي أُسْلُوبِ
الطَّبَاقِ - إِلَى تَهْيِيجِ مَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ تَجَاهَ هَذَا الْمُقَدَّسِ، وَتَبَيَّنَ حَجْمُ الْأَعْمَالِ
التَّخْرِيئِيَّةِ الْفَادِحَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا الْاِخْتِلَالُ عِنْدَمَا نَفَسَ فِي الْمُدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَإِبْرَازِ
سَعْيِهِمُ الدَّوُوبِ فِي تَغْيِيرِ مَعَالِمِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ مَعَبَّاتِ أَعْمَالِهِمْ تَحَوُّلُ
الْمَسَاجِدِ إِلَى مَسَرِّحٍ لِلصُّلْبَانِ، وَمَكَانٍ لِإِقَامَةِ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ كَالْتَرَاتِيلِ
وَدَقِّ النِّوَاقِيسِ؛ لِذَلِكَ أَلْفَيْنَا تَوْظِيفَ الْكَلِمَاتِ ذَاتِ الدَّلَالَةِ الدِّينِيَّةِ الْمُتَضَادَّةِ
الْمَوْحِيَّةِ بِطَبِيعَةِ الصَّرَاحِ الْعَقْدِيِّ إِبَّانَ الْاِخْتِلَالِ.

مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَانُ
(التَّقَاطُعُ وَإِخْوَانُ)، فَكَلِمَةُ التَّقَاطُعِ تُعْنِي: الْاِخْتِلَافَ وَالتَّفْرِيقَ، وَالْأُخُوَّةُ تُعْنِي:
الْاِتِّبَافَ وَالتَّوْفِيقَ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَا تُوجَدُ شُقَّةٌ - بِمَعْنَاهَا الْحَقِيقِيُّ الْوَاقِعِيُّ - بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا صَوَّرَ الشَّاعِرُ ابْتِعَادَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَنَاطِقِ الْمَصَاقِبَةِ عَنْ نُصْرَةِ أَهْلِ
الْأَنْدَلُسِ بِالْاِتِّبَافِ، وَكَأَنَّهُ يَحُثُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّكَاثُفِ وَالتَّضَافُرِ بِوَسَاطَةِ سَرْدِ التَّنَاقُضِ.
ب. اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ بِعَيْنِهَا تُوَحِّي إِلَى التَّحَوُّلِ:

لِشِدَّةِ عِظَمِ الدَّورِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْمَفْرَدَاتُ فِي اللَّغَةِ التَّوَاصُلِيَّةِ الْمُنطَوِّقَةِ وَالْمَكْتُوبَةِ،
وَصَفَّهَا عَبْدُ اللَّهِ الْعَدَّامِيُّ بِقَوْلِهِ: "الْكَلِمَاتُ دُمُوعُ اللَّغَةِ، وَالشُّعْرُ بُكَاءُ فَصِيحٍ"^(١)،

وَقَالَ السَّرْحَسِيُّ: "الْأَلْفَاظُ قَوَالِبُ الْمَعَانِي"^(١٢).

يُلَاحَظُ أَنَّ الْمُفْرَدَاتِ الَّتِي تَوَشَّحَتِ الْقَصِيدَةُ بِهَا كَثِيرًا لَهَا شَيْءٌ تَدُلُّ فِي مَضْمُونِهَا عَلَى حَقْلِ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ حَقْلٌ يَدُورُ فِي مَفْهُومِ التَّحَوُّلِ وَالتَّغْيِيرِ (مِنْ... إِلَى...)، وَقَدْ احْتَلَّتْ هَذِهِ الْمُفْرَدَاتُ شَأوًا عَالِيًا فِي مَثْنِ الْقَصِيدَةِ، وَجَاءَتْ فِي مُعْظَمِهَا أَفْعَالًا؛ لِمَا لِلْفِعْلِ أَيْضًا مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى الاستِمْرَارِ وَالتَّجَدُّدِ، وَقَدْ جَاءَتْ الْأَلْفَاظُ مُتَمَشِّئَةً وَمُنَاسِبَةً الْقَصِيدَةَ، إِذْ يُمَكِّنُ رِصْدُ أَغْلِيهَا بِمَا يَلِي:

- | اللفظة | المعنى |
|----------------|--|
| ١- دُولٌ | جَمْعُ (دَوْلَةٍ): انْتَقَلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ^(١٣) ، وَقَدِيمًا قَالُوا: (الدَّوَائِرُ تَدُورُ، وَالدَّوَائِلُ تَدُولُ). |
| ٢- دَارٌ | فِعْلٌ بِمَعْنَى طَافَ حَوْلَ الشَّيْءِ ^(١٤) ، وَفِيهِ مَعْنَى الانْتِقَالِ وَالْحَرَكَةِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَصْدَرَ مِنْهُ (دَوْرَان) عَلَى وَزْنِ (فَعْلَان)، وَهُوَ وَزْنٌ مُضْطَرَّدٌ لِكُلِّ فِعْلٍ دَلَّ عَلَى اضْطِرَابٍ وَحَرَكَةٍ. |
| ٣- لَا تُبْقِي | فِعْلٌ مَزِيدٌ أَصْلُهُ التَّلَاثِيُّ الْمُجَرَّدُ (بَقِيَ)، وَمَصْدَرُهُ (الْبَقَاءُ)، وَمَعْنَاهُ ضِدُّ الْفَنَاءِ، وَلَمَّا أَذْخَلَ الشَّاعِرُ عَلَيْهِ (لَا) النَّافِيَةَ تَحَوَّلَ مَعْنَاهُ مِنَ الْبَقَاءِ إِلَى الْفَنَاءِ. |
| ٤- لَا يَدُومُ | فِعْلٌ مُضَارِعٌ يُفِيدُ الاستِمْرَارَ وَالتَّجَدُّدَ، وَمَعْنَاهُ: يَظُلُّ وَيَسْتَمِرُّ، وَلَمَّا أَذْخَلَ الشَّاعِرُ عَلَيْهِ (لَا) النَّافِيَةَ تَحَوَّلَ مَعْنَاهُ إِلَى نَفْيِ الاستِمْرَارِ. |
| ٥- صَارَ | فِعْلٌ يُفِيدُ مَعْنَى التَّحَوُّلِ؛ فَتَقُولُ: صَارَ التَّلْجُ مَاءً، وَقَدْ وَظَّفَهُ الشَّاعِرُ مَرَّتَيْنِ فِي الْقَصِيدَةِ. |
| ٦- كَانَ | وُظِفَ هَذَا الْفِعْلُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْقَصِيدَةِ، وَجَاءَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فِي صِبْغَةِ الْمَاضِي؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأَنْدَلُسُ قَبْلَ الْاِخْتِلَالِ (أَيَّ أَنَّ الْحَاضِرَ لَمْ يَعُدْ كَالْمَاضِي، بَلْ تَحَوَّلَ). |

اللفظة	المعنى
٧- هَوَى	سَقَطَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ ^(١٥) ، وَيُفِيدُ مَعْنَى الْإِنْتِقَالَ مِنَ الرُّفْعَةِ إِلَى الْإِنْحِطَاطِ.
٨- انْهَدَّ	سَقَطَ ^(١٦) .
٩- خَلَتْ	فَرَعَ مِمَّا بِهِ ^(١٧) ، دَلَّ هَذَا الْفِعْلُ فِي الْقَصِيدَةِ عَلَى مَعْنَى التَّحَوُّلِ مِنَ الْمَكَانِ الْمَأْهُولِ إِلَى الْمُقْفَرِ.
١٠- أَحَالَ	غَيَّرَ الشَّيْءَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ^(١٨) .
١١- يَذُوبُ	تَحَوَّلَ الشَّيْءُ مِنْ وَضْعٍ إِلَى آخَرَ، فَتَقُولُ: (ذَابَ الثَّلْجُ)؛ أَيْ: تَحَوَّلَ مِنَ الثَّلْجِ (الحَالَةِ الصُّلْبَةِ) إِلَى الْمَاءِ (الحَالَةِ السَّائِلَةِ).
١٢- قَضُوا	جَاءَ هَذَا الْفِعْلُ فِي الْقَصِيدَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى الْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى التَّحَوُّلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَلْتَمِهَأَنَّ أَفَاضِيَةً﴾ ^(١٩) .
١٣- تَفَرَّقَ	تَبَاعَدَ الشَّيْئَانِ؛ أَيْ الْفَتْقَ بَعْدَ الرِّتْقِ.
١٤- أَقْفَرْتُ	هَذَا الْفِعْلُ لَهُ دَلَالَةٌ مُشَابِهَةٌ لِلْفِعْلِ (خَلَ).
١٥- لَمْ يَسْهَلْ	انْتَقَلَ مِنَ السُّهُولةِ إِلَى الصُّعُوبَةِ.
١٦- لَمْ تَبْقَ	انْظُرْ مَعْنَى الْكَلِمَةِ ذَاتِ الرَّقْمِ (٣).

٢. الظواهر البلاغية:

● توظيف الجملة الإنشائية الطليية:

يَظْهَرُ جَلِيًّا لِلْعَيَانِ أَنَّ تَوْظِيفَ الْجُمْلَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ الطَّلِيَّةِ (الأسلوب الانفعالي) فِي الْقَصِيدَةِ، الَّتِي جَاءَ يَهَا الشَّاعِرُ فِيمَا يَبْدُو؛ لِتَوْشِيحِ مَعَانِيهِ بِالْبُوحِ عَنِ الْقَلْقِ النَّفْسِيِّ الَّذِي يُهَيِّمُنْ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَا تَمَحَّضَ عَنْ أَفَانِينَ أَلْفَاظِهِ وَجُمَلِهِ، وَأَقَانِيمِ أَيْيَاتِهِ.

هَذِهِ الْجُمْلَةُ - غَالِبًا - مَا تَنْزَاحُ مَعَانِيهَا مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ، فَتَجْعَلُ مِنْ أَلْفَاظِهَا وَعِبَارَاتِهَا فَرَسًا جَامِحَةً لَا حَرُونَ، وَلَمَّا كَانَتْ انْفِعَالَاتُ الشَّاعِرِ شَدِيدَةً، زَاغَ

الشاعرُ إلى استعمالِ تعبيراتٍ غيرِ مألوفةٍ، فتحوّلَ إلى الجملةِ الإنشائيةِ الطليئةِ؛ لتَنسَجِمَ معَ الحدثِ الجللِ، وهي مُرونةٌ تُتيحُ تدخُلَ نفسيّةِ الشاعرِ في لغتهِ الشعريّةِ عندَ التعبيرِ عنِ انفعالاتِهِ الطافحةِ بالأسى حسبَ التغيّراتِ المحيطةِ بهِ، وفي الوقتِ ذاتهِ تُظهرُ انعكاسَ ثنائيّةِ التحوّلِ في الأندلس - وهي الفكرةُ الرئيسةُ في القصيدةِ - التي يكابدُها الشاعرُ، ذلكَ أنَّ الجملةَ الإنشائيةَ ترتكزُ أساساً على معنى التحوّلِ منِ الحقيقةِ إلى المجازِ. ويُمكنُ التّذليلُ على أبرزِ مواطنِ هذهِ الجملةِ في القصيدةِ بما يلي:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرِّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ

عندما عجزَ الشاعرُ، استعملَ جملةً إنشائيةً طليئةً مُتمثلةً بالنهي (لا يُغرّ)، وقد انزاحَ (النهي) من معناه الحقيقيِّ إلى المجازيِّ (الإرشاد والنصح)، وسببُ لجوءِ الشاعرِ إلى هذهِ الجملةِ يفيءُ إلى المعنى الذي قصدهُ (تقديم حكمةٍ فيها النصح والإرشاد)، فكما أنه قدّمَ النصحَ والإرشادَ معنىً، استلزمَ ذلكَ استعمالَ الجملةِ الإنشائيةِ مبنًى.

أَيْنَ الْمُلُوكُ دَوُو الثَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرَمٍ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ
وَأَيْنَ مَا حَارَهُ قَارُونُ مِنْ دَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَادٌ وَقَحْطَانُ

يظهرُ الاستفهامُ في الأبياتِ الثلاثةِ بوساطةِ اسمِ الاستفهامِ (أَيْنَ)، الذي كرّره الشاعرُ في صدارةِ شطريهينِ مُتسائلاً - في معناه الحقيقيِّ - عنَ مصيرِ مُلُوكٍ وقادةِ جبابرةٍ، لبسُوا تيجاناً وأكاليلَ، وبدّلُوا العاليَ والتّفيسَ في بناءِ ممالكِهِمْ، وتملّكُوا أموالاً كثيرةً كقارونَ، الذي آتاهُ اللهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتُنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ. أمّا معناه المجازيُّ، فإنّه يتعجّبُ منَ دهابِهِمْ وَزَوَالِ مَمَالِكِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وفي الوقتِ ذاتهِ يسعى الشاعرُ مِنَ الضّرْبِ بِهِمْ مَثَلاً إلى تقديمِ الإرشادِ والنصحِ؛ بُعْيةً

أَخَذِ الْعِبْرَةَ مِنْ جَالِهِمْ وَحَالِ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَتْ، فَكَانَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اِكْتَسَبَتْ، وَدَلَالَةُ هَذَا الانْزِيَا حِ يَتَنَاسَبُ وَمَقْصِدُ الشَّاعِرِ.

فَاسْأَلْ بِلَنَسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ وَأَيِّنَ شَاطِئَةٍ أَمْ أَيِّنَ جِيَانٍ
وَأَيِّنَ قُرْطُبَةٍ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
وَأَيِّنَ حِمَصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْوٍ وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَاضُ وَمَلَانُ

الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَتَسَاءَلُ عَنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ الْمَشْهُورَةِ وَفِي نَفْسِهِ غُصَّةٌ
وَتَحَسُّرٌ عَلَى مُلْكٍ زَائِلٍ، فَوَجَدَ فِي الْجُمْلِ الْإِنْشَائِيَّةَ الطَّلِيَّةَ مُبْتَعَاهُ عَبْرَ اسْلُوبِ الْأَمْرِ
فِي الْفِعْلِ (اسْأَلْ)، وَاسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ فِي الْأَسْمَيْنِ (مَا، أَيِّنَ)، اللَّذَيْنِ خَرَجَا مِنْ
مَعْنَاهُمَا الْحَقِيقِيَّ (الْأَمْرُ وَالْاسْتِفْهَامُ) إِلَى الْمَجَازِيِّ (التَّحَسُّرُ)، وَجَدَ فِي هَذِهِ
الْأَبْيَاتِ وَالْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ - عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْمُلُوكِ - تَكَرَّرَ اسْمُ الاسْتِفْهَامِ (أَيِّنَ)
الَّذِي أَرَادَ بِهِ الشَّاعِرُ الْإِلْحَاحَ عَلَى سَمْعِ السَّمَلَقِيِّ، فَلَا يَدْعُ لَهُ الْإِفْلَاتَ، وَيَأْخُذُ
بِمَجَامِعِ سَمْعِهِ وَوُجْدَانِهِ مَعًا.

يَا غَافِلًا - وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سَبَةِ فَالدَّهْرُ يَقْطَانُ
وَمَا شَيْئًا مَرَحًا يُلْهِيه مَوْطِنُهُ أَبْعَدَ حِمَصٍ تُعْرِ الْمَرْءَ أَوْطَانُ؟

اشْتَمَلَ الْبَيْتَانِ عَلَى قِسْمَيْنِ مِنْ أَقْسَامِ الْجُمْلَةِ الطَّلِيَّةِ؛ وَهُمَا (النَّدَاءُ
وَالْاسْتِفْهَامُ)، وَيَتِمَّتْلَانِ فِي (يَا النَّدَاءِ وَهَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ)، وَقَدْ انْزَاحَ مَعْنَاهُمَا مِنْ
الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ (التَّعَجُّبُ وَالتَّذْكِيرُ)، وَهَذَا الانْزِيَا حِ مَقْصُودٌ مِنْ لَدُنِ الشَّاعِرِ،
الَّذِي يَتَعَجَّبُ (بِالْاسْتِفْهَامِ) مِنَ الْمَرْءِ الْقَاطِنِ فِي الْبُلْدَانِ الْمَجَاوِرَةِ كَيْفَ أَنَّهُ يَعِيشُ
غُلُوءًا شَبَابِهِ غَافِلًا، ثُمَّ أَرَادَ الشَّاعِرُ مِنْ اسْتِعْمَالِ اسْلُوبِ النَّدَاءِ أَنْ يُنَبِّهَ الْغَافِلَ (شَارِدَ
الدَّهْنِ)، وَيَشُدَّهُ إِلَى مَا يَقُولُ؛ لِيُنْقِذَهُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَشُرُودِ ذَهْنِهِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُقَدِّمُ
لَهُ جُمْلَةً مِنَ الْعِبَرِ وَالنَّصَائِحِ الْمُسْتَقَاةِ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ عَبْرَ مَدِينَةِ (حِمَصِ) الَّتِي
اسْتَجْلَبَهَا مِثَالًا بِاسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ.

يَا رَاكِبِينَ عِثَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عِقْبَانُ
وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ النَّفْعِ نِيرَانُ
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَا لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ

يُنَادِي الشَّاعِرُ أَهْلَ الْمَغْرِبِ؛ وَيَسْتَعِثُّ بِهِمْ، لَا سِتْرَ دَادٍ مَا سُلِبَ، أَوْ - عَلَى الْأَقْلِ - الْحِفَاطُ عَلَى مَا تَبَقَّى مِنَ الْمَدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، لَكِنَّهُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ - عَلَى الْأَرْجَحِ - لَيْسَ مُتَفَانًا بِتَلْيِيتِهِمْ طَلَبَهُ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْأَمْرَ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا؛ لِأَنَّهُمْ مُنْشَغِلُونَ بِمَظَاهِرِ التَّرَفِ وَمَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا، فَلَمْ يَأْبَهُوا بِمَا حَدَثَ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَلَمْ يَهْبُؤُوا إِلَى نُصْرَةِ إِخْوَانِهِمْ، فَهُمْ - كَمَا يَصِفُهُمْ - يَرْكَبُونَ الْخَيُْولَ النَّجَائِبَ؛ بُعِيَّةَ الْمَبَارَاةِ فِي مِضْمَارِ السَّبَاقِ، وَيَحْمِلُونَ السُّيُوفَ الْمُرْهَفَةَ، وَيَرْتَعُونَ فِي سَعَةِ مِنَ الْعَيْشِ وَفِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغِبْطَةٍ، وَيَحْيُونَ حَيَاةً نَاعِمَةً كُنُوزِ الْخَمِيلَةِ، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يُرَدِّدُ الْقَوْلَ (مَا لِلْأَعْمَى وَالْمَرْأَةِ، وَمَا لِلْمُقْعَدِ وَالْمِرْقَاةِ)، فَمَا فَائِدَةُ امْتِلَاكِ السُّيُوفِ الْهِنْدِيَّةِ إِنْ لَمْ تَحْدِ أَيَادِي تَحْمِلُهَا؟ وَمَا جَدْوَى الْخَيُْولِ الْأَصِيلَةِ إِنْ عَطَّلَهَا الْقَاعِدُونَ عَنِ الْقِتَالِ؟

جُلُّ هَذِهِ التُّعَوُّتِ أَثَارَتِ حَفِيزَةَ الشَّاعِرِ؛ لِذَا جَاءَ بِأُسْلُوبِ النَّدَاءِ فِي سِيَاقِ جُمْلَةٍ طَلَبِيَّةٍ؛ لِيَدُلَّ فِي مَعْنَاهُ الْمَجَازِيِّ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ حَالِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْصُرُوا الْأَنْدَلُسِيِّينَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْإِمْكَانَاتِ وَالْقَوَى الَّتِي يَتِمَتُّونَ بِهَا وَيَتَنَعَّمُونَ، إِذْ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّقَارُبِ لَا التَّضَارُبِ، وَالْإِثْلَافِ لَا الْإِخْتِلَافِ.

شَدَّتِ الصَّيْعَةُ الْإِنْشَائِيَّةُ الطَّلَبِيَّةُ عِضْدَ هَذِهِ الْمُؤَثَّرَاتِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ الَّتِي تَهْزُ الْمُتَمَلِّقِي، وَهِيَ مُنْبِهَاتٌ مُحَمَّلَةٌ بِطَاقَاتِ إِنْفِعَالِيَّةٍ تُقِيمُ صِلَاتِ إِنْسَانِيَّةٍ وَوُجْدَانِيَّةٍ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْمُتَمَلِّقِي، وَالْمُتَمَلِّقِي يُشَارِكُ فِي إِتْنَاهَا وَإِثْمَانِهَا.

أَعِنْدَكُمْ بَبَأٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ

بَعْدَ أَنْ نَعَتَ الشَّاعِرُ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ أَهْلَ الْمَغْرِبِ بِأَوْصَافِ الشَّرَفِ
وَالْمَظَاهِرِ الدُّنْيَوِيَّةِ، جَنَحَ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى الْاسْتِفْهَامِ فِي سِيَاقِ جُمْلَةٍ طَلَبِيَّةٍ؛ لِإِفَادَةِ
مَعْنَى الْاسْتِبْعَادِ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، فَالشَّاعِرُ لَا يَسْتَبْعِدُ عِلْمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَغْرِبِ
بِخَبَرِ الْأَنْدَلُسِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْخَبَرَ أَدَاعَهُ الرُّكْبَانُ وَالرِّفَاقُ، وَطَارَ فِي الْآفَاقِ، لَكِنَّهُمْ - كَمَا
يَبْدُو - صَمُّوا آذَانَهُمْ؛ لِأَنْشِغَالِهِمْ بِأُمُورٍ أُخَرَ.

● الْمَجَازُ الْعَقْلِيُّ:

يَدُورُ هَذَا الْمَظْهَرُ فِي فَلَكَ مَفْهُومٍ "إِسْنَادِ الْفِعْلِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ
الْحَقِيقِيِّ"^(٢٠)، وَيُعَدُّ هَذَا الْمَظْهَرُ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ التَّحْوِيلِ فِي نَمَاطِ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ
مَعَ فَاعِلِهِ.

وَإِخَالُ أَنْ الشَّاعِرَ حِينَ وَظَفَهَا أَرَادَ مِنْهَا الدَّلَالََةَ عَلَى الْمَبَالَعَةِ؛ لِصَرْفِ النَّظَرِ
إِلَيْهَا، وَذَلِكَ فِي إِشَارَةٍ إِلَى عِظَمِ الْفَاجِعَةِ الَّتِي أَلَمَتْ بِبَلَدِهِ.

هِيَ الْأُمُورُ - كَمَا شَاهَدَتْهَا - مَنْ سَرَّهُ رَمَنْ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ

أُسْنَدُ الْفِعْلَانِ الْمَاضِيَّانِ (سَرَّ، وَسَاءَ) إِلَى الزَّمَنِ، وَهُوَ فَاعِلٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ
لِلْفِعْلَيْنِ، فَالزَّمَنْ سَاعَاتٌ تَمْضِي، وَالْمَقْصُودُ بِهِ صُرُوفُ الزَّمَنِ، فَجَاءَتِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ
الْفِعْلَيْنِ وَالْفَاعِلِ عِلَاقَةً زَمَانِيَّةً، وَقَدْ تَعَدَّتْ دَلَالَةُ الْفِعْلَيْنِ مِنَ الْمَاضِي إِلَى
الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ السَّرَّ وَالضَّرَّاءَ لَا يَتَوَقَّفَانِ عِنْدَ الْمَاضِي فَحَسَبَ. فَالشَّاعِرُ أَبْرَزَ
الزَّمْنَ فِي صُورَةٍ مَحْسُوسَةٍ، ثُمَّ أَضْفَى عَلَيْهِ ظِلَالًا مِنَ الْجَمَالِ، فَحِيلَ لِلْسَّامِعِ أَنَّ
لِلزَّمَنِ قَلْبًا مُتَقَلِّبًا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى التَّنْبِيهِ وَالْإِرْشَادِ
مِنَ الزَّمَنِ.

وَإِذْ أَيْقَظَ سُقُوطُ الْأَنْدَلُسِ فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ الْإِحْسَاسَ بِحَرَكََةِ الزَّمَنِ وَحَدَثَانِ
الدَّهْرِ، فَقَدْ صَوَّرَهُ بِقُوَّةِ سَلْبِيَّةٍ قَادِرَةٍ عَلَى الْإِهْلَاكِ وَالْهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ وَالتَّشْوِيهِ فِي

مَعَالِمُ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهَذَا الْمُنْظَرُ الْمُخِيفُ يُشِيعُ الْارْتِيَاعَ وَالْفَزَعَ فِي نُفُوسِ
الْوَرَى؛ لِيَحْتَرِزَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُ، وَيَأْخُذَ حِذْرَهُ.

حَتَّى الْمَحَارِبُ تُبْكِي وَهِيَ حَتَّى الْمَنَابِرُ تُرْثِي وَهِيَ عِيدَانُ

الْمَحَارِبُ (جَمْعُ مَحْرَابٍ)، وَلِهَذَا الْمَفْرَدَةُ أَمَارَاتُ وَرُمُوزُ يُمَكِّنُ تَوْضِيحُهَا بِمَا يَلِي:

- مَكَانٌ لِلْعِبَادَةِ وَالْقِيَادَةِ: إِذْ يَقِفُ الْإِمَامُ فِيهِ أَمَّا لِلْمُصَلِّينَ.

- مَكَانٌ لِلَاغْتِرَالِ: إِذْ يَتَفَرَّدُ فِيهِ الْمُتَعَبِّدُ أَنْكَسَارًا وَخُبُوتًا لِلَّهِ، فَتَذَرِفُ الْعَيْنُ عِنْدَ
اسْتِشْعَارِ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَيَدْعُو الْعَبْدُ فِيهِ طَلَبًا فِي تَوْسِيعَةِ الرِّزْقِ - كَمَا كَانَتْ مَرِيْمُ
عَلَيْهَا السَّلَامُ تَدْعُو رَبَّهَا - وَالْخَيْرِ وَالطَّمَأْنِينَةِ.

- الْبُوصَلَةُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْقِبْلَةِ وَمُقَدِّمَةُ الْمَسْجِدِ.

- مَكَانٌ اسْتِقْبَالِ الْعَالَمِ الْجَمِيلِ، وَاسْتِدْبَارِ الدُّنْيَا.

فَالْمَحْرَابَ مَكَانٌ لِبُكَاءِ الْإِنْسَانِ فِي الْعِبَادَةِ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ جَعَلَ الْمَحَارِبَ
نَفْسَهَا هِيَ الَّتِي تُبْكِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ جُمُودِهَا، فَصَوَّرَهَا بِإِنْسَانٍ يَمْتَلِكُ الْعَوَاطِفَ
وَالْأَحَاسِيسَ، وَتَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ الْهَوَامِيعُ؛ لِفَقْدِ حَبِيبٍ قَرِيبٍ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ صُورَةٌ حَزِينَةٌ
مِلْؤُهَا الْأَسَى وَالتَّفَجُّعُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، فَالْمَحَارِبُ تُبْكِي؛ لِأَنَّهَا أَفْغَرَتْ مِنَ
الْمُصَلِّينَ، وَأَقْوَتْ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ جَرَاءَ مَوْتِهِمْ أَوْ هِجْرَتِهِمْ، فَرَسَمَ الشَّاعِرُ هَذِهِ
الصُّورَةَ؛ لِيَبَيِّنَ أَنَّ دَلَالََةَ الْمَحَارِبِ الدِّينِيَّةِ انْعَدَمَتْ بَعْدَ الْاِحْتِلَالِ.

أَمَّا الْمَنَابِرُ (جَمْعُ مَنْبَرٍ) فَهُوَ اسْمُ مَكَانٍ عَلَى وَرْنِ (مِفْعَل)، وَيُقْصَدُ بِهِ الْمَكَانُ
الَّذِي يَرْتَقِي إِلَيْهِ الْخُطِيبُ؛ لِيَرَاهُ النَّاسُ وَهُوَ يُحَدِّثُهُمْ، وَحِينَ أُسْنِدَ الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ
(يُرْثِي) إِلَى الْمَنَابِرِ، خَرَجَتْ دَلَالَتُهُ مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى حَيْزِ الْمَجَازِ فَالشَّاعِرُ صَيَّرَ
الْمَنَابِرَ تُرْثِي الْخُطَبَاءَ الَّذِينَ لَمْ تَبْقَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا مُجَرَّدُ أَخْشَابٍ.

● إيجاز الحذف:

الحذف من الظواهر اللغوية العامة "التي تشترك فيها اللغات الإنسانية، إذ يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما يمكن للمستمع فهمه تعويلاً على القرائن المصاحبة حالية كانت أم عقلية أم لفظية" (٢١)، وهنا تظهر ثقة المتكلم بعلم المتلقي، ذلك أن المتكلم يحذف عادة ما يدركه المتلقي، ويؤدّي المتلقي بهذه الحالة دوراً إيجازياً عندما يسعى إلى تقدير المحذوف وإدراكه اعتماداً على قصد المتكلم.

أجازت اللغة العربية الحذف عند تمام المعنى، أو عند وجود ما يسد مسد المحذوف ويعني عن ذكره، ولكن مع وجود فارق بين الحذف والاستغناء، ذلك أنه يجوز الإضمار والإظهار في حالة الحذف، ولكن الجواز متعذر في حالة الاستغناء؛ لأنه متى استغنيا، تطلب الأمر الإضمار.

فالحذف باب فيه إكثار للمعنى مع حذف شيء من المبنى، ولكن مع وجود قرينة دالة عليه؛ لإفادة غرض نفسي محض يقصده المتكلم، يقول الجرجاني عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فألك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين" (٢٢).

إذاً، الحذف من ديدن العربية، لذلك تتعدد صورته في الأداءات اللغوية، فيأتي حرفاً، أو كلمة، أو جملة، وكمّة شواهد عديدة على ذلك أمدت بنا بها الاستعمالات والتعبيرات اللغوية في التراث اللغوي (٢٣).

تأسيساً على ذلك، جاز لنا أن نبحث عن تعليلات لمواطن الحذف التي توشحت بها القصيدة، إذ تطلبه الحال في غير موطن، لذلك تنوعت أشكاله،

وَتَعَدَّدَتْ صُورُهُ، ذَلِكَ أَنَّ انْقِلَابَ حَالِ الْأَنْدُلُسِ عَلَى نَحْوِ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، حَدَا بِالشَّاعِرِ أَنْ يُقَابِلَهُ بِاسْتِعْمَالِ أُسْلُوبِ الْحَذَفِ فِي الْمَبْنَى؛ لِيَرْبِطَهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي يَقْصِدُهُ الشَّاعِرُ، فَالْأَصْلُ فِي التَّرْكِيْبِ اللَّغَوِيِّ ذِكْرُ مُكَوِّنَاتِهِ وَمُكْمَلَاتِهِ اللَّغَوِيَّةِ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ آثَرَ اسْتِعْمَالَ النَّمَطِ الْآخَرِ؛ لِيُؤْمِيَ إِلَيْنَا أَنَّ التَّحْوُلَ فِي الْأَنْدُلُسِ، تَطَلَّبَ أَيْضاً التَّحْوُلَ فِي اللَّغَةِ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْفَارَقِ بَيْنَهُمَا، ذَلِكَ أَنَّ التَّحْوُلَ فِي الْأَنْدُلُسِ - فِي نَظَرِ الشَّاعِرِ - غَيْرُ مَأْلُوفٍ أَوْ مُبَاحٍ، لَكِنَّ التَّحْوُلَ فِي اللَّغَةِ - فِي نَظَرِ التَّحْوِيلِيِّينَ وَالْبَلَاغِيِّينَ - مَأْلُوفٌ وَمُبَاحٌ، وَلَكِنْ يَجْمَعُهُمَا قَاسِمٌ مُشْتَرَكٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ حَالَةُ (التَّحْوُلِ).

يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِعَةٍ إِذَا بَتَتْ مَشْرِفَاتٌ وَخُرُصَانُ

بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ فِي مَأْلُوفِ التَّعْيِيرِ أَوْ مَعْهُودِ الاسْتِعْمَالِ، حَتَّى رَأَيْنَا غَالِبَ التَّحْوِيلِيِّينَ لَمْ يُحْيِزُوا الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ، وَلَكِنْ قَدْ يُحْدَفُ الْمَوْصُوفُ، فَتُنُوبُ عَنْهُ الصِّفَةُ - لِشَهْرَتِهَا أَوْ اخْتِصَاصِهَا بِالْمَوْصُوفِ - وَتَقُومُ مَقَامَهُ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ قَدِيمَةٌ قَدَّمَ الْبَحْثُ فِي اللَّغَةِ شِعْرَهَا وَنَثَرَهَا مَعًا.

يَكْثُرُ فِي الاسْتِعْمَالِ اللَّغَوِيِّ تَوْظِيفُ الصِّفَةِ (سَابِعَةٍ) مَعَ الْمَوْصُوفِ الْمَحْدُوفِ (الدَّرْعِ)، حَتَّى أَنَّهُ لَا يَكَادُ يُصْرَحُ بِلَفْظَةِ (الدَّرْعِ) مَعَهَا، إِذْ بَاتَ عُرْفًا فِي الْأَدَاءِ اللَّغَوِيِّ، وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْحَالَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾^(٢٤).

حَذَفَ الشَّاعِرُ الْمَوْصُوفَ (الدَّرْعِ) - عَلَى مَا يَبْدُو - وَأَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَهُ؛ لِلْعِنَايَةِ بِالصِّفَةِ؛ لِأَنَّ غَايَةَ مَا يَرْمِي إِلَيْهِ الشَّاعِرُ هُوَ الْاهْتِمَامُ بِذِكْرِ صِفَاتِ لَأَمَةِ الْحَرْبِ (الدُّرُوعِ، السُّيُوفِ، الرِّمَاحِ...)، وَلَيْسَ بِذِكْرِ الْمَوْصُوفَاتِ نَفْسِهَا، لِأَنَّ الدُّرُوعَ أَوْ السُّيُوفَ أَوْ الرِّمَاحَ تَتَشَابَهُ مَعَ مِثِيلَاتِهَا مِنْ جِنْسِهَا، لَكِنَّ الْمَفَاضِلَةَ أَوْ الْفَرْقَ بَيْنَهُنَّ تَكُونُ فِي الصِّفَةِ (الْجُودَةِ)، الَّتِي تُحْدِثُ الْعَلَبَةَ فِي الْحَرْبِ، إِلَى جَانِبِ تَمَرُّسِ لَا يَسِيحُهَا وَمُتَقَلِّدِيهَا عَلَى الْقِتَالِ.

وَمَرَامُ الشَّاعِرِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَعْبَةِ الْإِفْرَاطِ بِالْمَظَاهِرِ الزَّائِفَةِ وَالْبُهُرْجِ الْخَدَّاعِ،
فَطُولُ الدُّرُوعِ وَسَمَاكَتُهَا، لَنْ يُغْنِيَ شَيْئاً، أَوْ يَدْرَأَ هَجَمَاتِ الْعَدُوِّ فِي حَالِ بَيْتِ
السُّيُوفِ (المشرفية)، أَوْ لَمْ تَتَجَاوَزِ السُّهَامُ الْوَتَرَ.

مَقْصُودُ الشَّاعِرِ مِنْ هَذِهِ الرَّمْزِيَّةِ هُوَ أَنَّ عَدَمَ الْمِرَاسِ عَلَى السُّيُوفِ، وَعَدَمَ
مِرَانِهِمْ عَلَى الرِّمَاحِ وَإِنْ كَانَتْ تَمِيَّةً، سَيَفْضِي حَتْمًا إِلَى أَنْ يُمَزَّقَ الْعَدُوُّ دُرُوعَهُمْ
وَإِنْ كَانَتْ سَمِيكَةً، وَيَتَمَزِقُ الدُّرُوعُ تَتَقَطَّعُ الْأَجْسَادُ إِلَى أَشْلَاءٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يَتَرْتَّبُ
عَلَيْهِ سُقُوطُ الْأَوْطَانِ؛ لِإِثْنَاءِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَدْبُونُ عَنْ حِيَاضِ بِلَادِهِمْ.
فَاسْأَلْ بِلَنْسِيَّةَ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ وَأَيْنَ شَاطِئَةُ أَمِ أَيْنَ جِيَّانُ

تَقْدِيرُ الْجُمْلَةِ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ: (فَاسْأَلْ أَهْلَ بِلَنْسِيَّةِ)؛ لِأَنَّ الْجَمَادَ لَا يُسْأَلُ بَلِ
الَّذِي يُخْتَصُّ بِالسُّؤَالِ هُوَ الْإِنْسَانُ، فَتَنَجَّ عَنْ هَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْحَذَفِ (المضاف)
لِلْإِخْتِصَارِ وَالْإِيْجَازِ (المجاز المرسل).

أَفْضَى الْحَذَفُ هُنَا إِلَى الْإِتْسَاعِ، ذَلِكَ أَنَّ ظَاهِرَ النَّصِّ يَدُلُّ عَلَى إِحَالَةِ السُّؤَالِ
إِلَى مَنْ لَا يَصِيحُ - فِي الْحَقِيقَةِ - سُؤَالُهُ، أَوْ مَنْ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِ الْإِجَابَةُ، فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ
يُرِيدُ تَأْكِيدَ قَوْلِهِ: إِنَّهُ حَتَّى لَوْ سَأَلَ الْمَرْءُ الْأَمَكِنَةَ الْجَامِدَةَ (بِلَنْسِيَّةِ) وَغَيْرَهَا مِنْ
مُكَوِّنَاتِ الْمَدِينَةِ، لَأَنْبَأَتْهُ بِحَالِهَا؛ لِأَنَّهَا شَهِدَتْ ذَلِكَ عَيْنًا.

وَلِأَنَّ إِجَابَةَ الْبَشَرِ - الْمَتَوَقَّعَ سُؤَالُهُمْ - مَعْلُومَةٌ ضَمْنًا؛ أَخْفَى الشَّاعِرُ مَا يَدُلُّ
عَلَيْهِمْ لَفْظًا، ذَلِكَ أَنَّهُ يُرِيدُ كَسْرَ الْمَأْلُوفِ أَوْ الْمَتَوَقَّعِ، بِوَسَاطَةِ تَوْجِيهِ السُّؤَالِ إِلَى
الْجَمَادِ الَّذِي لَا يُجِيبُ، فَحَاوَلَ اسْتِنطَاقَهُ؛ لِيُعْبَرَ بِدَاتِهِ عَنْ حَالِهِ تَحْتَ الْإِحْتِلَالِ.
قَوَاعِدُ كُنْ أَرْكَانُ الْبِلَادِ فَمَا عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

الْأَصْلُ فِي التَّرْكِيبِ اللَّغَوِيِّ النَّحْوِيِّ لِصَدْرِ الْبَيْتِ: (هِيَ/ هُنَّ قَوَاعِدُ كُنْ
أَرْكَانُ الْبِلَادِ)، فَحَذَفَ الشَّاعِرُ الضَّمِيرَ (المبتدأ)، وَأَبْقَى الْبَيْتَ مُصَدَّرًا بِالْخَبَرِ.

الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَكَانَةِ الْمَدُنِ (بِلُنْسِيَّةٍ، مُرْسِيَّةٍ، شَاطِئَةِ، جَيَّانٍ، قُرْطَبَةٍ) بِالنِّسْبَةِ لِلْأَنْدَلُسِ، ذَلِكَ أَنَّهُنَّ كُنَّ - سَابِقًا - الْمَدُنُ الْأَسَاسِيَّةُ، وَالرَّكِيْزَةُ الَّتِي تَرْتَكِزُ عَلَيْهَا الْأَنْدَلُسُ. وَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الْمَدُنُ تُسْتَأْثِرُ بِشَأْوِ عَالٍ، وَالْآنَ تَوَارَتْ وَمَا عَادَتْ شَيْئًا مَذْكُورًا - بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فَمَا عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ - كَذَلِكَ أَسْقَطَ الشَّاعِرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِنَّ لَفْظًا (مَبْنَى).

أَلَا نُفُوسٌ أَيْبَاتٌ لَهَا هِمَمٌ أَمَّا عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانٌ وَأَنْصَارُ

يَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ فِي عَوْفٍ سَوْءٍ جَرَاءَ مَا يَرَى فِي الْأَنْدَلُسِ؛ لِذَلِكَ يَسْتَنْهِضُ هُنَا عَزِيْمَةَ الْمُسْلِمِينَ لِدَرْءِ الْإِحْتِلَالِ، وَيَهَيِّبُ بِهِمْ إِلَى نَجْدَةِ إِخْوَانِهِمْ سِرَاعًا، وَيُحَرِّضُ هِمَمَهُمْ عَلَى مُقَاتَلَةِ الْمُحْتَلِّ، الَّذِي اسْتَطَالَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَعَاثَ فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرَ فِيهَا الْفَسَادَ.

جَاءَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الصَّرِيْحَةُ مِنْ لَدُنِ الشَّاعِرِ فِي سِيَاقِ أُسْلُوبٍ تَحْضِيضِيٍّ؛ لِأَنَّ التَّحْضِيْضَ فِيهِ نَوْعٌ مِنْ طَلَبِ الشَّيْءِ بِقُوَّةٍ مَعَ انْتِظَارِ الْحَاضِ تَلْيِيَةً طَلَبِهِ عَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ.

إِذَا، يَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ أَحْسَنَ بِقِيَمَةِ الْوَقْتِ الَّذِي يُسَابِقُهُ، وَحَرَصَ عَلَى أَلَّا يَنْفَدَ، وَشَعَرَ أَنَّ الْمَوْقِفَ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْخِيرَ، فَأَرَادَ إِصْالَ رِسَالَتِهِ عَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ، فَحَدَفَ فِعْلَ التَّحْضِيْضِ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ فِي ذِكْرِ الْفِعْلِ إِعَاقَةً فِي إِصْالِ رِسَالَتِهِ بِسُرْعَةٍ.

● أُسْلُوبُ الْإِنْتِفَاتِ:

أُسْلُوبُ الْإِنْتِفَاتِ نَمَطٌ تَعْبِيرِيٌّ وَلَوْ بِلَاغِيٍّ يَقْتَضِي الْعُدُولَ فِي اسْتِعْمَالِ اللَّغَةِ (الْمَبْنَى) مِنَ الْمَأْلُوفِ إِلَى غَيْرِ الْمَأْلُوفِ دُونَ الْإِحَاقِ ضَرَرَ بِالْمَعْنَى، وَإِذَا جَنَحَ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُ، فَإِنَّهُ يَتَّبِعِي مِنْهُ حَمْلَ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِتِّبَاهِ إِلَى دَلَالَاتٍ يَرْمِي إِلَيْهَا.

إنَّ المعنى العامَّ لهذا الأسلوب (الانتقال من المألوف إلى غير المألوف) يتفق مع الهم الذي يحمله الشاعر بين جوانبه، ذلك أنه يقاسي بين المألوف المعتاد (استقرار الأندلس)، وغير المألوف الطارئ (احتلال الأندلس)، لذلك انعكس همه على مبنى لغته عبر استعمال أسلوب الالتفات الذي لم يأت تجميلاً لمعصم القصيدة، وإنما لدلالات يتبعها الشاعر، ولو كان الأمر كذلك لأحدث بؤساً بين دلالة المعنى المراد والمعنى المغلوطة الذي فهم من ظاهر الأسلوب.

استعمل الشاعر في قصيدته هذا الأسلوب عبر التنوع في استعمال الضمائر، وبخاصة صورة الانتقال من ضمير المخاطب إلى ضمير الغيبة، إذ ورد في بيتين اثنين:
يا غافلاً - وله في الدهر موعظة
إن كنت في سيرة، فالدهر يقظان

الغافل هو الساهي من قلة التيقظ، وقد ناداه الشاعر بحرف النداء (يا)، ثم بعد أن ناداه التفت عنه من أسلوب الخطاب إلى الغيبة، ودلالة هذا الالتفات يفيد معنى عدم الاكتراث والإعراض، فكما أن الغافل يغفل عما حوله من أمور، بل يتعمد أن يكون غائباً عن المشاهد ولا يبالى بها، فكذلك عامله الشاعر بالمثل فعليه باللغة باستعمال ضمير الغائب، فكأن بالشاعر قد شفن الغافل، ولم يقيم له وزناً.

ورأتعين وراء البحر في دعة
لهم بأوطانهم عز وسلطان

يأتي الفعل (يرتع) بمعنى: يلهو وينعم، وقد استعمل هذا المعنى في قوله

تعالى: ﴿أَرْسَلَهُ مَعْنَاغِدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢٥). والشاعر في هذا البيت جاء بلفظة (راتعين) منادى بأداة نداء محدوفة؛ ثم التفت من أسلوب الخطاب (النداء) إلى الغيبة بضمير (هم)، ليفيد معنى توبيخ الراتعين؛ لأنه من يلهو ويلعب، فلن يأبه بمن حوله، حتى لو هوى الموت نحوه فأغراً فاه؛ لأن ثمة ما يشغله عن غيره. فالشاعر كأنما التفت بوجهه إلى غير وجهتهم غير آبه بالمسلمين في شمال أفريقيا؛ لعدم اكتراثهم بحال إخوانهم الأندلسيين.

٣. الظواهر النحوية:

● التقديم والتأخير:

جاءت ظاهرة التقديم والتأخير في تراكيب القصيدة؛ لتكون مُعزِّزاً آخرَ في اللغة الشعرية، ينبضُ بها النصُّ، وتمنحُ الألفاظُ بروراً تعبيرياً، فجاءت الألفاظُ متأخرةً عن مكانها الطبيعي، ومتوافقةً مع تفعيلة القافية، الأمر الذي يدفع عن المتلقي رتبة التراكيب، ويكسرُ المألوفَ في تنبُّر القارئ لترتيب الجملة، فيطفقُ باحثاً عن مُراد الشاعر من ذلك.

يُمثِّلُ التقديم والتأخير "واحداً من أبرز مظاهر العدول في التركيب اللغوي؛ ليحقق غرضاً نفسياً ودلالياً يقوم بوظيفة جمالية بوصفه ملمحاً أسلوبياً خاصاً، ويتم عن طريق كسر العلاقة المألوفة بين المسند والمُسند إليه في الجملة ليضعها في سياق جديد وعلاقة مميزة^(٢٦)، إذاً، هو ضربٌ من التصرف في التركيب، والعدول عن أصل ترتيب عناصره؛ لغاية بيانية معنوية، وهذا التصرف لا يكون عبثاً لغير علة، وإلا بات تمادياً على التركيب ومعناه، وإفساداً للكلام.

ظاهرة التقديم والتأخير^(٢٧) فيها إقدام على مخالفة لقرينة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتماداً على قرائن أخرى، وصولاً بالعبارة إلى دلالات وفوائد يقتضيها المقام.

لا يتوقف التقديم والتأخير عند مجرد ردِّ الفروع إلى الأصول، بل يتجاوزها إلى مباحث تتعلق بالفروق المعنوية الحاصلة عن الانتقال من البنية الأصلية إلى البنى المتفرعة عنها بوساطة التصرف في رتب العناصر في اللفظ، ولئن كانت هذه الظاهرة لا تنال من الأدوار النحوية المتعلقة بالمحلات الإعرابية، فإن لها دوراً حاسماً في تحديد المعنى الحاصل من الجملة^(٢٨). فلا غرو حين نرى احتفاء الجرجاني بهذه الظاهرة في قوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع

التَّصَرُّفِ، بَعِيدُ الْعَايَةِ، لَا يَزَالُ يَفْتَرُّ لَكَ عَنْ بَدِيعِهِ، وَيُقْضِي لَكَ إِلَى لَطِيفِهِ، وَلَا تَزَالُ تَرَى شِعْرًا يَرُوقُكَ سَمْعُهُ، وَيَلْطَفُ لَدَيْكَ مَوْفِعُهُ، ثُمَّ تَنْظُرُ فَتَجِدُ سَبَبَ أَنْ رَافَكَ وَلَطَفَ عِنْدَكَ أَنْ قُدِّمَ فِيهِ شَيْءٌ، وَحَوْلَ اللَّفْظِ عَنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ^(٢٩).

أَمَّا شَاعِرُنَا، فَقَدْ تَمَسَّكَ بِتَلَابِيبِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَجَنَحَ إِلَيْهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ، وَيَبْدُو أَنَّ كَسَرَ الْعَلَاقَةِ الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ الْمُسْتَدِّ وَالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ (الْعُدُولُ فِي التَّرَكِيبِ) يُتَبَحُّ لِلشَّاعِرِ التَّغْيِيرَ عَنْ مَقْصُودِهِ الْمَعْنَوِيِّ بِمَنْطُوقِهِ اللَّفْظِيِّ (التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ)؛ وَيُمْكِنُ التَّغْيِيرُ أَكْثَرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِنَا: إِنَّ الْحَالَةَ الطَّبِيعِيَّةَ الْأُولَى لِلْأَنْدَلُسِ (الْمَعْنَى) وَيُقَابِلُهُ الْأَصْلُ فِي تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ (الْمَبْنَى)، تَغْيِيرَ وَصَارَ مَعْكُوسًا، فَمَا كَانَ أَصْلًا (اسْتِقْرَارَ الْأَنْدَلُسِ) صَارَ فَرْعًا (احْتِلَالَهَا)، وَهَكَذَا فِي تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ، فَمَا كَانَ حَقُّهُ الصَّدَارَةُ بَاتَ آخِرًا. وَإِلَيْكَ بَعْضُ مَوَاطِنِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي الْقَصِيدَةِ.

أ. تَقْدِيمُ الْخَبَرِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ تَقْصَانُ فَلَا يُعَرِّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
تَضَمَّنَ الْبَيْتُ حِكْمَةً مُوجِزَةً بَلِيعَةً، حَمَلَتْ بَيْنَ طَيِّبَاتِهَا مَعْنَى سَامِيًا وَتَجَرِبَةً
إِنْسَانِيَّةً عَمِيقَةً؛ لِتَكُونَ شَاخِصَةً إِرْشَادِيَّةً تُقَدِّمُ إِلَى عُمُومِ الْبَشَرِيَّةِ، وَقَدْ وَظَّفَهَا الشَّاعِرُ
فِي مُسْتَهْلٍ قَصِيدَتِهِ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَا يُبَادِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْقَصِيدَةِ أَتْيَاثُهَا الْأَوَّلُ؛ كَمَا أَنَّ هَذِهِ
الْحِكْمَةَ جَاءَتْ تَمْهِيدًا لِلْحَدَثِ، وَمَوْطِئَةً لِمُنَاسَبَةِ الْقَصِيدَةِ.

وَيُمْكِنُ عَدُّ دَيْدَنِ الشُّعْرَاءِ فِي تَقْدِيمِ الْحِكْمِ فِي مَطَالَعِ قَصَائِدِهِمْ عَلَى أَنَّهُ
صُورَةٌ مُحَاذِيَةٌ لِظَاهِرَةِ الْوُقُوفِ عَلَى الْأَطْلَالِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، فَكَمَا أَنَّ الْمَقْدِمَاتِ
الطَّلَلِيَّةَ تُرَكِّزُ عَلَى الْآثَارِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَتْرُكُهَا الْمَحْبُوبَةُ بَعْدَ الرَّحِيلِ، فَكَذَلِكَ الْحِكْمُ،
فَهِيَ نَتَاجُ تَجَرِبَةٍ تَرَاكُمِيَّةٍ مُهِمَّةٍ، وَغُصَارَةُ أَحْدَاثٍ مَاضِيَّةٍ، يَسْتَأْنِسُ بِهَا الْمَرْءُ كُلَّمَا
اسْتَدْعَتْ الْحَاجَةَ.

إنَّ الحِكْمَةَ الَّتِي رَمَى إِلَيْهَا الشَّاعِرُ تَشِي بِمَلَمَحِ عَقْدِي، إِذْ تَتَجَلَّى فِي حَقِيقَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ أَيَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا مَهْمَا حَاولَ أَنْ يَبْلُغَ أَسْبَابَ الْكَمَالِ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَقْصٍ يَشُوْبُهُ، فَيَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَلَّا يُخْدَعَ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا؛ لِأَنَّ مَصِيرَهَا الْفَنَاءُ وَالزَّوَالُ^(٣٠).

يَوْمِي الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَتْ تَخْفُ بِأَكْثَافِ الْأَنْدَلُسِ، فَمِنْ اسْتِقْرَارٍ وَازْدِهَارٍ وَرَغَدٍ فِي الْعَيْشِ (الثَّمَامُ نَسِيًّا) إِلَى دَمَارٍ وَهَبٍ وَسَلْبٍ (نُقْصَانٌ مُطْلَقٌ).

فُكْنَائِيَّةُ التَّحَوُّلِ (مِنْ... إِلَى...) الَّتِي يُصَارِعُهَا الشَّاعِرُ، انْعَكَسَتْ عَلَى لُغَةِ الْبَيْتِ، فَقَدْ رَبَطَ بَيْنَ التَّحَوُّلِ الَّذِي عَاشَهُ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَالانْحِرَافِ الْوَاقِعِ فِي بَنِيَةِ التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ (تَقْدِيمِ الْخَبَرِ "لِكُلِّ شَيْءٍ" عَلَى الْمُبْتَدَأِ نُقْصَانٌ).

وَلَا رَيْبَ فِي جَوَازِ مِثْلِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّقْدِيمِ عِنْدَ النُّحَاةِ، وَمُسَوِّعُ ذَلِكَ أَنَّ الْخَبَرَ جَاءَ شِبْهَ جُمْلَةٍ (جَارًّا وَمَجْرُورًا)، وَالْمُبْتَدَأُ نَكْرَةً غَيْرَ مُضَافَةٍ أَوْ مَوْصُوفَةٍ، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ حِينَ وَظَّفَ هَذَا التَّقْدِيمَ قَصَدَ مِنْهُ دَلَالَةً أَرَادَهَا، فَلَمْ يَأْتِ التَّقْدِيمُ اعْتِبَاطِيًّا، وَيُمْكِنُ تَصَوُّرُ الْبُعْدِ الدَّلَالِيِّ لِهَذَا التَّقْدِيمِ - فِي نَظَرِي - بَوَسَاطَةِ الرِّبْطِ الدَّلَالِيِّ بَيْنَ مَفْهُومِ (الْحِكْمَةِ) وَ (لِكُلِّ شَيْءٍ). فَالْحِكْمَةُ تُصْلَحُ أَنْ تَكُونَ هَادِيَةً لِعُمُومِ الْبَشَرِيَّةِ "دَلَالَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ"، وَإِذَا ائْغَظَ مِنْهَا أَيُّ شَخْصٍ، فَتَكُونُ حِينئِذٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ مَفْهُومِ (الْعُمُومِ) وَاكْتَسَبَتْ صِفَةَ الْخُصُوصِ.

كَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي لَفْظَتِي "لِكُلِّ" وَ "شَيْءٍ"؛ فَفِي لَفْظَةِ "كُلِّ" فَايِدَةٌ لُغَوِيَّةٌ لَدَى النُّحَاةِ وَهِيَ الْعُمُومُ، وَلَفْظَةُ "شَيْءٍ" دَلَالَةٌ عَلَى الْخُصُوصِ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ قَصَدَ فِي بَاطِنِهَا الْأَنْدَلُسَ - هَاجِسَ الشَّاعِرِ - فَهِيَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَتَغَيِّرَةِ.

كَمَا نَجِدُ فِي الْحِكْمَةِ قُوَّةَ تَأْثِيرٍ وَتَبَاطُأً مَدَى الْحَيَاةِ، وَهَذَا مَا نَجِدُهُ فِي تَوْظِيْفِ الْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ "لِكُلِّ شَيْءٍ نُقْصَانٌ" الَّتِي تَذُلُّ عَلَى الثَّبَاتِ وَالِاسْتِقْرَارِ.

وَتَمَّةٌ سَبَبٌ نَحْوِيٌّ لِلتَّقْدِيمِ؛ وَهُوَ مَخَافَةُ حُدُوثِ اللَّبْسِ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالصِّفَةِ، فَلَوْ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدَّمَ الْمُبْتَدَأَ (نُقْصَانُ)، لَفُهِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ (لِكُلِّ شَيْءٍ) جَاءَتْ صِفَةٌ لِلْمُبْتَدَأِ، فَجَاءَ هَذَا التَّقْدِيمُ تَنْبِيْهًا وَدَفْعًا لِلتَّوْهُمِ، فَالْخَبَرُ أَقْوَى فِي دَلَالَتِهِ مِنَ الصِّفَةِ.

أَمَّا حَالَاتُ اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ نُقْصَانٍ، فَيُمْكِنُ التَّرْكِيزُ عَلَيْهَا مِنْ أَرْبَعَةِ جَوَانِبَ:

- أَنَّ فِي تَأْخِيرِهَا حِفْظًا لِتَرْتِيبِ مَذَلُولَاتِ الْأَلْفَاظِ؛ لِأَنَّ التَّرْتِيبَ الطَّبِيعِيَّ أَنْ يَأْتِيَ التَّقْصُّ بِعَدِّ التَّمَامِ.

- أَنَّ الشَّاعِرَ رَاغٍ إِلَى مَا يُسَمِّيهِ الْعَرُوضِيُّونَ بِـ (التَّصْرِيعِ)، إِذْ تَجَانَسَ عَرُوضُ الْبَيْتِ "صَانٌ مَعَ الضَّرْبِ سَانٌ"، وَهَذَا أَضْفَى جَمَالًا مُوسِيقِيًّا إِضَافِيًّا عَلَى الْبَيْتِ، وَشَدَّ انْتِبَاهَ السَّامِعِ، وَشَتَفَ آدَانَهُ لِمَا تُوحِي إِلَيْهِ اللَّفْظَةُ مِنْ دَلَالَاتٍ؛ لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَتَنَاوَلُ حِكْمَةً يُرِيدُ مِنَ الْبَشَرِ جَمِيعَهُمُ الْإِصْغَاءَ إِلَيْهَا.

- أَنَّ سِيَاقَ الْبَيْتِ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَبَالِغَةِ وَالتَّكْثِيرِ، فَالْمَقَامُ فِي مَأْرَبٍ إِلَى مَصْدَرٍ دَالٌّ عَلَى الْمَبَالِغَةِ؛ لِذَلِكَ مَالَ الشَّاعِرُ إِلَى تَوْظِيفِ الْمَصْدَرِ (نُقْصَانُ).

- أَنَّ فِي اخْتِيَارِ لَفْظَةِ نُقْصَانٍ عَرُوضًا لِصَدْرِ الْبَيْتِ أَمَارَاتٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُسْتَنْتَجَ بوساطَةِ الرِّبْطِ الدَّلَالِيِّ بَيْنَ (نُقْصَانٍ وَإِنْسَانٍ): فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ لَفْظَةَ "إِنْسَانٍ" مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْإِنْسِ نَقِيضُ الْوَحْشَةِ، وَالشَّاعِرُ حِينَ وَظَّفَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَ إِلَيْنَا مَعْنَى قَصْدِهِ؛ وَهُوَ أَنَّ الْمُدُنَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ بَاتَتْ مُوحِشَةً وَخَاوِيَةً عَلَى غُرُوشِهَا، وَالْإِنْسُ الَّذِي كَانَتْ تَعِيشُ بَيْنَ جَنَابَاتِهِ وَتَنْعَمُ بِهِ تَوَارَى بِحِجَابِ الْاِخْتِلَالِ.

وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوانٌ	وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوانٌ يُسَهِّلُهَا
وَمَا لَهَا مَعَ طُولِ الدَّهْرِ نِسْيَانٌ	تِلْكَ الْمَصِيبَةُ أَنْتَ مَا تَقْدَمُهَا

اشْتَمَلَ الْبَيْتُ عَلَى ثَلَاثَةِ شَوَاهِدَ لِلتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ؛ الْأَوَّلُ: تَقْدِيمُ الْخَبَرِ (شِبْهِ الْجُمْلَةِ / لِلْحَوَادِثِ) عَلَى الْمُبْتَدَأِ (سُلُوانِ). الثَّانِي: تَقْدِيمُ الْخَبَرِ (شِبْهِ الْجُمْلَةِ / لِمَا)

عَلَى الْمَبْتَدَأِ (سُلْوَان). الثَّالِثُ: تَقْدِيمُ الْخَبَرِ (شِبْهُ الْجُمْلَةِ / لَهَا) عَلَى الْمَبْتَدَأِ (نِسْيَان)، وَقَدْ قَصَدَ الشَّاعِرُ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ التَّرْكِيزَ عَلَى الْفَجِيعَةِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِهِ؛ وَلِأَنَّ فَجِيعَةَ احْتِلَالِ الْأَنْدَلُسِ جَبَّتْ مَا قَبْلَهَا، فَقَدْ أَلْقَتْ بَظِلًا لَهَا عَلَى نَفْسِيَّةِ الشَّاعِرِ، وَنَالَتْ صَدَارَةً فِي فِكْرِهِ، وَأَوَّلَوِيَّةً فِي عَوَاطِفِهِ، فَلَا غَرَابَةَ حِينَ يُقَدِّمُ مَا يَشْغَلُ بَالَهُ، وَيَقْضُ مُضْجَعُهُ (وَطْنَهُ)، وَكَمَا يُقَالُ: مَكَامِنُ الْقَلْبِ تُظْهِرُهَا عَثَرَاتُ اللِّسَانِ.

وَالْبَيْتَانِ يَتَشَابِهَانِ مَعْنَى فِي عَدَمِ اقْتِرَانِ السُّلْوَانِ بِمُصِيبَةِ الْاِحْتِلَالِ الَّتِي اعْتَوَرَتِ الْأَنْدَلُسَ، وَاسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ حَرْفَ التَّفْيِ؛ لِزِيَادَةِ التَّوَكِيدِ فِي الْمَعْنَى، فَتَفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ قَصَرَ نَفْيِ وُجُودِ السُّلْوَانِ عَلَى مُصِيبَتِهِ وَحَدَهَا، وَإِثْبَاتِ وُجُودِهِ فِي غَيْرِ مُصِيبَتِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوِّ التَّشَاوُهِ الَّذِي يَلْفُ الشَّاعِرَ. وَهَذَا الْأُسْلُوبُ مُشَابِهٌ لِبَيْتِ شِعْرِيٍّ فِي سِينِيَّةِ عِمَادِ الدِّينِ الْأَصْفَهَانِيِّ^(٣١):

أَرَى حَدَثَانَ الدَّهْرِ يُنْسَى حَدِيثُهُ وَأَمَّا حَدِيثُ الْعَدْرِ مِنْكُمْ فَلَا يُنْسَى (الطُّونِل)

وَلِأَنَّ الرُّنْدِيَّ - كَعَبْرَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ - يُنْقَادُ خَلْفَ الرُّوْيِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِأَبْيَاتِ قَصِيدَتِهِ، وَيَخْنِي صَدْرَهُ لَهُ بِوصْفِهِ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِ بِنَاءِ الْقَصِيدَةِ، فَقَدْ لَجَأَ إِلَى أَنْمَاطِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ؛ تَلْيِيَةً لِلْحَاحِ الرُّوْيِ، وَمُسَايَرَةً لَهُ، ذَلِكَ أَنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ سَاعَدَهُ فِي أَنْ يَبْقَى مُحَافِظًا عَلَى الرُّوْيِ، وَهَذَا يَنْخَلِجُ عَلَى بَاقِي الْأَبْيَاتِ اللَّوَاتِي انْتَهَى فِيهَا الْعَجْزُ بِتَقْدِيمِ وَتَأْخِيرِ.

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانٌ

قِيلَ سَابِقًا: إِنَّ الشَّاعِرَ يُعَانِي مِنْ غَامِلِ الدَّهْرِ الَّذِي عَضَّهُ بِنَابِهِ، وَهَذَا يَظْهَرُ جَلِيًّا فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ أَلْفِهَا إِلَى يَائِهَا، فَصَوَّرَهُ بِأَلَةٍ تُمَارِسُ الْخَرَابَ وَالْدَّمَارَ، وَتُشَوِّهُ مَعَالِمَ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَلِأَنَّ شَبَحَ هَذَا الْعَامِلِ لَا يُفَارِقُهُ، فَقَدْ قَدَّمَهُ فِي مُسْتَهْلٍ جُمْلَةً اسْمِيَّةً دَالَّةً عَلَى

الثبوت والاستقرار؛ ليُضفي عليه - أيضاً - صفة ثابتة تجمع متناقضين: الفرح، والترح.

أما اللطيفة البلاغية من تقديم الخبر، وتأخير المبتدأ ومعطوفه، فتعود إلى قصر المسرات والأحزان على الزمان؛ لأنهما جزء منه.

حيث المساجد قد صارت فيهن إلا نواقيس وصلبان لم يقتصر المحتل على احتلال أرض الأندلس فحسب، بل تعدى ذلك إلى المقدسات الدينية، إذ حولها إلى أماكن لديانتهم.

ولقوة هذه الرسالة العقديّة التي تقض مضجع الشاعر، أوجد الشاعر لها طريقتين من طرق القصر البلاغي وهما: التقديم والتأخير (فيهن نواقيس وصلبان)، والاستثناء المفرغ، وذانك برهاتان أسعفا الشاعر في تأكيد المعنى الذي أراده (التخصيص والحصر)، فالخبر (فيهن) مقصور عليه، والمبتدأ ومعطوفه (نواقيس وصلبان) مقصور، فنفي وجود النواقيس والصلبان في أي مكان، وأثبت للمساجد فقط، وهذا المعنى فيه إثارة لمشاعر المسلمين، ونهيجهم لاسترداد ما ضاع من الأندلس، ومقدساتهم الإسلامية.

على ديار من الإسلام خالية قد أفقرت ولها بالكفر عمران
ورأتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان

أفاد التقديم والتأخير في البيتين معنى التخصيص والقصر، ففي البيت الأول قصر الشاعر عمارة أرض الأندلس على الكفر؛ ليدل على أن شرع الإسلام - الذي كان سيّداً فيها، ويحكم به ويقام العدل بوساطته - توارى.

وفي البيت الثاني قصر الشاعر العزة والسلطان على ديار المسلمين المجاورة الرائعة خلف البحار؛ لأنهم لم يحوضوا بعد تجربة الاحتلال، ولم يتجرعوا دلاً الهزيمة، أما الأندلس، فخاضت هذه التجربة الأليمة، وتجرعت مرارة الحيف والطغيان.

ب. تقديمُ المفعولِ به على الفاعلِ:

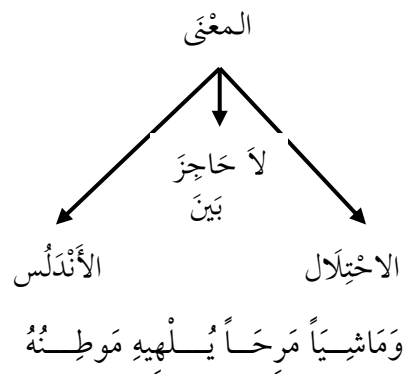
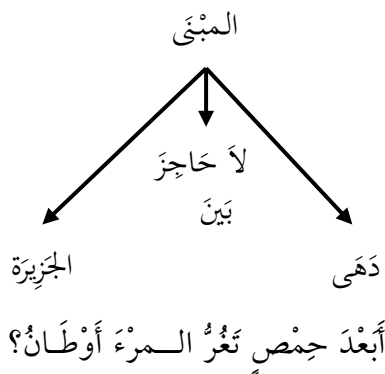
يَقُولُ سَيَبَوِيهِ فِي هَذَا الصَّدَدِ: فَإِنْ قَدَمْتَ الْمَفْعُولَ وَأَخَّرْتَ الْفَاعِلَ جَرَى
الْلَفْظُ كَمَا جَرَى فِي الْأَوَّلِ وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ اللَّهِ... وَهُوَ عَرَبِيٌّ جَيِّدٌ
كَثِيرٌ، كَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ أَهَمَّ لَهُمْ، وَهُمْ بَيَّنَّاهُ أَعْنَى (٣٢).

وَرَدَ هَذَا التَّمَطُّ فِي قَصِيدَةِ الرُّنْدِيِّ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ:

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ تَهْلَانُ

لَمَّا اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ لَفْظَةَ (الْجَزِيرَةَ)، أَوْحَى بِهَا أَنَّ مَا زَلَزَلَ الْأَنْدَلُسَ انْعَكَسَ
ظِلَالُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَاطِبَةً، وَهَذَا فِي مَعْنَاهُ الْبَاطِنِ يُنْبِئُ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ
بَدَأَ يَنْكُصُ مِنْ حَيْثُ أَتَى، فَكَأَنَّ احْتِلَالَ الْأَنْدَلُسِ - فِي نَظَرِ الشَّاعِرِ - كَانَ بِمَثَابَةِ
اِحْتِلَالِ لِلْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ كَافَّةً.

وَتَمَّةً لَطِيفَةً أُخْرَى تُسْتَبْطَأُ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْمَفْعُولِ بِهِ (الْجَزِيرَةَ) لِلْفِعْلِ (دَهَى)،
فَالْفِعْلُ (دَهَى) يَعْنِي إِصَابَةَ الشَّيْءِ بِغَتَّةٍ، وَيَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ أَفْضَى مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ
الْاِحْتِلَالَ هَاجَمَ الْأَنْدَلُسَ بِغَتَّةٍ دُونَ سَابِقِ إِثْدَارٍ، فَلَمْ يَجِدُوا حَوَاجِزَ تَكْبَحُ جِمَاحَهُمْ،
كَذَلِكَ لَمْ يَفْصِلِ الشَّاعِرُ بَيْنَ الْفِعْلِ (دَهَى) وَالْمَفْعُولِ بِهِ (الْجَزِيرَةَ) بِحَاجِزٍ.



أصلُ التَّركيبِ النَّحْوِيّ فِي عَجْزِ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ: (تَعْرُ أَوْطَانُ الْمَرْءِ)، لَكِنَّ الشَّاعِرَ قَدَّمَ الْمَفْعُولَ بِهِ "الْمَرْءَ" عَلَى الْفَاعِلِ "أَوْطَانُ"، وَالِدَّلَالَةُ الَّتِي تَمَحَّضَتْ عَنْ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ تَفِيءٌ إِلَى:

- مُرَاعَاةِ (الرَّوْيِ).

- اهْتِمَامِ الشَّاعِرِ بِـ (الْمَرْءِ)؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ مُوجَّهٌ إِلَيْهِ فِي الْبَيْتِ، فَاسْتَشْهَدَ بِحَالِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَمْشِي مَرَحًا مُخْتَالًا فِي مَوْطِنِهِ كَيْفَمَا شَاءَ، فَيَعِيشُ فِي رَغَدِ الْعَيْشِ غَيْرَ آيَةٍ بِمَا يَدُورُ فِي الْبِلَادِ الْمَجَاوِرَةِ لَهُ، فَالشَّاعِرُ أَرَادَ أَنْ يُقَدِّمَ لِهَذَا الْإِنْسَانِ شَاهِدًا عَلَى طَيْبِ الْعَيْشِ؛ لِيَعْتَبِرَ مِنْهُ، ثُمَّ جَاءَ عَلَى ذِكْرِ مَدِينَةِ (حِمَص) الَّتِي انْقَلَبَ حَالُهَا إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ؛ لِتَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَذَكَّرَ.

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
يَوْمًا وَلَا مَلَكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ

إِنَّ فِي تَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ بِهِ (الدُّنْيَا) وَتَأْخِيرِ الْفَاعِلِ (سُلَيْمَان) إِشَارَاتٍ إِلَى مَا يَلِي:

- قَدَّمَ الشَّاعِرُ (الدُّنْيَا)؛ لِعَرَضِ التَّحْقِيرِ، ذَلِكَ أَنَّهَا دَارُ مَهَانَةٍ وَمَتَاعِ الْغُرُورِ.

- لِلْفُظَّةِ (سُلَيْمَان) دَلَالَةٌ عَلَى الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ (الْآخِرَةِ) بِالَّذِي هُوَ أَذْنَى (الدُّنْيَا)، فَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ دَارُ عِزَّةٍ وَرَفْعَةٍ وَعَظَمَةٍ، لَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

- حَفِظَ تَرْتِيبَ الْمَدْلُولَاتِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِدَايَةِ الْحَيَاةِ تَسْبِقُ الْآخِرَةَ الَّتِي ادَّخَرَهَا سُلَيْمَانُ.

وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ سَمَحَ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِحُرِّيَّةٍ، فَيَصْطَفِي مِنَ التَّرَاكيبِ الْمَحْتَمَلَةِ مَا يَمُنَحُ مَوْضِعَهُ الْفِكْرِيَّ وَالْوَجْدَانِيَّ خُصُوصِيَّتَهُ وَتَفَرُّدَهُ^(٣٣).

يَا مَنْ لِدَلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمْ
أَحَالَ حَالَهُمْ كُفْرًا وَطُغْيَانًا

هُنَا عَمَدَ الشَّاعِرُ إِلَى تَقْدِيمِ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ رتبةً؛ طَلَبًا لِإِظْهَارِ تَرْتِيبِ الْمَعَانِي

في النفس، والعناية والاهتمام، فالشاعر ليس مهتماً بالفاعل (الكفر والطغيان) - لأنه أمر اعتاد عليه ومن البداهة أن يكونا معبّة الاختلال - بقدر اهتمامه بالمفعول به (الحال) الذي كلما حزب الشاعر استذكره، فهو في معرض استغاثة؛ لذلك تعجل بالحديث عن الحال؛ محاولة منه في ترقيق قلوب الناس على حال أهل الأندلس بوقت أسرع، فبين حالهم بالأذلاء مهطعين مقنعي رؤوسهم بعد أن كانوا أعزّاء.

● الخروج عن قواعد النحو:

وقف فيض من الدارسين على الشواهد الشعرية التي نددت عن القواعد المعيارية، فابتدر بعضهم إلى عدّ هذا الخروج من باب الضرورة الشعرية دون سبر غورها دلالياً، ومنهم من نعتّه بالتسور على محراب اللعة والقسوة عليها وانتهاك أعرافها، ومنهم من قال - كما رأى المبرّد وابن فارس من قبل - أن الشاعر ليس نبياً معصوماً عن الخطأ، بل هو بشر يخطئ ويصيب.

وأرى أن بعض الشعراء حين ينحرفون عن قواعد النحو التي وضعها النحاة، لا تكون الضرورة الشعرية وحدها - بالضرورة - السبب في الانحراف، فالشاعر يعلم علم اليقين أنه انحرف؛ لأنه ليس في حالة هذيان، ولا يتحبط خبط عشواء، وليس أعجمياً دخیلاً على لغته، أو يرصف المبانى دون دراية بالمعاني، أو يلقي الكلام على رُسُلَاتِهِ - فمثلاً الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى كان يجلس حولاً كاملاً متفحاً قصائده - ولكنّه يُعبّر عما يدور في خلدِهِ بلُغَتِهِ.

ولنا في الشواهد اللغوية التي طفحت عن حيز حدود القاعدة المعيارية عدّة رؤى:

١ - ثمة قصور في القواعد المعيارية؛ ممّا ترتّب على ذلك ظهور عديد من الشواهد الخارجة عن صارم المعيار القاعدي.

٢ - الشواهد اللغوية انحدرت من لهجات لم تشفع لها فصاحتها الدخول ضمن

المعايير والضوابط التي اختطها النحاة إبان التقييد، فالخطأ ليس ذنب الشاهد، إنما من استبعاد اللهجة المنتهي إليها الشاهد من دائرة معايير التقييد.

٣- قد يقصد الشاعر نكتة بلاغية دلالية أسلوية حين يزيغ حقاً عن سنن القواعد.

أما شاعرنا الرندي فلم يكن بمنأى عن هذا الانحراف، ففي مساحة قصيدته مواطن متناثرة للانحراف عن قواعد النحو، ويبدو أن الشاعر أراد التحرر من إحرام القيود المعيارية، والتمتع بالألفاظ والتراكيب والأساليب التي يراها معبرة عن نفسه، فالحال الذي تعيشه الأندلس لا يتنظر المعيارية والمثالية اللغوية؛ لأن الحال الآن استثنائي، وينبغي التعبير عنه بكل ما تحتمله اللغة، وبما يرغب الشاعر قوله عنه؛ فلغة الشعر نغم إلى مفارقة النسق المعتاد؛ لأن ذلك مناط جمالياتها، فالمألوف من القول لا يثير في المتلقي أي إحساس؛ لأنه يجري حسب الإلف والعادة، أما الانحراف والعدول عن المعتاد، فهو ما يتوسل به ليهز يقظة المتلقي^(٣٤).

صرف ما لا ينصرف

وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
أَيْنَ الْمَلُوكِ دَوُو التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ
كَانَ ابْنُ ذِي يَزْنَ، وَالْغَمْدُ غَمْدَانِ
وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتَيْجَانُ؟

الشاهد في البيت الأول لفظة (يزن)، وهو علم ممنوع من الصرف؛ لأنه جاء على هيئة الفعل المضارع. أما الشاهد في البيت الثاني فهي لفظة (أكاليل)، وهو اسم ممنوع من الصرف؛ لأنه جاء على صيغة منتهى الجموع (أفاعيل). لكن الشاعر على الرغم من مسوغات منع الصرف في اللفظتين إلا أنه تركهما طليقتين فتوتهما، ويمكن الوقوف على أبعاد هذا الانحراف بما يلي:

- الضرورة الشعرية؛ بغية إقامة الوزن.

- قيمة نحوية: التذكير الذي أفاده التنوين.

- قيمة دلالية: إذ إن في البيتين تناوُلًا لقضية مفصلية هامة تدور في فلك حقيقة الفناء (الموت) الذي تتكسر أمامه كلُّ التوابت، ومن هذه التوابت حُكم الملوكة لبلادهم، الذين أدركهم الموت وإن كانوا في صياصيتهم، فحال بينهم وبين ملكهم وما رافقه من لوازم الملكية (التيجان والأكاليل)، ومن هؤلاء الملوكة الملك اليميني سيف بن ذي يزن الذي قضى نحبه بعد أن قتله خدمه الأحباش في قصر (غمدان) في اليمن.

والتنوين الذي استجلبه الشاعر دل على أن الحركة الإعرابية الثابتة - كغيرها من التوابت - في باب الممنوع من الصرف - عدم التنوين - خضعت لسلطان الموت، فعادت إلى سيرتها الأولى (التنوين / الأصل)؛ لثبابة عودة أجساد الملوكة إلى الثراب / الأصل، إذ دلل الشاعر على المعنى (عودة الملوكة إلى أصلهم ومنهم ابن ذي يزن) بالمبنى المرتبط به (عودة حركة الممنوع من الصرف إلى أصلها في كلمة يزن، وأكاليل).

قواعد كُنْ أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان؟

يمكن استنباط غاية الشاعر من صرف كلمة (قواعد) في البيت عبر الربط الدلالي بين كلمة (قواعد)، وحركة الممنوع من الصرف بما يلي:

الأصل / الماضي	الفرع / الحاضر
قواعد (قُرْبَة وبلنسية وحيان وشاطبة وحمص ومُرسية) مُدُنْ أُنْدُلُسِيَّة كُنْ واجهة أساسية وصورة ثابتة للأنْدُلُسِ بِكُلِّ جَوَانِبِهَا الْمُخْتَلِفَةِ.	سَقَطَتْ هَذِهِ الْوَاجِهُةُ مَعَ الْاِحْتِلَالِ، وَعَدَتْ عَلَيْهَا الْعَوَادِي، فَفَقَدَتْ خَصَائِصَهَا وَمَزَايَاهَا وَمَعَالِمَهَا، وَأَصْبَحَتْ عَافِيَاتٍ دَوَارِسَ.

الأصل / الماضي	الفرع / الحاضر
الضمّ	تحوّل الضمّ إلى التّنوين الدّالّ على التّوكيد؛ ليتّناسب مع حاضِر (القواعد) اللّواتي أصبَحْنَ نكرةً غير معروفةٍ بعد الدّمار. فكّما أنّ (القواعد) فقدت صفّاتها التّبويّة وصارت أئراً بعد عين، كدلك تحوّلت حركة الضمّ إلى تنوين التّوكيد (المبنى)؛ للإشارة إلى تلك المدن (المعنى).

فاسألْ بِلنسيّةٍ ما شأنُ مُرسيّةٍ وأينَ شاطِبةٌ أمْ أينَ جيّانُ
وأينَ قُرْطُبةٌ دارُ العلومِ، فكَمْ مِنْ عالَمٍ قد سَمّا فيها لَهُ شأنُ
وماشياً مَرِحاً يُلْهيه موطنُهُ أبعدَ حمصٍ تُغرُّ المرءَ أوْطانُ

الشّواهدُ في هذه الأبياتِ الثلاثة هي: (بلنسيّة، مُرسيّة، شاطِبة، قُرْطُبة، حمص)، وهي أسماءٌ ممّنوعةٌ مِنَ الصّرف، لكنّ الشّاعرَ عامَلها مُعامَلةَ الأسماءِ المصروفة، فألحقها تَنْويناً في آخرها. ويُمكننا أن نلمحَ مِنَ التّنوينِ الإشاراتِ التّالية:

- إقامة الوزنِ العروضيّ.
- جذبُ الاتّباه.
- إطلاقُ العنانِ في التّعيرِ عَنِ الانفعالاتِ النّفسية: إنّ المتمعّنَ في تلكَ الأسماءِ المصروفةٍ يَجِدُها صيغتُ في سياقِ جُملةٍ إنشائيّةٍ طليّة، والشّعراءُ في ديدَنهم

أَمِيلُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْجُمْلَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ الطَّلِيَّةِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ طَاقَةٍ انْفِعَالِيَّةٍ وَقُوَّةٍ طَلَبٍ،
وَاسْتِثَارَةٍ لِلانْتِبَاهِ، وَتَحْرِيكٍ لِلْمَشَاعِرِ، فَإِنْ كَانَتْ ثَمَّةَ حَوَاجِزٍ وَقَفَتْ أَمَامَ الشَّاعِرِ
لَتَحْدُثَ مِنْ انْفِعَالَاتِهِ، سَعَى إِلَى تَذْلِيلِهَا وَتَجَاوُزِهَا؛ حَتَّى لَا تُكْبَحَ جِمَاحُهُ فِي
إِيصَالِ مُرَادِهِ.

وَلَا جُنَاحَ عَلَى الشَّاعِرِ حِينَ صَرَفَ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ؛ لِأَنَّ دَلَالََةَ لَفْظَةِ (الْمَنْعِ)
تُفْضِي إِلَى تَصْفِيدِ الشَّاعِرِ عِنْدَ التَّعْبِيرِ عَنِ انْفِعَالَاتِهِ فِي مَوْقِفٍ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ فِيهِ إِلَى
الْحُرِّيَّةِ فِي التَّعْبِيرِ، فَتَجَاوَزَ (الْمَنْعِ) بَوْسَاطَةَ صَرَفِ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ، وَلَكِنَّا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ هَذِهِ
الْمَدُنَ كَانَتْ مُحَصَّنَةً مَنِيعَةً، وَالْآنَ صَارَتْ بِلَادًا مَفْتُوحَةً تَتَقَبَّلُ دُخُولَ أَيِّ غَرِيبٍ،
فَالْحَالَةُ الْأُولَى يُنَاسِبُهَا - إِعْرَاضًا - الْمَنْعُ مِنَ الصَّرْفِ، أَمَّا الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ فَيُنَاسِبُهَا التَّصْرِيفُ.

وَإِذَا مَا أَجْمَلْنَا دَلَالَاتِ التَّنْوِينِ، فَإِنَّا نَخْلُصُ مِنْهَا إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ أَنْ
يَجْذِبَ انْتِبَاهَ الْمُرءِ إِلَى حَجْمِ الدَّمَارِ وَالْحَيْفِ اللَّذِينَ غَشِيََا الْمَدُنَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ، وَيُظْهِرَ
شِدَّةَ حُزْنِهِ وَبُكَائِهِ الْمَمْشُوجِ بِالْأَيْنِ عَلَى مَا حَلَّ بِهَا.

حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
الشَّاهِدُ هُنَا كَلِمَةُ (نَوَاقِيسِ) الَّتِي جَاءَتْ عَلَى وَزْنِ صِيغَةٍ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ
(فَوَاعِيلُ)، وَاللَّافَتْ فِي هَذَا الشَّاهِدِ أَنَّ صَرْفَهُ أَوْ عَدَمَهُ لَا يَكْسِرُ الْبَيْتَ الشَّعْرِيَّ
عَرُوضِيًّا، وَيُخَيِّلُ إِلَيْنَا أَنَّ الشَّاعِرَ قَصَدَ مِنْ صِرْفِهَا جَذْبَ الْانْتِبَاهِ إِلَيْهَا، وَمَا تُوجِيهِ مِنْ
دَلَالَةٍ دِينِيَّةٍ، وَيَتَبَلَّوْرُ ذَلِكَ بَوْسَاطَةَ الدَّلَالَةِ الصَّوْتِيَّةِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ التَّنْوِينِ وَالنَّوَاقِيسِ؛
فَتَرَدُّ صَوْتِ الْعُنَّةِ فِي الْأَنْفِ النَّاجِمِ عَنِ التَّنْوِينِ، يُشْبِهُ الصَّوْتِ النَّاجِمِ عَنِ قَرَعِ
أَجْرَاسِ الْكِنَائِسِ؛ إِيدَانًا بِحُلُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، فَكَانَ الْمَعْزَى مِنْ هَذَا كُلِّهِ الْإِشَارَةُ
إِلَى كَثْرَةِ النَّوَاقِيسِ، وَقِلَّةِ الْمَآذِنِ الَّتِي كَانَتْ تُصَدِّحُ بِصَوْتِ الْأَذَانِ، وَجُلُّ مَا ذَكَرَهُ
الشَّاعِرُ جَاءَ اسْتِصْرَاحًا وَاسْتِصْصَارًا، لَعَلَّهُ يَجِدُ أَذْنًا صَاغِيَةً وَبَصِيرَةً مُدَقِّقَةً لِمَا اجْتَرَحَهُ
الْمَحْتَلُّ مِنْ حُوبٍ كَبِيرٍ.

٢. تحريك الساكن:

من ديدن اللغة العربية أنها تكرر توالي المتمائلات، فإذا اجتمع حرفان ساكنان، فإن الحرف الأول يُحرّك ويبقى الثاني ساكناً. أما إذا جَنَحَ شاعرٌ إلى التَّحريكِ دُونَ سَبَبٍ، فإنَّ هذا يُعدُّ كَسْرًا لِسُنَنِ النَّحْوِ المتأثرة بعلم الأصوات، وقد عدّه النحويون ضرورةً شعريّةً قسريّةً؛ بُعِيَة إقامَةِ الوزنِ الشعريِّ.

تَجَلَّى هذا المظهرُ في قصيدة الرنديِّ في تحريك الساكنِ لِحَرْفِ (الميم) ضميرِ جَمْعِ الذُّكُورِ (هُم)، إذ تَكَرَّرَ في سِتَّةِ مَوَاطِنَ، وأَعْتَقِدُ أنَّ الميلَ إلى مِثْلِ هذه الظَّاهِرَةِ جاءَ وفاقاً لِلوزنِ الشعريِّ تارَةً، بَلْ كَانَ أَدْعَى إلى لَطِيفَةٍ بلاغيّةٍ يَقْصِدُهَا الشَّاعِرُ، يُمَكِّنُ أَنْ تُسْتَفْرَأَ بِوَسَاطَةِ وَرُودِهَا فِي الأبياتِ التَّالِيَةِ:

مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ	وَأَنْتُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَانُ
يَا مَنْ لِدَلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمْ	أَحَالَ حَالَهُمْ كُفْرًا وَطُغْيَانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ	عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ أَلْوَانُ
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمْ	لَهَالِكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ

القَاسِمُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ هَذِهِ الأبياتِ تحريك (ميم) ضميرِ الجَمْعِ (هُم) بِالضَّمِّ، وَالْأَصْلُ أَنْ تُكُونَ (السُّكُون)، وَهَذَا التَّحَوُّلُ مِنَ المألُوفِ إلى غَيْرِ المألُوفِ قَصْدٌ مِنْهُ الشَّاعِرُ جَذْبَ الانْتِبَاهِ لِمَا آلَ إِلَيْهِ جَمْعُ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ - عَبْرَ مَدِّ الصَّوْتِ بِالضَّمَّةِ - إِذْ بَاتِ الدَّلَّةُ وَالْمُسْكَنَةُ وَصَمًّا لَهُمْ بَعْدَ الْعِزَّةِ وَالرُّفْعَةِ، وَالْاِخْتِلَافُ بَعْدَ الْاِئْتِلَافِ، وَالبُكَاءُ بَعْدَ السُّرُورِ وَالْمَكَاءِ، وَالتَّرْحُ بَعْدَ الْفَرَحِ.

فَكَانَ الشَّاعِرُ يُنَادِي جَمْعَ المُسْلِمِينَ كَافَّةً - بِوَسَاطَةِ ضَمِيرِ الجَمْعِ المُتَحَرِّكِ بِالضَّمِّ - وَيَحْضُهُمْ عَلَى التَّحَرُّكِ (إِطَالَةِ الصَّوْتِ بِالضَّمَّةِ) وَلَيْسَ الرُّكُونُ (السُّكُون)، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَنَضُّوا السُّيُوفَ فَيَتَقَلَّدُوهَا، وَيَتَكَبَّوْا الأَقْوَاسَ، وَيُجَهِّزُوا فِي أَيْدِيهِمْ

السَّهَامَ؛ اسْتِجَابَةً إِلَى الْمَتَغَيِّرِ الْجَدِيدِ الَّذِي طَرَأَ عَلَى الْأَنْدُلُسِ، بَدَلًا مِنَ الرُّكُونِ إِلَى الطُّمَأْنِينَةِ، كَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَى تَبْذِيقِ التَّفْرِقَةِ وَوَادِعِهَا.

● حَرَكَةُ الضَّمَائِرِ:

اِحْتَوَتْ الْقَصِيدَةُ عَلَى عَدَدٍ غَيْرِ قَلِيلٍ مِنَ الضَّمَائِرِ، إِذْ بَلَغَتْ عِدَّةُ الضَّمَائِرِ فِي الْقَصِيدَةِ تِسْعَةً وَخَمْسِينَ ضَمِيرًا، كَانَ لِضَمِيرِ الْعَيْبَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَمَاطِهِ حُضُورٌ بَارِزٌ، وَمِمَّا يَسْتَرْعِي النَّظَرَ اِزْدِحَامُ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ غَالِبًا بِأَكْثَرِ مِنَ ضَمِيرٍ، وَهَذَا يُعَدُّ أَدَاةً مِنْ أَدَوَاتِ التَّشْكِيلِ الصِّيَاغِيِّ فِي بِنَاءِ الْقَصِيدَةِ، وَرَابِطًا لِتَحْقِيقِ الْاِنْسِجَامِ فِي خِطَابِهَا، وَمُؤَثِّرًا فِي دَلَالَتِهَا الشُّعْرِيَّةِ.

نوع الضمير حاله	المتكلم		الغائب		المخاطب		المجموع
	المفرد	الجمع	المفرد	الجمع	المفرد	الجمع	
متصل	-	١	٢٨	١٧	٤	٢	٥٢
منفصل	-	-	٤	٢	-	١	٧
المجموع	-	١	٣٢	١٩	٤	٣	٥٩

نَلْحَظُ مِنْ مُعْطَيَاتِ الْجَدُولِ الْحَقَائِقَ التَّالِيَةَ:

١- اقْتَصَرَتِ الضَّمَائِرُ عَلَى صُورَتَيْنِ: الْعَيْبَةِ وَالْمَخَاطَبِ سِوَى فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَرَدَ فِيهَا اسْتِعْمَالُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ (نَا) الدَّالُّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ، وَرُبَّمَا يَفِيءُ غِيَابُ الضَّمَائِرِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ (أَنَا، نَحْنُ، نَا، ي) إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْأَنْدُلُسِيِّينَ لَا يَقُودُونَ عَلَى الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُمْ مَكْلُومُونَ، وَيَعِيشُونَ تَحْتَ نِيرِ الْقَتْلِ وَالْاِحْتِلَالِ، وَمُنْشَغِلُونَ بِالِدَّفَاعِ عَنْ أَرْضِهِمْ.

٢- اسْتِعْمَالُ الضَّمِيرِ الدَّالِّ عَلَى الْعَيْبَةِ وَاحِدًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً إِلَى جَانِبِ الضَّمِيرِ الدَّالِّ عَلَى الْمَخَاطَبِ الَّذِي وَرَدَ سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ دَعْوَةً إِلَى الْاِلْتِحَامِ وَالْاِتِّحَادِ بِحَمْلِ

الهمَّ الجماعي، وتَصَوِّيراً لِحَجْمِ المعاناة التي اعتورت الأندلس.

٣- استعمل الضمير الدال على الغيبة بكثرة، ودلالة ذلك تغييب أهل الأندلس جميعهم، وعدم إبراز وجودهم بعد الاحتلال، إذ صارت أرض الأندلس كفاتاً لهم، فهم إما قتلوا أو أسرى أو جرحى، ومن تبقى منهم على قيد الحياة فيعيش مسلوب الحرية.

٤- كثرة استعمال الضمائر الدالة على المفرد حيناً (٣٢ مرة)، والجمع حيناً آخر (١٩ مرة)، والتناوب في استعمال هذين الضميرين يشي بحالتين؛ الأولى: الفردية والأناية، وهي صفة طارئة تدل على التحول في سلوك أهل المغرب، الثانية: الجماعة (صفة ثابتة) التي كان يتمتع بها أهل الأندلس.

٤. الظواهر العروضية:

أ. الحذف في الضرب:

أراد الشاعر أن تكون ثوبته - بما تحويه من حكم وتصوير لحقائق الاحتلال - أشوذة واعظة يرددها الناس في كل زمان ومكان، وهذا ما حصل؛ لأن الشاعر يصف معاناة وجميعه المتأثر به، فتفاعل مع الحدث، وتعمق مع موضوعه الأساس، فانعكست مشاعره وأحاسيسه على قصيدته.

من الظواهر اللافتة للنظر في القصيدة ظاهرة (علة الحذف) التي توسمت بها جميع أضرب القصيدة، فارتأى الشاعر أن يلتزم - كما هو معروف في علم العروض - بتفعيل واحد للضرب في صورة (- -)، وهي الصورة الفرعية "فاعل" للصورة الرئيسية "فاعلن"، وتسمى هذه العلة في عرف العروضيين علة القطع.

هذا الحذف في الجانب العروضي جاء في آخر عجز البيت (الضرب)، ولم يأت البتة في صدر البيت (العروض)، إلا في أول بيت الذي لغاية التصريح، وقد يكون

لهذا الأمر دلالة مرتبطة بالحادثة التي يتناولها الشاعر، ويكون ذلك بالتفسير التالي: أن الشاعر حوّل تفعيلة (فاعِلُنْ) - وهي الصورة الرئيسية - إلى الصورة الفرعية (فاعل)؛ ليربطه مع التحول في الأندلس التي تغيّر عيشها وازدهارها وسكونها - الحالة الطبيعية لها - إلى نهبٍ وسلبٍ - الصورة الثانوية - وهي نهاية آل إليها بلده.

والتفسير الآخر أن الشاعر أبقى على الصورة الرئيسية لتلك التفعيلة في صدور الأبيات وغيرها في أعجازها؛ لأنّ ثبات الحالة الأندلسية كان الأساس في جزئها الأول، ثمّ تغيّرت تلك الحالة في القسم الآخر من حياتها إلى الاحتلال والتبدّل، وهذا يناسبه التغيّر في التفعيلة الرئيسية (الأول) في صدور الأبيات إلى التفعيلة الفرعية في (الآخر) في أعجازها.

ب. جمال القافية:

إنّ القصيدة على الرغم من غرضها (الرثاء)، وما رافقها من نفسية متحسرة متفجعة إلا أنّ الشاعر أضفى عليها ضروباً من جماليات القصيدة، ويتمثل ذلك بـ:

- القافية المطلقة المردفة: وهي القافية المنتهية بمتحرك يسبقها حرف لين (الألف)، وهذا النوع من القوافي يعدّه العروضيون من أعلى القوافي موسيقيةً وجمالاً، فجميع ضروب القصيدة تنتهي بـ (انْ)، وهذا لم يأت اعتباطاً عند الشاعر، بل يظهر مدى قدرته الفنية، وتمكّنه من ناصية اللغة، فأسبغ بذلك على قوافيه دقةً موسيقيةً. ومجيء القافية على هذا النحو أتاح للشاعر أن يمدّ صوته، وفي هذا الأمر تظهر قيمتان صوتيتان مضافتان؛ الأولى: أن الشاعر أراد أن يرتدّ صدى صوته في أرجاء المعمورة للدلالة على تفجّعه وألمه، الثانية: الدلالة على أنين الشاعر وتأوّهه ممّا اعتراه من حسرة وحزن.

- أن حرف الثون (الروي) حرف صامت مخرجه أسنانيٌّ لثويٌّ أنفيٌّ، وصفته أنّه

مَائِع (مُتَوَسِّط: صَوْت دُونَ انْفِجَارٍ أَوْ احْتِكَالٍ عِنْدَ الْمَخْرَجِ)، مَجْهُورٌ، شَدِيدُ الْحَسَاسِيَّةِ، وَصِفَتَا الْجَهْرِ وَالْحَسَاسِيَّةِ تُنَاسِبَانِ الْحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ لِلشَّاعِرِ، فَالْجَهْرُ يَتِمَثَّلُ بِمُجَاهَرَةِ الشَّاعِرِ لِمُصِيبَتِهِ، وَالْحَسَاسِيَّةُ تَتَنَاسَبُ وَرِقَّةَ حَالِ الشَّاعِرِ.

- تَتَكَوَّنُ الْقَافِيَةُ فِي أَغْلِبِهَا مِنْ أَسْمَاءٍ، وَالْأَسْمَاءُ بِدَلَالَتِهَا عَلَى الثَّبَاتِ تُشِيرُ إِلَى الْهَاجِسِ الَّذِي يُوَرِّقُ الشَّاعِرَ، وَالصِّفَةُ الَّتِي يَبْحَثُ عَنْهَا، فَمَا لَمْ يَسْتَطِعْ تَحْقِيقَهُ لِبَلَدِهِ - أَثْنَاءَ الْحَرْبِ - بَثُّهُ فِي شِعْرِهِ، فَخَرَجَتْ تَعْيِيرًا لِمَا فِي دَاخِلِهِ، لَذَا فَلَا سِتْقَرَارَ الَّذِي لَمْ يَعُدْ مُتَاحًا وَلَا مُتَمَتِّعًا بِصُحْبَتِهِ جَسَدُهُ فِي قَافِيَةِ أَيْيَاتِهِ.

ج. التَّدْرِجُ الْإِيقَاعِيُّ:

بَدَأَ الشَّاعِرُ أَيْيَاتَهُ السَّتَّةَ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ بِإِيقَاعٍ مُرْتَفِعٍ مُتَصَاعِدٍ، وَمَرَجِعُ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَيْيَاتَ تَضَمَّنَتْ حِكْمًا بَلِيعَةً جَاءَتْ نَتَاجَ تَجَرِبَةٍ عَمِيقَةٍ وَاقِعِيَّةٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحِكْمُ مَمْشُوجَةً بِفَيْضٍ مِنَ الْمَشَاعِرِ؛ لِأَنَّهَا جَسَدَتْ مَرَحَلَةً دَامِيَةً مِنْ مَرَاحِلِ عُمُرِ الشَّاعِرِ، وَهِيَ مَرَحَلَةُ الْاِحْتِلَالِ وَالْاضْطِهَادِ.

أَمَّا الْأَيْيَاتُ (٧ - ١٣) فَفِيهَا تَقْهَقُرُ لِانْفِعَالَاتِ الشَّاعِرِ؛ لِأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنْ أَقْوَامٍ بَائِدَةٍ لَمْ تُعَدِّ لَهَا بَاقِيَةً، وَمَضَوْا فَكَأَنَّهُمْ مَا كَانُوا. فَالشَّاعِرُ يُفَضِّي بِوَسَاطَةِ هَذِهِ الْأَيْيَاتِ إِلَى حَقِيقَةِ الْمَوْتِ الَّذِي مَهَمَّا فَرَّ الْإِنْسَانُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مُلَاقِيهِ، وَمَصِيرُ الْإِنْسَانِ أَنْ يُجَدِّدَ عَهْدًا بِأَصْلِهِ الْمَجْبُولِ مِنْهُ^(٣٥). يَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ شَاءَ أَنْ يَرْتَبِطَ فِي هَذِهِ الْأَيْيَاتِ بَيْنَ مَوْتِ الْأَقْوَامِ وَانْفِعَالَاتِهِ الْعَاطِفِيَّةِ، فَهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِي صِفَةِ الْانْحِنَاءِ وَالتَّكْوُصِ، فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعُودُ إِلَى سِيرَتِهِ الْأُولَى (الْتَرَابِ)، كَذَلِكَ خَبَتْ مَشَاعِرُ الشَّاعِرِ، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ بِوَسَاطَةِ تَكْوُصِ إِيقَاعِهِ الْمَوْسِيقِيِّ مِنْ حَيْثُ بَدَأَ.

وَلَمَّا بَدَأَ الشَّاعِرُ مُوْطَأًا الْحَدِيثَ عَنِ الْأَنْدُلُسِ وَمَا حَلَّ بِهَا - وَهُوَ مَا يَشْعَلُ بِأَلْهِ - عَادَتْ عَاطِفَةُ الْحُزَنِ تَتَصَاعَدُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَبَدَأَتْ الْمَشَاعِرُ تَتَفَجَّرُ مِنْهَا الْأَسَى وَالْأَلَمُ، وَهَذَا مَا يُوضِّحُهُ بِجَلَاءِ الْأَيْيَاتِ (١٤ - ١٨).

وَبَعْدَ أَنْ جَاشَتْ عَوَاطِفُ الشَّاعِرِ وَخَرَجَتْ عَنْ أَطْوَارِهَا وَاسْتَبَدَّتْ بِهِ تَمَالِكُهَا، عَادَتْ مِنْ جَدِيدٍ أَنْفِعَالًا لَهُ إِلَى الْخُبُوتِ وَالْانْخِفَاضِ تَذْرِيجِيًّا، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ مُدْرِكٌ مَعْنَى الصَّبْرِ فِي الْمُصِيبَاتِ كَمَا يَقُولُ أَبُو دَهْبِلٍ الْجُمَحِيُّ:

قُلْ لَابْنِ قَيْسٍ أَخِي الرُّقَيَّاتِ مَا أَحْسَنَ الْعَرْفَ فِي الْمُصِيبَاتِ ^(٣٦) (المُشْرَح)

وَقَدْ مَثَلَتِ الْأَبْيَاتُ (١٩- ٢٢) الانْخِفَاضَ فِي وَثِيرَةِ أَنْفِعَالِ الشَّاعِرِ، وَهَذَا الانْخِفَاضُ الْإِيْقَاعِيُّ لَرُبَّمَا يَفِيءُ إِلَى أَنَّ الشَّاعِرَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يَبْكِي عَلَى الْمَدُنِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَالْبُكَاءُ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - مُتَنَفِّسٌ لِلْإِنْسَانِ يُخَفِّفُ مِنْ وَطْأَةِ الْمُصِيبَةِ، لِذَلِكَ نَجِدُ ابْنَ الرُّومِيِّ - بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهِ - لَمْ يَرِدْ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنِ الْحُزَنِ، بَلْ يَدْعُو عَيْنِيهِ أَنْ تَبْخَلَا بِالْدَّمْعِ حَتَّى يَعِيشَ حُزْنُهُ الْعَمِيقَ الدَّائِمَ بِسَبَبِ وَفَاةِ زَوْجَتِهِ؛ فَقَالَ: ^(٣٧)

عَيْنِي شُحًّا وَلَا تَسُحًّا جَلَّ مُصَابِي عَنِ الْبُكَاءِ
تَرْكُكُمْ الْدَّاءَ مُسْتَكِنًّا أَصْدَقُ عَنْ صِرْحَةِ الْوَفَاءِ
إِنَّ الْأَسَى وَالْبُكَاءَ قَدَمَا أَمْرَانِ كَالدَّاءِ وَالِدَوَاءِ
وَمَا ابْتِغَاءُ الدَّوَاءِ إِلَّا بُغْيَا سَبِيلٍ إِلَى الْبَقَاءِ (مُخْلَعُ الْبَسِيطِ)

لَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْلِمَ حِينَ يَتَعَرَّضُ دِينُهُ إِلَى تَشْوِيهِ وَتَحْوِيرٍ، أَوْ تُمَسُّ مَعَالِمُهُ الْمُقَدَّسَةُ بِمَكْرُوهِ، فَإِنَّ هَذَا الْخُطْبَ يَثِيرُ حَفِيزَتَهُ وَاسْتِهْجَانَهُ، وَهَذَا مَا عَاشَهُ الشَّاعِرُ وَاقِعًا، إِذْ تَحَوَّلَتِ الْمَسَاجِدُ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى كَنَائِسَ تُدَقُّ فِيهَا التَّوَاقِيسُ، وَتُرْفَعُ فِيهَا الصُّلْبَانُ، فَذَابَتْ مُهْجَةُ قَلْبِهِ حُزْنًا وَكَمَدًا، وَتَبَلَّلَتْ جُفُونُهُ مِنْ الْاسْتِعْبَارِ، وَتَحَفَّزَتْ مَشَاعِرُهُ الْمَكْلُومَةُ، وَزَادَتْ أَنْفَاسُهُ شَهيقًا وَزَفِيرًا، وَهَذَا نَجْدُهُ فِي الْأَبْيَاتِ (٢٣ - ٢٦).

أَمَّا الْبَيْتُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ، فَفِيهِ تَصْوِيرٌ لِحَجْمِ الْمُصَابِ الْجَلَلِ الَّذِي عَرَكَ الْأَنْدَلُسَ عَرَكَ الرِّحَى بِثِفَالِهَا، فَانْسَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَتَصَدَّرَ قَائِمَةُ الْكَوَارِثِ

الإنسانية التي لا نسيان لها حتى مع طول الأزمان، وهذا ما صورته ارتفع انفعاله العاطفي في البيت.

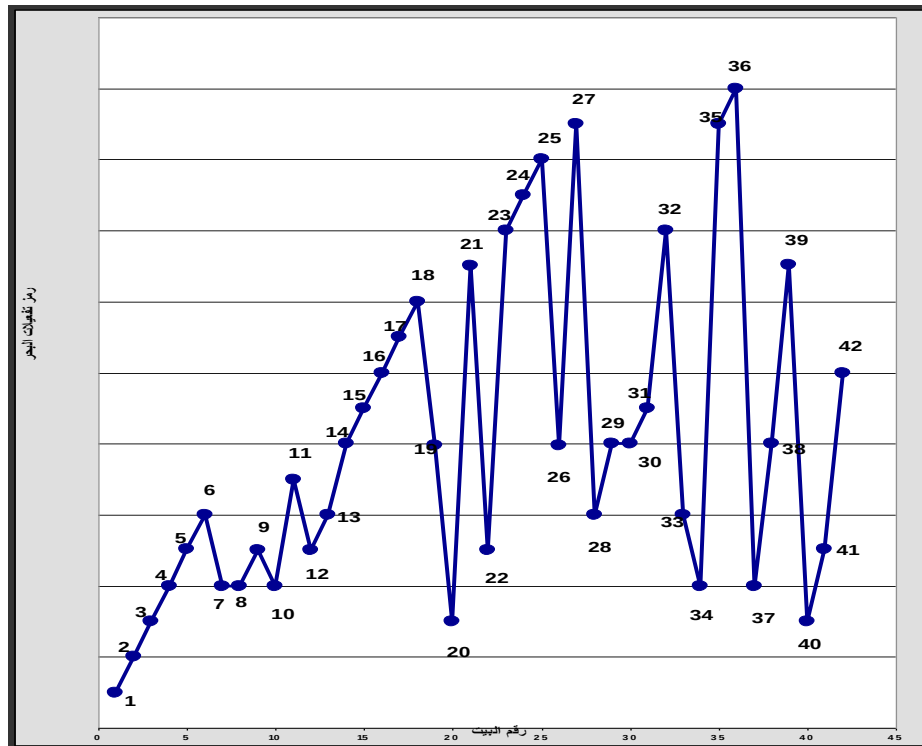
وفي الأبيات (٢٨ - آخر القصيدة) باستثناء البيت السادس والثلاثين، ففيها انخفاض في الإيقاع من الأعلى إلى الأسفل.

وكأن الشاعر رسم لنا صورة التحول في الأندلس بين الماضي والحاضر عبر التدرج الإيقاعي للقصيدة، بدأت القصيدة بنفس عالٍ، وتيرة مرتفعة (يمثل ماضي الأندلس)، ثم انتهت بانخفاض (حاضرها).

أما البيت السادس والثلاثون فهو (بيت القصيد)؛ لأنه أشعل زناد القصيدة، ووصل بالإيقاع إلى ذروة هرمه؛ لأن الشاعر ربط فيه بين الماضي (المحبب إليه) والحاضر (المكروه)، فيصف أهل الأندلس بأنهم غريبون وافدون حتى وهم في ديارهم، فبعد أن كانوا ملوكاً صاروا عبيداً لدى المحتل، وفي هذه المقابلة التصويرية دور مؤثر في حركة المعنى، إذ ينتقل القارئ على نحو سريع إلى صورة مختصرة توضح حال الأندلس بين متناقضين، وهذا ما حدا بالشاعر أن يحشد المتضادات للدلالة على اضطراب نفسيته، وتوهج عاطفته.

والرسم البياني المدرج أدناه استجلاء للتدرج الإيقاعي لأبيات القصيدة، الذي يظهر الصعود والهبوط في سلم إيقاع انفعالات الشاعر مع الحدث، بوساطة تفعيلات بحر البسيط الرئيسة والفرعية:

انعكاسُ المعنى على المبنى في نونية الرندي



الخاتمة

لَقَدْ دَرَعَ الْبَاحِثُ الْقَصِيدَةَ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَتَرَسَّمَهَا؛ لِتَلْمُسِ الْعَلَاقَةِ الْحَمِيمَةِ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى، فَاَلْمَعْنَى رُوحُ الشُّعْرِ، وَاللُّغَةُ مِرْآةُ الشَّاعِرِ، وَهَمْزَةُ الْوَصْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُتَلَقِّي، وَقَدْ تَبَدَّى لَنَا مِنْ شَكْلِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا فِي الْقَصِيدَةِ أَنَّ الْمَعْنَى (انْقِلَابَ حَالِ الْأَنْدُلُسِ) كَانَ لَهُ إِسْقَاطَاتٌ عَلَى لُغَةِ الْقَصِيدَةِ وَبِنَائِهَا، ذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ عَبَّرَ عَنِ الْمَعْنَى لُغَةً وَبِنَاءً بِكُلِّ مَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى التَّحَوُّلِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

١ - الْأَلْفَاظُ الدَّالَّةُ عَلَى التَّحَوُّلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، سَوَاءً أَكَانَ اسْتِعْمَالُ لَفْظًا وَاحِدًا أَوْ لَفْظَتَيْنِ (الطَّبَاقِ)، فَعَلَى صَعِيدِ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ، اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرُ - فِي الْغَالِبِ - أَفْعَالًا، نَحْو: انْهَدَّ، يَذُوبُ، صَارَ، هَوَى...، أَمَّا عَلَى صَعِيدِ (الطَّبَاقِ) فَكَانَتْ الْعَلَبَةُ لِلْأَسْمَاءِ، الَّتِي تُوحِي بِاجْتِمَاعِهَا إِلَى إِقَامَةِ الضَّدِّيَّةِ.

٢ - الْجُمْلَةُ الْإِنْشَائِيَّةُ الطَّلَبِيَّةُ: لِأَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ اسْتِعْمَالَ تَعْيِيرَاتٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ لِتَنْسَجِمَ مَعَ الْحَدَثِ الْجَلَلِ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ؛ فَقَدْ زَاغَ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْجُمْلَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ الطَّلَبِيَّةِ، الَّتِي أَتَاكَتْ لَهُ تَدْخُلُ نَفْسِيَّتِهِ فِي لُغَتِهِ الشُّعْرِيَّةِ عِنْدَ التَّعْيِيرِ عَنِ انْفِعَالَاتِهِ الطَّافِحَةِ بِالْأَسَى حَسَبَ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي اعْتَوَرَتْ الْأَنْدُلُسَ.

٣ - الْمَجَازُ الْعَقْلِيُّ الَّذِي تَبَحُّجُ لِلْمُتَلَقِّي تَحْيِيلَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، وَالْبَحْثُ عَنْ لَطَائِفِ الْأَفْكَارِ وَدَقَائِقِ الْمَعَانِي، فَالتَّحَوُّلُ الَّذِي ضَرَبَ أَكْنَافَ الْأَنْدُلُسِ لَهُ مَسِيسُ حَاجَةٍ إِلَى شَكْلِ آخَرَ مِنْ أَشْكَالِ التَّحَوُّلِ فِي نَمَطِيَّةِ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ مَعَ فَاعِلِهِ.

٤ - إِيجَازُ الْحَدَفِ الَّذِي تَطَلَّبَتْهُ رِسَالَةُ الشَّاعِرِ، ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ السَّرْعَةَ فِي إِصَالِهَا بِوَقْتٍ أَقْصَرَ، لِیُومِئَ إِلَيْنَا أَنَّ التَّحَوُّلَ فِي الْأَنْدُلُسِ، تَطَلَّبَ أَيْضًا التَّحَوُّلَ فِي تَرْكِيبِ الْجُمْلِ فِي اللَّغَةِ، مَعَ مُرَاعَاةِ الْفَارِقِ بَيْنَهُمَا، ذَلِكَ أَنَّ التَّحَوُّلَ فِي الْأَنْدُلُسِ - فِي

نَظَرَ الشَّاعِرَ - غَيْرُ مَأْلُوفٍ أَوْ مُبَاحٍ، لَكِنَّ التَّحَوُّلَ فِي اللُّغَةِ - فِي نَظَرِ النُّحَوِيِّينَ وَالبَلَاغِيِّينَ - مَأْلُوفٌ وَمُبَاحٌ، وَلَكِنْ يَجْمَعُهُمَا قَاسِمٌ مُشْتَرَكٌ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ حَالُهُ (التَّحَوُّلُ).

٥- التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ الَّذِي يَقُومُ عَلَى كَسْرِ الْعَلَاقَةِ الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ الْمُسْتَنَدِ وَالْمُسْتَنَدِ إِلَيْهِ (الْعُدُولُ فِي التَّرْكِيبِ)، فَيَتِيحُ لِلشَّاعِرِ التَّعْيِيرَ عَنْ مَقْصُودِهِ الْمَعْنَوِيِّ بِمَنْطُوقِهِ اللَّفْظِيِّ (التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ)، فَالْحَالَةُ الطَّبِيعِيَّةُ الْأُولَى لِلْأَنْدَلُسِ (الْمَعْنَى) وَيُقَابِلُهُ الْأَصْلُ فِي تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ (الْمَبْنَى)، تَعْيِيرٌ وَصَارَ مَعْكُوسًا، فَمَا كَانَ أَصْلًا (اسْتِقْرَارُ الْأَنْدَلُسِ) صَارَ فَرْعًا (احْتِلَالَهَا)، وَهَكَذَا فِي تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ، فَمَا كَانَ حَقُّهُ الصَّدَارَةُ بَاتَ آخِرًا.

٦- الْخُرُوجُ عَنِ الْقَوَاعِدِ النُّحَوِيَّةِ، فَيَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ التَّحَرُّرَ مِنْ إِحْرَامِ الْقِيُودِ الْمَعْيَارِيَّةِ، وَالتَّمَتُّعَ بِالْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيِبِ وَالْأَسَالِيبِ الَّتِي يَرَاهَا مُعْبَّرَةً عَنْ نَفْسِهِ، فَالْحَالُ الَّذِي تَعِيشُهُ الْأَنْدَلُسُ لَا يَنْتَظِرُ الْمَعْيَارِيَّةَ وَالْمَثَالِيَّةَ اللَّغَوِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْحَالَ الْآنَ اسْتِثْنَائِيٌّ، وَيَتَّبِعِي التَّعْيِيرُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ اللُّغَةُ، وَبِمَا يَرِغِبُ الشَّاعِرُ قَوْلُهُ عَنْهُ.

وَلِأَنَّ الْمَعْنَى فِي بَطْنِ الشَّاعِرِ، فَإِنَّ هَذَا الْبَحْثَ يَبْقَى دِرَاسَةً اجْتِهَادِيَّةً ظَنِّيَّةً التَّأْوِيلَ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ الشَّعْرِيَّ لَهُ وَجْهَانِ: فَنِّيٌّ وَجَمَالِيٌّ، فَالْجُزْءُ الْفَنِّيُّ يَتِمَّتْهُ بِالنَّصِّ الشَّعْرِيِّ، أَمَّا الْجَمَالِيُّ فَمُتَعَلِّقٌ بِالْقِرَاءَاتِ الْمَثَالِيَّةِ، وَاسْتِنَاطِقِ الْغِيَابِ، وَمُحَاوَرَةِ الْمَسْكُوتِ، وَمَلَأَ الْفَرَاغَ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِـ (النَّصِّ الْمُطْلَقِ)؛ أَيِ النَّصِّ الَّذِي تَتَعَدَّدُ فِيهِ الْقِرَاءَاتُ، فَيَتَعَامَلُ كُلُّ قَارِئٍ مَعَهُ بِقَدْرِ الْفَهْمِ وَالثَّقَافَةِ، مُسْتَعِينًا بِتَجَارِبِهِ الْخَاصَّةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مِسَاحَةٍ لِلْاجْتِهَادِ فِي قِرَاءَةِ الشَّعْرِ، لَمَا وَجَدْنَا كُتُبَ الثَّرَاثِ تَزْخُرُ بِأَمْثَلَةٍ عَلَى التَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ لِمَفْهُومِ (التَّأْوِيلِ)، وَتُسْتَوْفَفُنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ قَوْلُهُ الْفَرَزْدَقُ: "عَلَى مَا يَسُوؤُكَ وَيُؤْوُوكَ، عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَحْتَجُّوا"^(٣٨) حِينَمَا سُئِلَ يَوْمًا عَنْ سَبَبِ رَفْعِهِ لَفْظَةَ (مُجَلَّفٍ) فِي بَيْتِهِ الشَّعْرِيِّ الْمَشْهُورِ.

الهوامش والتعليقات:

- نَفَحَ الطَّيْبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، الْمَقْرِي، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ التِّلْمَسَانِي، ج ٤ / ٤٨٧ - ٤٨٨ الديوان في أعماله الأدبية الشعر والنثر، الرندي، أبو الطيب، صالح بن شريف، ص ٢٣٢-٢٣٥.
- حِينَ يَتَحَدَّثُ أَيُّ شَاعِرٍ عَنْ نَائِبَةٍ أَوْ يَرْتِي شَيْئًا غَالِيًا أَوْ مُحِبًّا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَبِّرُ تَعْبِيرًا صَادِقًا حَقِيقِيًّا عَنْ مَكُونِهِ، لِذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ الشَّيْبَكِيُّ (مَا شَأْنُ): "الْأَلَمُ هُوَ أُمُّ الشَّعْرِ"، وَقَدِيمًا قِيلَ لِإِعْرَابِيٍّ: مَا بَالُ الْمَرَاتِي أَجُودَ أَشْعَارَكُمْ؟ فَرَدَّ: لَأَنَّا نَقُولُهَا وَأَكْبَادُنَا تَحْتَرِقُ، وَقَالَ أَرُسْطُو طَالِيَس: "وَالْحَقُّ أَنَّ أَقْدَرَ النَّاسِ تَعْبِيرًا عَنِ الشَّقَاءِ مَنْ كَانَ الشَّقَاءُ فِي نَفْسِهِ". انظر الاقتباسات في الكتب التالية على التوالي: قُضَايَا الشَّعْرِيَّة، رومان ياكسون، ص ١٥. البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، ٢ / ٣٢٠. فن الشعر، أرسطو طاليس، ص ٤٨.
- آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ياسين الأيوبي ص ١٧٦.
- انظر: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، الطاهر أحمد مكي، ص ٣٢١.
- مرجع سابق، نَفَحَ الطَّيْبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ، ج ٤ / ٤٨٨.
- سَقَطَ الزُّنْدُ، أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي، ص ١٩٦.
- لَا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ - اخْتِزَازًا - إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وَكَلِ الْبَحْثِ الْعَوَصُ فِي الْعَلَاqَةِ الْجَدَلِيَّةِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالتَّفْصِيلُ فِيهَا: حَتَّى لَا يَسْلُكَ طَرِيقًا مُفْضِيًا إِلَى الْوُلُوجِ فِي تَفْصِيلَاتٍ تُخْرِجُهُ عَنْ جَادَةِ الطَّرِيقِ، إِنَّمَا غَايَةُ الْبَحْثِ - بَاخْتِصَارٍ - الرِّبْطَ بَيْنَ الْمَعْنَى الشَّعْرِي (المقام) وَاللُّغَةِ (المقال) فِي قَصِيدَةِ رِثَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَاسْتِكْشَافُ التَّأَثُّرِ وَالتَّأْثِيرِ بَيْنَهُمَا مِنْ مُنْطَلَقِ أُسْلُوبِيٍّ. فالمعنى الذي يرومه البحث هو التحوّل الذي انتاب الأندلس (التثنائية الضدية)، أمّا المبنى، فالمقصود به اللجوء إلى استعمال أُسْلُوب (كسر المتوقع / التحوّل) في لغة القصيدة، وللتوضيح أكثر، انظر الحاشية ذات الرقم (٢٢).
- سُورَةُ الْكَهْفِ، آيَةُ (١٨).
- انظر: صَفْوَةُ التَّفَاسِيرِ، مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ الصَّابُونِي، ٢ / ١٨٥.
- انظر: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، يَاقُوتُ الْحَمَوِي، ٢ / ٣٥٩.

- عَبْدُ اللَّهِ الْغَدَّامِي، الْخَطِيئَةُ وَالتَّكْفِيرُ، ص.
- الْمَبْسُوط، السَّرْحِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ (ت ٤٨٣هـ)، ١٢ / ٧٩.
- الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ، بَابُ الدَّالِ مَادَّةُ (دَوَل) ١ / ٣٠٤.
- لِسَانُ الْعَرَبِ، الْمُصَرِّي، ابْنُ مَنْظُورٍ، مَادَّةُ (دَوَر) ٤ / ٢٩٥ - ٢٩٧.
- الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، بَابُ الْهَاءِ، مَادَّةُ (هَوَى) ٢ / ١٠٠١.
- السَّابِقُ نَفْسُهُ، بَابُ الْهَاءِ، مَادَّةُ (هَدَى) ٢ / ٩٧٦.
- السَّابِقُ نَفْسُهُ، بَابُ الْخَاءِ، مَادَّةُ (خَلَا) ١ / ٢٥٤.
- السَّابِقُ نَفْسُهُ، بَابُ الْخَاءِ، مَادَّةُ (حَالَ) ١ / ٢٠٨.
- سُورَةُ الْحَاقَّةِ، الْآيَةُ (٢٧).
- الْإِيضَاحُ فِي غُلُومِ الْبَلَاغَةِ، الْخَطِيبُ الْقَزْوِينِي، ص ١٦.
- ظَاهِرَةُ الْحَذْفِ فِي الدَّرْسِ اللَّغَوِيِّ، طَاهِرُ سُلَيْمَانَ حَمُودَةَ، ص ٤.
- دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ، عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ، ص ١١٢.
- مِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى الرِّبْطِ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَبْنَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَعَاقُبُ الْفِعْلَيْنِ (اسْطَاعَ، اسْتَطَاعَ) مَرَّتَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾، يَحْذِفُ حَرْفَ التَّاءِ مِنَ اللَّاصِقَةِ السَّابِقَةِ (اسْتَ) فِي الْفِعْلِ الْأَوَّلِ، وَإِثْبَاتِهَا فِي الْفِعْلِ الثَّانِي، وَحِينَ بَادَهَتْ الْعُلَمَاءُ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ، لَمْ يَزِدْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ - فِي تَعْلِيلِهِ - عَلَى قَوْلِهِمْ: إِنَّهَا لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ لِلتَّخْفِيفِ فِي الْاسْتِعْمَالِ، وَهِيَ عَلَّةٌ يَكْثُرُ الْجُنُوحُ إِلَيْهَا كُلَّمَا تَوَافَرَ شَاهِدٌ عَلَى مِثْلِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْحَذْفِ، لَكِنَّ بَعْضَهُمْ حَاوَلَ تَأْمُلَ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ، وَرَبَطَهَا بِالسِّيَاقِ الْوَارِدَةِ فِيهِ وَغَرَضِهِ، إِذْ رَأَوْا أَنَّ الْاسْتِعْمَالَ الْقُرْآنِيَّ يَقْتَضِي مِنَ مَبْنَى الْفِعْلِ حِينَ يَرْغَبُ فِي التَّذْلِيلِ عَلَى الْإِقْطَاعِ مِنَ الْحَدَثِ، أَوْ يَحْذِفُ مِنْهُ فِي مَقَامِ الْإِيْجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ بِخِلَافِ مَقَامِ الْإِطَالَةِ وَالتَّفْصِيلِ، بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يَظْهَرُ تَعْلِيلُ سَبَبِ الْحَذْفِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الصُّعُودُ إِلَى السَّدِّ - الَّذِي صَنَعَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ زُبُرِ الْحَدِيدِ وَالتُّحَاسِ الْمَدَابِ - أَيْسَرَ مِنْ إِحْدَاثِ ثُقُبٍ فِيهِ، اسْتَعْمَلَ الْفِعْلُ الْأَخْفُ بَنِيَّةً - أَيِ

بَحْدَفِ النَّاءِ - وَلَمَّا كَانَ الْحَدِيثُ عَنِ الْأَمْرِ الشَّاقِّ، اسْتُعْمِلَ الْفِعْلُ دُو الْبِنَاءِ الْأَطْوَلِ. انْظُرْ:
الْبُرْهَانُ فِي تَوْجِيهِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ الْكَرْمَانِي، ص ١٧١. بَلَاغَةُ الْكَلِمَةِ فِي التَّعْبِيرِ
الْقُرْآنِيِّ السَّامِرَائِيِّ، فَاضِلُ السَّامِرَائِيِّ، ص ٩-١٠.

- سُورَةُ سَبَأٍ، آيَةُ (١١).

- سُورَةُ يُوسُفَ، الْآيَةُ (١٢).

- الْبَنَى الْأَسْلُوبِيَّةُ فِي النَّصِّ الشُّعْرِيِّ دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ، رَاشِدُ بْنُ هَاشِلِ الْحُسَيْنِيِّ، ص ٢٣٣.

- عَدُّ ابْنِ جِنِّي التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِيرِ شَجَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ عَقَدَ لَهُ بَابًا خَاصًّا فِي كِتَابِهِ
"الْخَصَائِصِ". انْظُرْ: الْخَصَائِصُ، ابْنُ جِنِّي، أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانُ، ج ٢ / ٣٦٠-٤٤١.

- أُصُولُ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ فِي النَّظَرِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، مُحَمَّدُ الشَّائِشُ، ١ / ٥٢٦.

- دَلَالَةُ الْإِعْجَازِ ص ١٠٦ (مَرْجِعُ سَابِقٍ).

- وَمِنْ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى:

• الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: "كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعُضْبَاءَ لَا
تُسَبِّقُ، قَالَ حُمَيْدٌ: أَوْ لَا تَكَاذُ تُسَبِّقُ، فَجَاءَ أَغْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَقَهَا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ". انْظُرْ:
الْبُخَارِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ص ٧٠٩، كِتَابُ الْجِهَادِ
وَالسَّيْرِ، بَابُ نَاقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَقَمَ الْحَدِيثَ (٢٨٧٢).

• قَوْلُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ (الْمُقَابَر)

انظر: دِيَوَانُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ص ١٣٨.

- دِيَوَانُ الْعِمَادِ الْأَصْفَهَانِيِّ، الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ص ٢٣٠.

- الْكِتَابُ، سَيَبَوِيهِ، عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، ١ / ٣٤.

- انْظُرْ: الْحَذَفُ وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ فِي دِيَوَانِ التَّابِعَةِ الدُّبْيَانِيِّ دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، ابْتِسَامُ
حَمْدَانٍ، ص ٥٢.

- ظَاهِرَةُ الْعُدُولِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ، مُصْطَفَى عَبْدِ الْهَادِي عَبْدِ اللَّهِ، ص ٩-١٠.

- هَذَا الْمَعْنَى يُذَكِّرُنَا بِقَوْلِ إِيْلِيَا أَبُو مَاضِي:
أَنْتَ لِلْأَرْضِ أَوْلَا وَأَخِيرًا كُنْتَ مَلَكًا أَوْ كُنْتَ عَبْدًا ذَلِيلًا (الْخَفِيف)
- انظر: إِيْلِيَا أَبُو مَاضِي: شَاعِرُ الْمَهْجَرِ الْأَكْبَرِ، شِعْرٌ وَدِرَاسَةٌ، أَبُو مَاضِي، إِيْلِيَا، ٦٠٥ / ٣.
- دِيوَانُ أَبِي دَهْبَلِ الْجُمَحِيِّ، الْجُمَحِيِّ، أَبُو دَهْبَلِ، ص ٥٠.
- دِيوَانُ ابْنِ الرُّومِيِّ، ابْنِ الرُّومِيِّ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ جَرِيحٍ، ٧٥ / ١.
- الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ، الدِّينَوَرِيُّ، ابْنُ قُتَيْبَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ، ص ٨٩.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأيوبي، ياسين، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، لبنان، ١٩٩٥.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (٢٨٧٢)، ط ١، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٢.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ / ٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٤، دار الفكر، بيروت.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩.
- الجمحي، أبو دهب، ديوان أبي دهب الجمحي، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، ط ١، مطبعة القضاء، العراق، ١٩٧٢.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية - المكتبة العلمية، القاهرة.
- الحسيني، راشد بن هاشم، البنى الأسلوبية في النص الشعري، دراسة تطبيقية، ط ١، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٤.
- حمدان، إيتسام، الحذف والتقديم والتأخير في ديوان النابغة الذبياني، دراسة دلالية تطبيقية معنوية، ط ١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٢.
- حمودة، طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٨.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.
- الديوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ٣، ١٩٧٧.

- الرُّنْدِيّ، أَبُو الطَّيْبِ، صَالِحُ بْنُ شَرِيفٍ، الدِّيَّانُ فِي أَعْمَالِهِ الْأَدَبِيَّةِ الشُّعْرُ وَالنَّثَرُ، جَمَعَ: حَيَاةَ قَارَةَ، ط ١، دَارُ الْوَفَاءِ، الإسْكَنْدَرِيَّةَ، ٢٠١٠.
- ابْنُ الرُّومِيِّ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ جَرِيحٍ، دِيَّانُ ابْنِ الرُّومِيِّ، شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ: عَبْدُ الْأَمِيرِ عَلِيُّ مَهَنَّا، ط ١، دَارُ مَكْتَبَةِ الْهَيْلَالِ، بَيْرُوتَ، ١٩٩١.
- السَّامِرَائِيُّ، فَاضِلٌ، بَلَاغَةُ الْكَلِمَةِ فِي التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ، ط ١، بَغْدَادَ، ٢٠٠٦.
- السَّرَخْسِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ (ت ٤٨٢هـ)، الْمُبْسُوطُ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، بَيْرُوتَ.
- سَيِّبَوِيهِ، عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، الْكِتَابُ، تَحْقِيقٌ: عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونُ، ط ٣، مَكْتَبَةُ الْخَانِجِيِّ، الْقَاهِرَةَ، ١٩٨٨.
- الشَّائِشُ، مُحَمَّدٌ، أُصُولُ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ فِي النَّظَرِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، ط ١، الْمَوْسَسَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلتَّوْزِيْعِ، ثُوْنُسَ، ٢٠٠١.
- الصَّابُونِيُّ، مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ، صَفْوَةُ التَّفَاسِيرِ، ط ٤، دَارُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بَيْرُوتَ، ١٩٨١.
- ابْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلِيٌّ، دِيَّانُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، جَمَعَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمِصْطَاوِيُّ، ط ٣، دَارُ الْمَعْرِفَةِ، بَيْرُوتَ - لُبْنَانَ، ٢٠٠٥.
- طَالِيسُ، أَرْسَطُو، فَنُّ الشُّعْرِ، تَرْجَمَةٌ وَتَحْقِيقٌ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي، دَارُ الثَّقَافَةِ، بَيْرُوتَ.
- الطَّبْرِيّ، مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ (ت ٣١٠هـ)، جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ، دَارُ الْحَيْلِ، بَيْرُوتَ.
- عَبْدُ اللَّهِ، مُصْطَفَى عَبْدُ الْهَادِي، ظَاهِرَةُ الْعُدُولِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ، الْمَجْمُوعَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلتَّدْرِيبِ وَالنَّثَرِ، ط ١، الْقَاهِرَةُ - مِصْرَ، ٢٠١٠.
- الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، دِيَّانُ الْعِمَادِ الْأَصْفَهَانِيِّ، جَمَعَ وَتَحْقِيقٌ: نَازِمُ رَشِيدٌ، كُلِّيَّةُ الْأَدَابِ - جَامِعَةُ الْمَوْصِلِ، ١٩٨٣.
- الْعَدَّامِيُّ، عَبْدُ اللَّهِ، الْخَطِيبَةُ وَالتَّكْفِيرُ، ط ٦، الْمَرْكَزُ الثَّقَافِيُّ الْعَرَبِيُّ، بَيْرُوتَ، ٢٠٠٦.
- الْقَزْوِينِيُّ، الْخَطِيبُ، الْإِنْضَاحُ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ، الْقَاهِرَةُ، مَكْتَبَةُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ صَبِيحٍ، ١٣٩٠هـ.

- الكرماني، محمود بن حمزة، البرهان في توجيه مُشابه القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٧٧.
- أبو ماضي، إيليا، إيليا أبو ماضي: شاعر المهجر الأكبر، شعر ودراسة، حرره وقدمه: زهير ميرزا، ط ٢، دار اليفطة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٦٣.
- مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، دار الأمواج، لبنان - بيروت، ١٩٩٠.
- المصري، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله التتوخي، سقط الزند، شرحه: أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٠.
- المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- مكّي، الطاهر أحمد، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧.
- ياكسون، رومان، قصايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حوز، دار توبقال للنشر، المغرب، ١٩٨٨.

إشمام الوقف في العربية بين النفي والإثبات

د. ماجد بن عمر القرني

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية اللغة العربية – قسم اللغويات

إشمام الوقف في العربية بين النفي والإثبات د. ماجد بن عمر القرني

ملخص البحث:

من الظواهر الفريدة التي نقلها علماء العربية ظاهرة إشمام الوقف، وهو ضمُّ الشَّتَين بعد الوقف على الحرف المضموم ساكناً دون تصويت، وهدف هذا البحث الإجابة عن السؤال الآتي: هل أخذ هذا النوع من الإشمام عن العرب، أم هو من وضع العلماء بعدهم؟

أبرز البحث موقفين للعلماء تجاه هذه الظاهرة:

أولهما: إثباتها للعرب، وهو موقف جلُّ علماء العربية.

والآخر: نفي أن تكون هذه الظاهرة مأخوذة عن العرب، وإنما هي من وضع النُّحاة أو قراء القرآن، وهو موقف القليل من العلماء، أقدمهم قُطْرُب.

وتوصّل البحث إلى أن هذا النوع من الإشمام مأخوذ عن العرب وليس من وضع العلماء.

Ishmaam alwaqf in Arabic between negating and proofing

A summary of the research.

Ishmaamalwaqfis one of the unique phenomena, which is conveyed by Arab scholars. Which means circling the two lips, without a sound after pronouncing the last letter saakin, indicating a dhamm.

This research aims to answer the following question:

Has this type of al ishmam been taken from Arab or an innovating by Scholars after them?

This research shows two different perspectives in relate to this phenomena.

First of them is to prove this phenomena for the Arab, and this is the perspective of most scholars.

And the other is deny that it has been taken from Arab and indeed it is the creation of Arabic grammarians and reciters of Qur'an. This is the perspective of few scholars, oldest of them Qutrub.

This research concludes that this phenomenon has been taken from Arab, not the creation of scholars.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، من الظواهر الفريدة التي تحدّث عنها علماء العربيّة ظاهرة إشمام الوقف، بمعنى أن يوقف على الحرف المضموم بضمّ الشفّتين دون صوت بعد الإسكان كما سيأتي، وفردة هذه الظاهرة أنت من أنّها ظاهرة لا صوتيّة، ومع ذلك عُني بها علماء اللغة الذين يدرسون اللغة التي هي «أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم»^(١)، ومع أنّها كتّحريك بعض الجسد كما يقول سيبويه^(٢) لا تدخل في حيّز لغة الجسد؛ لأنّ لغة الجسد يُدلّ بحركات الجسد فيها على معان، أمّا هذا التّحريك فيدلّ به على صوت من الأصوات، ومن هنا تأتي فريدة هذه الظاهرة.

- وموضوع الإشمام عموماً كُتب فيه عدد من الأبحاث، وقفت على أربعة منها، وهي:
- الإشمام: الظاهرة ومفهوم المصطلح، للدكتور إبراهيم الشّمسان، منشور في مجلة الدّارة، العدد الثّاني، السّنة العشرون، ١٤١٥هـ.
 - الإشمام في العربيّة: حقيقته وأنواعه، للدكتور غانم قدّوري الحمد، منشور في مجلة معهد الإمام الشّاطبيّ، العدد الثّاسع، ١٤٣١هـ.
 - المصطلحات الثّلاثة: الرّوم والإشمام والإخفاء بين القراء واللّغويّين، للدكتور أحمد أبو العيلة رخا، مجلة كلية اللغة العربيّة بالمنصورة، العدد الثّاني عشر، ١٩٩٣م.
 - ظاهرة الرّوم والإشمام بين النّحاة والقراء - دراسة صوتيّة، لسامية بوزياد، مجلة الدّراسات اللّغويّة، المجلد الثّالث عشر، العدد الأوّل، ١٤٣٢هـ.

غطّت هذه الأبحاث دلالات الإشمام وأنواعه، وأحكامه المختلفة، ولكن بقيت مسألة أوّلية مهمّة، وهي ثبوت نوع منه، وهو إشمام الوقف، وهي قضية اختلف فيها، أخذ هذا النّوع من الإشمام عن العرب، أم هو من ابتداع العلماء بعدهم؟ وهذا البحث هو محاولة للإجابة عن هذا السّؤال.

بدأته بالحديث عن دلالات الإشمام عموماً باختصار؛ ليظهر موقع إشمام الوقف منها، واعتمدت في هذا على إبراز آراء المتقدمين في بيان هذه الدلالات، وكان في هذا مغايرة لعمل من قبلي، ثمّ أجبت عن تساؤل مفترض عن ورود هذه الصّورة من الإشمام في غير الوقف، ومن بعدُ أبنت عن مواقف العلماء من هذا الإشمام، فبدأت بمن ينفيه عن العرب، ثمّ ذكرت المثبتين له، وأخيراً خلصت إلى التّرجيح بين هذين التّهجين.

أولاً: دلالات مصطلح (الإشمام):

تصدّى للحديث عن هذا المصطلح عدد من علماء العربية الأوائل، ولم يجتمعوا على كلمة سواء، فإنّ منهم من حصّره في معنى واحد فقط، مثل الفارسيّ، قال: «الإشمام عند التّحويين ليس بصوت، فيفصل بين المدغم والمدغم فيه، وإلّا هو تهية العضو لإخراج الصّوت الذي هو الضّمّ ليدلّ عليه، وليس بخارج إلى اللفظ... ولعلّ أبا بكر ظنّ أنّ القراء ليس يعنون بالإشمام ما يعني به التّحويون في أنّه تهية العضو للصّوت وهمّ به، وليس بخروج إلى اللفظ»^(٣)، فالفارسيّ يحصر الإشمام هنا بما يُعرّف بإشمام الوقف، ويجعله مراد التّحويين ومقصودهم، ولكنّا نجد نفسه خرج عن هذا الاصطلاح، فاستعمل الإشمام بمعنى التّطرق ببعض الحركة^(٤)، وبمعنى إمالة الضّمة إلى الكسرة^(٥).

ومنهم من جعله ذا معنيين، مثل ابن خروف^(٦)، فعنده أنّ الإشمام إمّا ألّا يُسمع، وهو ما يكون في الوقف، وإمّا أن يُسمع، وهو ما يكون في وسط الكلمة مثل: (قيل)، ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾^(٧)، ومثله ابن إياز^(٨)، فإنّه ذكر أنّ الإشمام في اصطلاح الثّحاة له دالتان: أوّلها: ما ذكره الفارسيّ سابقاً، وخصّه بالوقف، والآخر: أن يُنحى بالكسرة نحو الضّمة، وبالياء نحو الواو، وذلك في الفعل المبنيّ للمجهول، نحو: (قيل)، و(بيع).

وأفضل من تحدّث عن دلالات هذا المصطلح وأنواعه من المتقدّمين ابن الفرخان^(٩)، وهو من علماء القرن السّادس الهجريّ، ذكر أنّه يطلق على خمسة معان:

الأوّل: أن تشمّ الحرف الحرف، ولا يكون هذا إلّا بين الحرفين المتقاربين في المخرج، مثل أن يشمّ الصّاد زايّاً، وليس هذا الإشمام المطلق، بل لابدّ من ذكر الطّرفين معاً.

الثّاني: أن تشمّ الحركة الحركة، وذلك نحو: (رُدّ) المبنيّ للمجهول، أشمّوا الضّمّ فيه الكسر، وهذا أيضاً ليس الإشمام المطلق؛ لأنّك تحتاج فيه إلى ذكر الطّرفين.

الثّالث: أن تشمّ السّكون إشماماً يظهر في اللفظ، وهذا هو الإشمام المطلق عند الكوفيّين، ويسمّى هذا النّوع عند البصريّين في الأكثر روماً لا إشماماً.

الرّابع: أن تشمّ السّكون الحركة إشماماً لا يظهر إلى اللفظ، بل يكون إشارة شفويّة يدركها البصير دون الأعمى، وهذا هو الإشمام المطلق عند البصريّين، والكوفيّون يسمّونه روماً.

الخامس: الدّهّاب عن الحركة إلى السّكون، ويسمّى أيضاً الاختلاس والإخفاء. وتشترك هذه المعاني في أنّها توسّط بين طرفين في الصّوت، سواء أكان هذا بين حرفين، أو حركتين، أو حركة وسكون^(١٠).

وأما في اصطلاح علماء القراءات فيطلق الإشمام في عرفهم^(١١) بمعان أربعة: أوّلها: خلط حرف بحرف، والثّاني: خلط حركة بأخرى، والثّالث: إخفاء الحركة، فتكون بين الإسكان والتّحريك، والرّابع: ضمّ الشّفتين بعد سكون الحرف.

ويلاحظ أنّه لا فرق بين هذا التّحديد لدلالات هذا المصطلح عند القراء وما ذكره ابن الفرخان إلّا في الجمع بين المعنى الثّالث والرّابع عنده في معنى واحد.

ولم أقف بعد طول تتبّع لهذا المصطلح على استعمال له يخرج عن هذه المعاني التي ذكرها ابن الفرخان إلّا في استعمال بعضهم^(١٢) له في تحريك هاء الضمير من غير إشباع أي: دون صلة.

وبعض المعاصرين^(١٣) أوصل معاني الإشمام إلى ثلاثة عشر معنى، أخذ شواهد المعاني التي أضافها من كتب علوم القرآن، ولكن ما صحّ من هذه المعاني يعود إلى المعاني السابقة، مثل: الإمالة، وإشمام الحركة في الحرف الساكن في الوصل. ثانياً: إشمام الوقف في غير الوقف:

الذي يعيننا من دلالات الإشمام السابقة المعنى الرابع، وهو ضمّ الشفتين بعد الوقف على الحرف المضموم ساكناً دون تصويت، فلا يُسمع، وإلّا يُرى^(١٤)، وهو المراد بالإشمام إذا أطلق عند البصريين كما سبق.

وهذا النوع من الإشمام يسمّى عند بعضهم^(١٥) بإشمام الوقف؛ لأنّه وجه من أوجه الوقف على الكلمة المتحرّكة بالضمّ عند كثير من النحويين كما سيأتي، ومع ذلك وردت هذه الصّورة من الإشمام في غير الوقف، فمن ذلك عند الفارسي^(١٦) وغيره^(١٧) إشمام الدالّ الضمّ في ﴿مِنْ لَدُنْهِ﴾^(١٨)، وبعضهم يرى أنّه هنا اختلاس للضمّة^(١٩)، ومنه إشمام الثّون في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾^(٢٠) قال الأنباري: «سكّنوا الأوّل منهما وأدغموه في الثّاني، وبقي الإشمام يدلّ على ضمّة الأولى، والإشمام ضمّ الشفتين من غير صوت»^(٢١)، والقراء والنحويون مختلفون في حقيقة الإشمام في هذا الموضع^(٢٢)، ومما يتّصل بهذا أنّ أبا عمرو كان إذا أدغم الحرف المرفوع أو المجرور في ما بعده أشار إلى حركته، واختلف القراء والنحويون^(٢٣) أيضاً في هذه الإشارة، وبعضهم^(٢٤) حملها على هذا الإشمام.

وهناك من أثبت هذا الإشمام في المبني للمجهول من الأجوف، نحو: (قيل)، فيرى أنه ضمٌ للشفتين مع الكسر الخالص^(٢٥)، وهذا خلاف المشهور عند القراء والتحويين^(٢٦)، فإن الواجب عندهم أن تكون صورة الإشمام هنا بأن ينحى بالكسرة فيه نحو الضمة^(٢٧).

وحمل بعض العلماء^(٢٨) على الإشمام بهذا المعنى ما ذكره سيبويه^(٢٩) من أنه سمع من العرب من يشم قاف (يؤرقني) الرفع في قول الرأجز:

مَتَى أَنَامُ لَا يُؤَرِّقُنِي الْكَرِي^(٣٠)

وذكروا أنه لولا هذا لانكسر البيت، ويشكل على هذا أن سيبويه ذكر أنه سمعه، وهذا الإشمام لا يُسمع، قال الفارسي: «ليس طريق الإشمام السَّمْع، وإنما الرؤية»^(٣١)، قال هذا تعليقا على نفي قطرب سماع الإشمام كما سيأتي، فيحتمل أن يجاب عن هذا بأنهما قالا ذلك جريا على العادة؛ لأن أخذ اللغة عن العرب كله ما عدا هذا الإشمام طريقه السَّمْع، وقد يكون مراد سيبويه التُّطْق بجزء يسير من الحركة، لا يعد الحرف به متحركا، بل يبقى في حيز السكون، فلا ينكسر البيت، ومثل هذا يسمي روماً وإشماماً أيضاً^(٣٢)، وذكر ابن الفرخان^(٣٣) أن روم الحركة في حكم السكون وعلى زنته، وعلى هذا فهم ابن سيده كلام سيبويه، فعرف الإشمام اعتماداً عليه بأنه «روم الحرف الساكن بحركة خفيفة لا يعتد بها، ولا تكسر وزناً»^(٣٤)، وكذا أبو حيَّان، فإنه ذكر أن ظاهر نص سيبويه على أن الإشمام في البيت مسموع^(٣٥).

وأصرح من المثال السابق في مجيء هذا الإشمام في الوصل قول سيبويه: «وقد يسكن بعضهم في الشعر ويشم، وذلك قول الشاعر امرئ القيس:

فاليومَ أشربُ غيرَ مُستَحْقِبٍ إثمًا من الله ولا واغِل^(٣٦)

وجعلت النُّقطة علامة الإشمام^(٣٧)، وسيأتي أن علامة هذا الإشمام عند سيبويه النُّقطة.

أخلص من هذا إلى أن هناك من أثبت هذه الصورة من الإشمام في غير الوقف، وذلك في مواضع اختلف معهم في جلّها اختلافاً كبيراً، وبعضها يتعلق بكلمة مخصوصة، أو بيت محدّد، وليس قانوناً مطّرداً، وعلى كلّ فليس هذا الإشمام في هذه المواضع بشهرته في الوقف، ومن هنا استحقّ أن يسمّى إشمام الوقف.

ثالثاً: النّافون لإشمام الوقف:

أقدم من نفى أن يكون هذا الإشمام في كلام العرب أبو عليّ محمّد بن المستنير، المعروف بقُطْرُب (ت ٢٠٦هـ)، صرّح بهذا في كتابه (معاني القرآن)، قال: «وهذا الإشمام من التّحويين، ولم نسمعه من العرب»^(٣٨)، فهذا تصريح بأنّ التّحويين هم من وضع هذا الإشمام، وأنّه ليس في كلام العرب، ولم ينتشر قوله، فلم أقف عليه إلّا عند ابن خروف، قال: «قال قطرب: الإشمام من التّحويين، وليس بمسموع من العرب»^(٣٩)، ثمّ نقله عن ابن خروف الشّاطبي^(٤٠)، ووجدته أيضاً في إحدى الحواشي على كتاب سيبويه^(٤١).

وهذا القول لقطرب يتّسق مع قول آخر له، وهو قوله بأنّ حركات الإعراب لم تدخل الكلام للتّفريق بين المعاني، وإلّا الفائدة منها سرعة النّطق بالكلام في الوصل، وليعتدل الكلام بالمراوحة بين السّكون في الوقف والحركة في الوصل^(٤٢)، فهذا القول يحصر فائدة حركات أواخر الكلم بحالة الوصل، فعند الوقف تزول الحاجة إليها، ومن هنا لا يكون هناك فائدة من بيان أصل حركة هذا الحرف الموقوف عليه، فيلزمه السّكون دون إشمام، ولا يستقيم الزّعم بأنّ الحركات إنّما جيء بها لأمر يتعلّق بالوصل وهم يحرصون على الإشارة إليها في حال الوقف، فقوله في فائدة حركات الإعراب يتّسق مع قوله في نفي الإشمام.

ويمكن أن يُنسب أيضاً نفي هذا الإشمام إلى أبي الحسن الأخفش (ت ٢١٥هـ)، فقد قال تعليقاً على كلام سيبويه فيه: «هذا الذي يدّعي ليس كما يدّعي، وهو يُفهم بالسَّمع دون النَّظر»^(٤٣)، وجاءت عبارته عند الفارسي: «هذا الذي يدّعيه في الإشمام ليس كما يقول، وهو يفهم بالسَّمع دون النَّظر»^(٤٤)، فالأخفش نفى هنا المعنى الذي أثبتته سيبويه للإشمام، وفسّره بما يُفسّر به الرُّوم، ومن هنا علّق الفارسي على قوله بأنّه متى سُمع صار روماً ولم يكن إشماماً^(٤٥)، فظاهر كلام الأخفش أنّ الرُّوم والإشمام عنده لا فرق بينهما، ويبدو أنّه مَن قصد السّيرافي بقوله: «وبعض التّحويين لا يعرف الإشمام الذي ذكره سيبويه، ولا يفرّق بين الإشمام والرُّوم»^(٤٦).

وقد يصحُّ أن يكون اعتراض الأخفش على سيبويه ليس في مفهوم الإشمام، بل في تسميته ما وصف إشماماً، ويكون مردُّ هذا إلى أنّه يرى أنّ الإشمام إنّما يطلق على المسموع، أمّا غير المسموع فيسمّى روماً، فيكون بهذا متّبعاً لنهج الكوفيّين الذين تُسبب إليهم^(٤٧) أنّهم يسمّون الإشمام روماً والرُّوم إشماماً، وهو أمر محتمل، إلّا أنّ الأظهر أنّه يخالف سيبويه في وجود المعنى نفسه لا في المصطلح؛ لأنّ سيبويه تحدّث عن الرُّوم والإشمام، ولم يعترض الأخفش على الرُّوم، ولو صحّ الافتراض السّابق ما كان الإشمام أولى من الرُّوم بالاعتراض، فكما أنّ كلام سيبويه على الإشمام بهذا الاصطلاح غير صحيح فكذلك كلامه على الرُّوم، فدلّ هذا على أنّ اعتراضه إنّما هو على وجود معنى الإشمام الذي ذكر سيبويه، وليس مجرد التّسمية.

ثمّ إنّ الأقرب أنّ هذا القول متأخّر عن الأخفش، ونسبته إلى الكوفيّين تحتاج إلى مزيد أدلّة، فإنّ أقدم من وجدته نسبه إليهم مكّي بن أبي طالب^(٤٨)، وكذا معاصره الدّاني^(٤٩)، الذي نسبه إليهم وإلى ابن كيسان، ويعارضه أنّ معاصرهما أبا العبّاس المهدوي^(٥٠) نسبه إلى ابن كيسان فقط، وذكر أنّه خالف في هذا إجماع التّحويين، وليس فيما وصلنا من كتب الكوفيّين استعمال لمصطلح الرُّوم، ولم يشرح أحد منهم مفهوم

الإشمام، فلا أستبعد أن يكونوا لا يعرفون مفهوم الإشمام الذي ذكر سيبويه، ولا مصطلح الرُّوم، وإنما يعرفون مفهومه فقط، ويسمونه إشماماً، فلمّا وجدهم مكّيٍّ أو من أخذ عنه يسمّون الرُّوم إشماماً ظنّ أنّهم كذلك يفعلون في المصطلح الآخر، وعلى هذا يكون الكوفيّون أيضاً ممّن قصدتهم السّيرافيّ بكلامه السّابق، وقد وجدت صاحب (العين) لا يذكر الرُّوم، ولكنّه ذكر الإشمام، وشرحه بما هو عند سيبويه روم^(٥١)، وتبعه أبو منصور الأزهري^(٥٢)، ولم أعد هؤلاء ممّن ينفون الإشمام بمفهومه عند سيبويه لأنّ عدم ذكرهم له لا يكفي في إثبات ذلك.

وقد يكون من نسب القول السّابق إلى الكوفيّين أراد المتأخّرين منهم، فقد نُسب إلى ثعلب في (صناعة الكتّاب)^(٥٣)، ذكر الشّاطبيّ^(٥٤) أنّ بعض القراء نسبته إليه، فيبقى على هذا أيضاً قولاً حادثاً بعد الأخفش.

هذا بالنّسبة لرأي الأخفش في حواشيه على الكتاب، وأمّا في كتابه (العروض) فخالف هذا، فأثبت ورود الإشمام والرُّوم في الوقف لغة لبعض العرب، وجعل للرُّوم علامة، وللإشمام علامة^(٥٥)، ممّا يدلّ على أنّه يفرّق بينهما، لكنّه لم يعرفهما، فيحتمل أنّه على رأي سيبويه، فهو الرّأي المشهور عند علماء العربيّة^(٥٦)، فيظهر أنّه أولاً لم يقف على هذا الإشمام الذي وصف سيبويه عند العرب فقال ما قال في حواشيه على الكتاب، فلمّا سمعه بعد عاد فأثبتته.

وهناك احتمال آخر، وهو أنّ الرُّوم والإشمام كلاهما مسموع عند الأخفش، لكنّهما يختلفان عنده في درجة الوضوح، وبهذا يتّحد قوله في العروض وفي حواشي الكتاب، وابن الطّحّان^(٥٧) ذكر أنّ نطق الحركة له أربع درجات، وممّا يؤيّد هذا الاحتمال أنّ العلامة التي جعلها الأخفش لكلّ منهما مخالفة لمثيلتها عند سيبويه، ممّا يشير إلى أنّه لا يتابعه في الاصطلاح، فلو كان يتابعه فيه لتابعه في العلامة، ولما احتاج إلى علامتين جديدتين، فالأصل في العلامات الكتابيّة الاتّباع.

وعلى كلِّ فالأخفش ينفي صورة الإشمام التي ذكر سيبويه على الأقلِّ في حواشيه على الكتاب.

وثالث من يمكن أن يُنسب إليه نفي الإشمام ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، فقد نقل الحسن العُمانِيُّ في أثناء حديثه عن الوقف وما يصحُّ فيه من روم وإشمام قولاً لابن قتيبة، يفهم منه نفيه الإشمام عن العرب، قال: «قال القُتَيْبِيُّ: والذي يعرفه أهل اللغة من مذاهب العرب أنَّها لا تقف إلَّا على ساكن، وما أحبُّ أن يُترك مذاهبُ العرب، بل أحبُّ أن أقف على السَّاكن في كلِّ موضع، إلَّا في مثل: (متاب)، و(عقاب) ونحوهما»^(٥٨)، ثمَّ عقَّب العُمانِيُّ عليه بقوله: «والاختيار عندي ما اختاره الشُّيوخ من الإشمام والرُّوم»^(٥٩)، فسياق ورود هذا التَّقل يفهم منه أنَّ ابن قتيبة ينفي الإشمام، ويرى أنَّ أهل اللغة لا يعرفونه مذهباً من مذاهب العرب في الوقف، ولو جاء هذا التَّقل مفرداً عن هذا السِّياق لما فُهم منه ذلك؛ لأنَّ إطلاق القول بأنَّ العرب لا تقف إلَّا على ساكن ليس فيه نفي للإشمام؛ لاحتمال أنَّ المراد أنَّه كذلك في الأكثر، وهم كثيراً ما يكتفون بالحديث عن اللغة الكُثْرى، ومن المعلوم أنَّ غالب العرب على الإسكان^(٦٠)، ثمَّ إنَّ الإشمام وإن كان يُجعل في الوقف قسيماً للإسكان، إلَّا أنَّ حقيقته أنَّه إسكان.

أمَّا الرَّابِع فهو أبو محمَّد الحسن العُمانِيُّ، وهو من علماء القرن الخامس الهجريِّ، قال: «والأصل في الحركتين عند الوقف هو السُّكون، والإشمام والرُّوم يدخلان حال الوقف استحساناً من القراء وأهل العربيَّة»^(٦١)، فظاهر قوله هذا أنَّ الإشمام أدخله القراء في القراءة وعلماء العربيَّة في الكلام استحساناً منهم لا رواية، وكأنَّه تأثَّر بكلام ابن قتيبة الذي نقله آنفاً؛ وهو أمر محتمل؛ ولكنَّ الأقرب أنَّه لم يقصد نفي الإشمام عن العرب، ولكنَّه أراد أن يُبين عن قلَّته، وأنَّ الغالب في كلام العرب الإسكان، فكان الأصل ألاَّ يوقف به؛ لأنَّ قواعد العربيَّة إمَّا تبنى على الأكثر،

ويطرح القليل، ولكنهم لمّا استحسنوه أجازوا الوقف به، فدخل في الوقف، وكذا القراءة الأصل فيها الاتباع، ولم يروِ الإشمام إلّا عن بعض القراء، ولكن علماء القراءات استحسنوه، فأجازوا الوقف به لجميع القراء حتّى الذين لم يروِ عنهم كما سيأتي، فدخل في الوقف عند الجميع، ومن هنا ذكر أنّ الإشمام دخل الوقف استحساناً من القراء وأهل العربية، ويؤكد هذا إثباته أنّ القراءة سنّة متبعة^(٦٢)، ثمّ هو في كتابه الآخر نصّ على أنّ الإشمام أخذ عن بعض القراء رواية^(٦٣).

ولم أجد أحداً نفى هذا الإشمام من العلماء المتقدمين غير هؤلاء مع طول التّبع والبحث.

أمّا في العصر الحديث فأعاد إظهار هذا القول بعد دروسه الدكتور إبراهيم أنيس^(٦٤)، فمال إلى القول بأنّ هذا الإشمام لم تعرفه العرب، ولم تقف به، وإنّما هو من صنع القراء، ابتكروه وسيلة تعليميّة، لتعريف الطّلاب بحركة آخر الكلمة قبل الوقف عليها، وعلى هذا فالنّحاة تلقّفوه منهم لا من أفواه العرب، ويظهر أنّه لم يقف على رأي من تقدّمه فيه.

ومثله محمد الأنطاكي^(٦٥)، فقد مال أيضاً إلى أنّ هذا الإشمام ليس من طرائق العرب، وإنّما هو من ابتكار القراء، لحرصهم على سلامة الأداء والأمانة فيه، ثمّ أخذه عنهم النّحاة، فهو يشترك مع الدكتور أنيس في القول بأنّه من صنع القراء، لكنّه يخالفه في سبب اختراعهم له، فهو يرى أنّهم أوجدوه حرصاً على سلامة الأداء والأمانة فيه، أما الدكتور أنيس فيرى أنّهم أوجدوه لغرض تعليميٍّ، ودعّم الأنطاكي قوله هذا بالأدلة الآتية^(٦٦):

أوّلها: أنّ جميع النّحاة أثبتوا أنّ هذا الإشمام قليل، بل في حكم النّادر، ويكفي عندهم لقول ذلك أنّ يتلقّفوه من عربيٍّ واحد، ولو كان مصاباً بعاهة تميله عن الصّواب.

وثانيها: أنه ليس بصوت، بل هو حركة بالشَّفة، للدَّلالة على أنَّ حركة الموقوف عليه الضَّمُّ، فهو إلى لغة الصُّمِّ أقرب منه إلى الكلام، قال: «ولا نعتقد أنَّ العرب سخفاء إلى حدٍّ أن يأتوا بحركات الخرس لأداء معانيهم أو فهمها، وهم أهل الفصاحة والبلاغة»^(٦٧).

وثالثها: أنَّ سيبويه لم يأخذه عن العرب على كثرة ما أخذ عنهم. ويلاحظ أنَّ الدكتور إبراهيم أنيس ومحمد الأنطاكي ينازعان في الروم أيضاً، ويريان أنه من صنع القراء، وكذا ابن قتيبة، وأمَّا قطرب والأخفش فنزاعهما في الإشمام فحسب.

رابعاً: المثبتون لإشمام الوقف:

يصعب حصر من أثبت هذا الإشمام وسلَّم به، فهو القول الغالب عند النحويين، وأقدم من نُسب إليه إثباته الخليل وأبو الخطَّاب الأخفش الأكبر، فبعد أن ذكر سيبويه من أوجه الوقف: الإشمام، والإسكان، والروم قال: «حدَّثنا بذلك عن العرب الخليل وأبو الخطَّاب، وحدَّثنا الخليل بغير الإشمام وإجراء الساكن»^(٦٨)، يقصد بغير الإشمام وإجراء الساكن التَّضعيفَ، يريد: أنَّ الخليل استبدَّ به عن أبي الخطَّاب^(٦٩).

ومَن قال به من علماء القرن الثَّاني أيضاً يونس بن حبيب، أثبت له تلميذه سيبويه، قال: «فالنصب والجرُّ لا يوافقان الرِّفع في الإشمام، وهو قول العرب ويونس والخليل»^(٧٠)، وكذا أثبت له تلميذه قطرب^(٧١).

وبعد هذا جاء سيبويه فأثبت هذا الإشمام وجهاً من أوجه الوقف على المرفوع والمضموم دون غيرهما، وذكر أنَّ سبب الإشمام هو التَّفريق بين الساكن الأصليِّ وما يعرض سكونه، وأنَّ علامته في الكتابة نقطة^(٧٢).

ومن بعده أثبتته أكثر العلماء، فمن علماء القرن الرابع أثبتته ابن السراج^(٧٣)، وأبو القاسم الزجاجي^(٧٤)، وأبو علي الفارسي^(٧٥)، ومن علماء القرن الخامس الواحدي^(٧٦)، وابن بابشاذ^(٧٧)، والواسطي^(٧٨)، وفي القرن السادس أثبتته ابن السيد البطليوسي^(٧٩)، والزخشي^(٨٠)، وابن الدهان^(٨١)، وفي القرن السابع الشلوبين^(٨٢)، وابن الحاجب^(٨٣)، وابن مالك^(٨٤)، وغير هؤلاء كثير^(٨٥)، وإنما هؤلاء أمثله، وهم يذكرونه وجهاً مسلماً به دون محاولة للاستدلال على ثبوته، أو حكاية قول من نفاه، بله الرد عليه، ما عدا ابن خروف^(٨٦)، فإنه ذكر قول قطرب والأخفش، ونسبهما إلى الفساد، ثم نقل عنه الشاطبي^(٨٧)، وعلى كلٍّ لم أقف على من شكك في إشمام الوقف من المتقدمين غير من سبق.

خامساً: الترجيح بين المذهبين:

لا يمكن أن يُرد على من نفى هذا الإشمام بكثرة مثبته، وأن المثبت مقدم على الثاني؛ لأنهم لا ينازعون في ثبوته عند العلماء، وإنما مناط النزاع في أنه من كلام العرب، وليس من صنع العلماء.

وقد رد بعض العلماء على قول قطرب أن الإشمام لم يُسمع بأن الإشمام آتاه البصر لا السمع، قال الفارسي: «ليس طريق الإشمام السمع، وإنما الرؤية»^(٨٨)، وقال ابن خروف: «وهذا فاسد؛ لأن هذا الإشمام الذي في الطرف لا يُسمع، وأخذه التحويتون بأبصارهم من أفواه العرب»^(٨٩)، ولكن يمكن أن يجاب عن قولهما هذا بأن قطرباً قال بانتفاء السماع جرياً على العادة في أن يكون الأخذ عن العرب طريقه السماع، وسياق كلامه كان عن هذا الإشمام الذي يُرى ولا يُسمع، فمقصوده واضح، وإنما توسع في التعبير.

والَّذِي أَمِيلُ إِلَيْهِ هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي، وَأَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ مِنَ الْإِشْمَامِ أَخَذَهَا التَّحْوِيلُونَ عَنِ الْعَرَبِ، وَلَيْسَتْ مِنْ افْتَعَالِهِمْ، وَلَا مِنْ صَنْعِ الْقُرَّاءِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أُمُورٌ:

أَوَّلُهَا: أَنَّ سَبْيُوِيَه نَسَبَهُ صِرَاحَةً إِلَى الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِ: «فَالنَّصَبُ وَالْجُرُّ لَا يُوَافِقَانِ الرَّفْعَ فِي الْإِشْمَامِ، وَهُوَ قَوْلُ الْعَرَبِ وَيُونُسَ وَالْخَلِيلَ»^(٩٠)، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مِنْ أَوْجِهِ الْوَقْفِ: الْإِشْمَامِ، وَالْإِسْكَانَ، وَالرُّومَ: «حَدَّثَنَا بِذَلِكَ عَنِ الْعَرَبِ الْخَلِيلُ وَأَبُو الْخَطَّابِ»^(٩١)، فَهَذَانِ نَصَّانِ صَرِيحَانِ مِنْ سَبْيُوِيَه يَثْبِتَانِ عَوْدَةَ هَذَا الْإِشْمَامِ إِلَى الْعَرَبِ، وَمِنْ نَصُوصِ سَبْيُوِيَه الَّتِي يَفْهَمُ مِنْهَا نَسَبُهُ الْإِشْمَامَ إِلَى الْعَرَبِ قَوْلُهُ: «وَلَكِنَّهُمْ يَشْمُونُ وَيُرُومُونَ الْحَرَكَةَ لئَلَا يَكُونَ بِمَنْزِلَةِ السَّاكِنِ الَّذِي يَلْزِمُهُ السُّكُونُ، وَقَدْ يَدْعُونَ الْإِشْمَامَ»^(٩٢)، وَلَا شَكَّ أَنَّ سَبْيُوِيَه وَالْخَلِيلَ وَالْأَخْفَشَ الْأَكْبَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ جُلُّ الْعَرَبِيَّةِ، قَالَ الشَّاطِبِيُّ: «وَقَدْ قَالَ سَبْيُوِيَه بَعْدَ كَلَامِهِ فِي الْإِشْمَامِ: (وهذا قول العرب ويونس والخليل) فعزاه إلى العرب، وهو الثَّقة في ما ينقل، فلا يُسْمَعُ كَلَامُ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ»^(٩٣).

وَمِنْ صَرَّحَ بِنَسَبَةِ الْإِشْمَامِ إِلَى الْعَرَبِ الرَّجَّاجِيُّ^(٩٤)، وَالسَّيرَافِيُّ^(٩٥)، وَمَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٩٦)، وَالْمَهْدَوِيُّ^(٩٧)، وَابْنُ الْبَائِذِشِ^(٩٨)، وَحِيدَةُ الْيَمْنِيِّ^(٩٩)، وَأَبُو الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيُّ^(١٠٠).

فَنَفِي أَنْ يَكُونَ الْإِشْمَامُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِيهِ تَكْذِيبٌ لَهُؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ فِي رَوَايَتِهِمْ، فَلَيْسَ هُوَ اجْتِهَادٌ مِنْهُمْ تَصَحُّ مَخَالَفَتِهِ، وَلَوْ فُتِحَ بَابُ التَّكْذِيبِ لَمْ يَبْقَ — كَمَا يَقُولُ الرَّازِيُّ^(١٠١) — شَيْءٌ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ سَلِيمًا مِنَ الطَّعْنِ؛ لِأَنَّهُمَا إِنَّمَا أَخَذَا بِالنَّقْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا مَعَ تَصْدِيقِ النَّاقِلِ.

وِثَانِيهَا: أَنَّ التَّحْوِيلِيَّينَ^(١٠٢) ذَكَرُوا أَنَّ الْإِشْمَامَ لَهْجَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ، وَاللَّهْجَاتُ لَا مَجَالَ لِابْتِكَارِهَا، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْعَرُوسِيُّ: «وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَرُومُ الْحَرَكَةَ، وَمِنْهُمْ

من يُشَمُّ»^(١٠٣)، وقال السيرافي: «وأكثر العرب يقف كذلك، ومنهم من إذا وقف أتى في الوقف بما يدلُّ به على تحريك الكلمة في الوصل، والعرب في الإتيان بذلك على مراتب، بعضها أوكد من بعض، فمنهم من يُشَمُّ»^(١٠٤)، وقال المعري: «بعض العرب يُشَمُّ ويروم عند الوقف»^(١٠٥)، ويمكن أن يؤخذ هذا من كتاب سيبويه، من قوله: «فأما الذين أشموا فأرادوا...»^(١٠٦)، فيُفهم من هذا أنه يتحدث عن لهجة طائفة من العرب.

وثالثها: أنَّ التَّحويين يتحدثون عن الكثرة والقلة في الإشمام بالنسبة إلى بقیة أوجه الوقف، وهذا يدلُّ على أنَّهم في مقام وصف كلام العرب، فلا معنى لأن يجعلوا شيئاً هم صنعوه أكثر من وجه آخر أو أقل، ومن نصوصهم في هذا قول سيبويه بعد حديثه عن الروم في النَّصب: «وإجراؤه كإجراء المجزوم أكثر، كما أن الإشمام وإجراء الساكن في الرَّفع أكثر»^(١٠٧)، وقول السيرافي: «والوقف على ذلك كله أكثر في كلام العرب من الإشمام والروم»^(١٠٨)، وقال ابن بابشاذ بعد أن ذكر الإشمام وبقية أوجه الوقف: «السكون هو الأصل الأغلب الأكثر»^(١٠٩).

ورابعها: أنَّ هناك طائفة من القراء أخذ عنهم هذا الإشمام رواية، فأخذ عن أبي عمرو وحمة والكسائي^(١١٠)، وعاصم^(١١١)، وخلف^(١١٢)، وأبي جعفر^(١١٣)، ولم يكن هؤلاء ليفعلوا في القراءة ما ليس منها، وإنما سبيلهم الاتباع، فهم متبعون غير مبتدعين^(١١٤)، وقد ذكر الداني^(١١٥) أنَّ أئمة القراء إنما يعملون على الأثبت في الأثر، والأصح في الثقل؛ لأنَّ القراءة سنَّة متبعة، وأسانيد هؤلاء القراء تتصل بالصَّحابة، وهذا كافٍ في إثبات أنَّ الإشمام من كلام العرب.

وأما بقية القراء فلم يرو عنهم الإشمام في الوقف^(١١٦)، ولكن درج علماء القراءات على إجازة الوقف به عند القراءة بجميع القراءات^(١١٧)، ولكنهم فرَّقوا، فذكروا أنَّه في القراءات السابقة أخذ رواية، وأما في قراءة غيرهم فاستحسن منهم واختيار^(١١٨)، وهذا من أمانتهم ودقَّتهم، فمع أنَّهم لم يفتعلوا نهجاً غير معروف في

سنن القراءة، إلّا أنّهم لمّا أخذوا به لقارئ لم يرو عنه صرّحوا بهذا، على أنّ السّمين الحلبيّ لم يستحسن منهم هذا الصّنيع، فقال: «والّذي ينبغي إلّا يقرأ للباقيين بهما، وذلك أنّ الرّوم والإشمام كالإمالة والتّريق وغير ذلك ممّا يشبههما، فكما لا يقرأ لأحد من القراء بذلك إلّا بالتّوقيف فكذلك هذا»^(١١٩).

وهناك نصّان لعالمين من علماء القراءات قد يؤخذ منهما أنّ الإشمام اصطلاح من القراء، أوّلهما قول أبي عليّ الأهوازيّ (ت ٤٤٦هـ): «والإشارة إلى الإعراب في موضع الرّفْع والخفض عن الجماعة هي اختيار ابن مجاهد، واصطلاح من المقرئين»^(١٢٠)، والآخر قول المبارك الشّهرزوريّ (ت ٥٥٠هـ): «ودكر عن الإمام أبي بكر بن مجاهد أنّه كان يختار الإشارة في حال الوقف في المرفوع والمجرور، وبه يأخذ عن الجماعة، وهو اصطلاح من العلماء لأهل هذه الصّناعة، ليعرفوا ما عند القارئ في ذلك من معرفة الإعراب»^(١٢١)، فظاهرهما أنّ الإشارة الّتي هي الرّوم والإشمام اصطلاح اصطلاح عليه القراء؛ ليعرفوا تمكّن القارئ من العربيّة، وهذا يؤيد قول الدكتور إبراهيم أنيس ومحمّد الأنطاكيّ، ولكن ليس الأمر كذلك، فإنّ مرادهما أنّ علماء القراءات اصطلاحوا على الأخذ بالإشمام للقراء الّذين لم يرو عنهم، لا أنّ جميع الإشمام أخذ اصطلاحاً، فهناك طائفة من القراء أخذ عنهم رواية، وعلماء القراءات^(١٢٣) يذكرون أوّل القراء الّذين ثبت عنهم الإشمام، ثمّ يذكرون أنّ العرف في الإقراء جرى على الأخذ بالإشمام لبقية القراء اختياراً واستحساناً لا رواية، وكذا فعل الأهوازيّ والشّهرزوريّ، فبدأ بذكر القراء الّذين ثبت عنهم الإشمام، ثمّ ذكروا عرف الإقراء في بقية القراء بذكر رأي ابن مجاهد، وهو أشهر من تزعم هذا الاختيار^(١٢٤)، فلا يصحّ أن يُفهم هذان النّصّان بمعزل عن كتب فُتّهما.

وأما أدلة النّافين فلا تقوم أمام الأدلة السّابقة، فأهمّها - وهو قول قطرب بأنّه لم يسمع الإشمام من العرب - ليس فيه دليل؛ لأنّ عدم العلم ليس دليلاً على العدم،

و«الإحاطة ممتنعة، وقد يسمع البعض ما لا يسمع البعض»^(١٢٥)، وبهذا يردُّ على ما استدلَّ به محمد الأنطاكيُّ من أنَّ سيبويه مع كثرة ما سمع عن العرب لم يسمعه، وإنَّما أخذه عن غيره، ويضاف إليه أنَّ جلَّ ما في كتاب سيبويه ليس مروياً عن العرب مباشرة، بل أخذه سيبويه عن أشياخه، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد، ثمَّ بقيَّتْهم كيونس وأبي عمرو بن العلاء والأخفش الأكبر، وهو في هذه القضية ينقلها عنهم، وكفى بهم عدولاً، ولذا تقبَّل روايتهم، ولم يشكَّ فيها، وليست الحجَّة في العربية سماع سيبويه فحسب.

الختمة

خلص هذا البحث في ثبوت إشمام الوقف إلى التّائج الآتية:

- أنّ جلّ علماء العربيّة يثبتون إشمام الوقف.
- هناك فريق قليل من المتقدّمين والمتأخّرين ينفون أن يكون هذا الإشمام من كلام العرب، وبعضهم يرى أنّه من وضع النّحويّين، وبعضهم يرى أنّه من وضع القراء.
- أثبت البحث أنّ هذا الإشمام مأخوذ عن العرب.
- الغالب أن يكون هذا الإشمام في الوقف، ولكنّه ورد قليلاً في وصل الكلام.

الهوامش والتعليقات:

- (١) الخصائص ١/٣٣.
- (٢) الكتاب ٤/١٧١.
- (٣) الحجّة ١/٢١٢ - ٢١٤ وينظر: التّعليقة ٤/٢١٤.
- (٤) الحجّة ٦/٣٩٢ والتّعليقة ٤/١٢٣.
- (٥) الحجّة ١/٣٤٦ - ٣٤٧.
- (٦) تنقيح الألباب ٢٤٧.
- (٧) سورة يوسف، الآية (١١).
- (٨) المحصول ١/٣٤٧.
- (٩) المستوفى ٢/١٨٠ - ١٩١.
- (١٠) المستوفى ٢/١٨٠.
- (١١) كنز المعاني ١/٣٥١ وإبراز المعاني ١/٢٤٢ - ٢٤٣.
- (١٢) السّبعة ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ والبديع لابن مطرّف ١/٢٤١.
- (١٣) المصطلحات الصّوتية في الثّراث اللّغويّ ٢/٨٥٠.
- (١٤) الأصول ٣/٣٧٢ والتّكملة ٢٠٥ والتّبصرة والتّذكرة ٢/٧١٦ وشرح الجمل لابن بابشاذ ٢/٧٠١.
- (١٥) البسيط ٢/٩٥٩.
- (١٦) الحجّة ٥/١٢٩.
- (١٧) الكشف عن وجوه القراءات ٢/٥٤ وجامع البيان ٣/١٣٠٢.
- (١٨) سورة الكهف، آية (٢)، وهذه قراءة عاصم في رواية أبي بكر (السّبعة ٣٨٨ والإرشاد ٢/٧١٥).

- (١٩) الإقناع ٦٨٨/٢ وإبراز المعاني ٣/٣٢٩.
- (٢٠) سورة يوسف، آية (١١).
- (٢١) البيان ٣٤/٢ وينظر: الغرّة ١٣٦ والبسيط ٢/٩٥٨.
- (٢٢) جامع البيان ٣/١٢١٨ وينظر: النّشر ٩٥٠ - ٩٥١.
- (٢٣) الإدغام الكبير ١٨٨.
- (٢٤) الإدغام الكبير ١٨٧ - ١٨٨ وجامع البيان ١/٤٥٨ والنّشر ٩٣٥.
- (٢٥) شرح الكافية ٢: ٩٦٢/٢ والبسيط ٢/٩٥٩ وشرح الجمل لابن الفخّار ١/٣٥٥ والمقاصد الشّافية ٣/٢٢.
- (٢٦) شرح الكافية ٢: ٩٦٢/٢ والمقاصد الشّافية ٣/٢١.
- (٢٧) التّحديد ٩٧.
- (٢٨) الخصائص ١/٧٣ والصّحاح "شم" ٥/١٩٦٢.
- (٢٩) الكتاب ٣/٩٥.
- (٣٠) لم أفق على قاتل البيت، وهو بلا نسبة في (الكتاب ٣/٩٥ والمنصف ٢/١٩١).
- (٣١) حواشي الكتاب "نور عثمانية" ٤٤٦ ب.
- (٣٢) تنقيح الألباب ٢٤٨.
- (٣٣) المستوفى ٢/١٨٥.
- (٣٤) المحكم ٧/٤٣٤، وينظر: رسالة الغفران ٣٦٨ - ٣٦٩.
- (٣٥) التّذييل والتّكميل ٦/٢٧١.
- (٣٦) البيت في ديوان امرئ القيس ٢٥٨.
- (٣٧) الكتاب ٤/٢٠٤.
- (٣٨) معاني القرآن ١٤٢ ب.
- (٣٩) تنقيح الألباب ٢٤٨.

- (٤٠) المقاصد الشافعية ٥٤ / ٨.
- (٤١) حواشي الكتاب "نور عثمانية" ٤٤٦ ب.
- (٤٢) قول قطرب في (الإيضاح في علل النحو ٧٠ - ٧١ واللباب ٥٥ / ١).
- (٤٣) حواشي الكتاب "نور عثمانية" ٤٤٧ ب وتنقيح الألباب ٢٤٩.
- (٤٤) التعليقة ٢١٤ / ٤.
- (٤٥) التعليقة ٢١٤ / ٤.
- (٤٦) شرح الكتاب ١١٩ / ١٦.
- (٤٧) الكشف عن وجوه القراءات ١٢٢ / ١ والتبصرة ١٠٦ وجامع البيان ٨٣٢ / ٢ والموضح ٢١٦ / ١ والمستوفى ١٨٥ / ٢ و١٨٩ وإبراز المعاني ١٩٦ / ٣.
- (٤٨) الكشف عن وجوه القراءات ١٢٢ / ١ والتبصرة ١٠٦.
- (٤٩) الكشف عن وجوه القراءات ١٢٢ / ١ والتبصرة ١٠٦ وجامع البيان ٨٣٢ / ٢ والموضح ٢١٦ / ١ والمستوفى ١٨٥ / ٢ و١٨٩.
- (٥٠) شرح الهداية ٢٦٤، وكذا نسبه إلى ابن كيسان ابن مطرف في (البدیع ١٤٢ / ١)، ويظهر أن ابن كيسان له في هذه المسألة قولان، هذا أحدهما، والآخر موافقة سيبويه (المرشد ٩٤ / ١).
- (٥١) العين ٢٢٤ / ٦.
- (٥٢) تهذيب اللغة ٢٩١ / ١١.
- (٥٣) ١٥٤.
- (٥٤) المقاصد الشافعية ٥٤ / ٨.
- (٥٥) العروض ١١٧ - ١١٨.
- (٥٦) الموضح ٢١٦ / ١.
- (٥٧) مرشد القارئ ٧٧.
- (٥٨) الأوسط ١٧١، ومراده بكلامه الأخير: أنه يجب الوقف على الساكن إلّا في ما سكن ما قبل

- آخره، فهنا يميل عن تفضيل الإسكان إلى غيره من الرُّوم والإشمام؛ هرباً من اجتماع السَّاكين، مع جوازه في الوقف (ينظر: المرشد ٨٩).
- (٥٩) الأوسط ١٧١.
- (٦٠) شرح الكتاب للسَّيرافي ١١٨/١٦ و١٢٤ وجامع البيان ٨٢٥/٢ وشرح المقدمة المحسبة ١٠٤/١.
- (٦١) المرشد ٩٦.
- (٦٢) المرشد ٩٢.
- (٦٣) الأوسط ١٧٠.
- (٦٤) من أسرار اللغة ٢٢٢ - ٢٢٣ وينظر: الأصوات اللغويَّة ٤٣، ورجَّحت صالحة آل غنيم رأي الدكتور أنيس في (اللهجات في الكتاب لسيبويه ٣٧٨).
- (٦٥) المحيط ٦٤/١ ح (١).
- (٦٦) المحيط ٦٤/١ ح (١).
- (٦٧) المحيط ٦٤/١ ح (١).
- (٦٨) الكتاب ١٦٩/٤.
- (٦٩) ينظر في ذلك حاشية للفارسي على (الكتاب نور عثمانية ٤٤٦ ب وينظر: تنقيح الألباب ٢٤٨).
- (٧٠) الكتاب ١٧٢/٤.
- (٧١) معاني القرآن ١٤٢ ب.
- (٧٢) الكتاب ١٦٨/٤ - ١٦٩.
- (٧٣) الأصول ٣٧٢/٢.
- (٧٤) الجمل ٣٠٩.
- (٧٥) التَّكملة ٢٠٤ - ٢٠٥.
- (٧٦) الإعراب في علم الإعراب ٨١٢.

- (٧٧) شرح المقدمة المحسبة ١٠٤/١.
- (٧٨) شرح اللمع ١٥.
- (٧٩) إصلاح الخلل ٣٣٣.
- (٨٠) المفصل ٣٥١.
- (٨١) الغرّة ١٣٥.
- (٨٢) التّوطئة ٣٤٦.
- (٨٣) الشّافية ٦٣.
- (٨٤) شرح عمدة الحفاظ ٩٧٣/٢.
- (٨٥) الواضح ٢٦٢ والتّبصرة والتّذكرة ٧١٦/٢ وثمار الصّناعة ٢٠٣ والبيان في شرح اللمع ٤٩ وأسرار العربية ٣٥٣ وكشف المشكل ٢٠٩/٢ والبدیع لابن الأثير ١: ٢/٦٨٠ والمقدمة الجزوليّة ٢٨٠ واللباب ١٩٧/٢ والفصول الخمسون ٢٦٧ والمقرّب ٢/٢٥ وشرح الشّافية للرّضيّ ٢/٢٧٥ والمحرّر ٣/٥٧٦ والفاخر ٢/٩٦٣ والكنّاش ٢/١٥٧ وارتشاف الضّرب ٢/٨٠٨ والفضّة المضيّة ٤٧٠ وهمع الهوامع ٦/٢٠٨.
- (٨٦) تنقيح الألباب ٢٤٨ - ٢٤٩.
- (٨٧) المقاصد الشّافية ٨/٥٤.
- (٨٨) حواشي الكتاب "نور عثمانية" ٤٤٦ ب.
- (٨٩) تنقيح الألباب ٢٤٨.
- (٩٠) الكتاب ٤/١٧٢.
- (٩١) الكتاب ٤/١٦٩.
- (٩٢) الكتاب ٤/١٧١.
- (٩٣) المقاصد الشّافية ٨/٥٤.
- (٩٤) الجمل ٣٠٩.

- (٩٥) شرح الكتاب ١١٨/١٦.
- (٩٦) الكشف عن وجوه القراءات ١٢٢/١.
- (٩٧) شرح الهداية ٢٦٢.
- (٩٨) الإقناع ٥٠٥/١.
- (٩٩) كشف المشكل ٢٠٧/٢ و ٢٠٩.
- (١٠٠) اللباب ١٩٦/٢.
- (١٠١) مفاتيح الغيب ٣/٨.
- (١٠٢) ثمار الصناعة ٢٠٢ - ٢٠٣ والمفصل ٣٥١ وكشف المشكل ٢٠٨/٢ وشرح الجمل لابن خروف ٩١/٣ وإبراز المعاني ١٩٢/٢.
- (١٠٣) كتاب في علم العروض ٥٠.
- (١٠٤) شرح الكتاب ١٢٤/١٦.
- (١٠٥) الصَّاهِل والشَّاحِج ٥٠٦.
- (١٠٦) الكتاب ١٦٨/٤.
- (١٠٧) الكتاب ١٧٢/٤.
- (١٠٨) شرح الكتاب ١٢٤/١٦.
- (١٠٩) شرح المقدمة المحسبة ١٠٤/١.
- (١١٠) الإرشاد ٤٩٩/١ والتذكرة ٢٤١/١ والتبصرة ١٠٤.
- (١١١) جامع البيان ٨٢٦/٢ - ٨٢٧ والدُّرَّة الفريدة ٢٦٨/٢ والنُّشْر ١٤٦٥.
- (١١٢) غاية الاختصار ٣٩٩/١ والنُّشْر ١٤٦٥.
- (١١٣) النُّشْر ١٤٦٥.
- (١١٤) الإقناع ٥٥٨/١.

- (١١٥) جامع البيان ٢/ ٨٦٠.
- (١١٦) الإرشاد ١/ ٤٩٩ والتبصرة ١٠٤ والتيسير ١٧٨ والنشر ١٤٦٥.
- (١١٧) الإرشاد ١/ ٤٩٩ والتبصرة ١٠٤ والتيسير ١٧٨ والإقناع ١/ ٥٠٨.
- (١١٨) الإرشاد ١/ ٤٩٩ - ٥٠٠ والتذكرة ١/ ٢٤١ - ٢٤٢ والتبصرة ١٠٤ والذرة الفريدة ٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩.
- (١١٩) العقد النضيد ١٣.
- (١٢٠) الوجيز ١١٧ وينظر: الإقناع ١/ ٥٠٨.
- (١٢١) المصباح الزاهر ٢/ ٥٣٤.
- (١٢٢) جامع البيان ١/ ٤٥٨ والتيسير ١٧٨.
- (١٢٣) الإرشاد ١/ ٤٩٩ - ٥٠٠ والتذكرة ١/ ٢٤١ - ٢٤٢ والتبصرة ١٠٤ والتيسير ١٧٨ والأوسط ١٧٠ - ١٧١ وغاية الاختصار ١/ ٣٩٩ والذرة الفريدة ٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩ والنشر ١٤٦٥.
- (١٢٤) الإقناع ١/ ٥٠٨ وغاية الاختصار ١/ ٣٩٩.
- (١٢٥) الإدغام الكبير ١٥٩.

المصادر والمراجع

- إبراز المعاني من حرز الأمان، لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، تحقيق محمود عبد الخالق، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.
- الإدغام الكبير، لأبي عمرو عثمان الداني، تحقيق د. عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٤هـ.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة، لأبي الطيّب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون، تحقيق د. باسم بن حمدي بن حامد السّيد، جائزة الأمير سلطان الدّوليّة في حفظ القرآن للعسكريين، ١٤٣٢هـ.
- أسرار العربيّة، لأبي البركات الأنباري، تحقيق د. فخر صالح قدّاره، دار الجليل، بيروت، ١٤١٥هـ.
- إصلاح الخلل الواقع في الجمل، لعبد الله بن السّيد البطليوسي، تحقيق د. حمزة عبد الله النّشّرتي، دار المريخ، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- الأصوات اللغويّة، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الأصول في النّحو، لأبي بكر بن السّراج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الإعراب في علم الإعراب، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق عبد الله بن محمّد السّديس، رسالة دكتوراه في كليّة اللغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة، ١٤٣٢هـ.
- الإقناع في القراءات السّبع، لابن الباذش أحمد بن عليّ الأنصاري، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مطبوعات جامعة أمّ القرى، ١٤٠٣هـ.
- الأوسط في علم القراءات، لأبي محمّد الحسن بن عليّ العُماني، تحقيق د. عزّة حسن، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٧هـ.

- الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي، تحقيق د. مازن المبارك، دار النَّفائس، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- البديع في شرح القراءات السبع، لمحمد بن أحمد بن مطرف القرطبي، تحقيق عبد الواحد الصمدي، منشورات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٧هـ.
- البديع في علم العربية، لمجد الدين بن الأثير، تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين و د. صالح حسين العايد، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع الإشبيلي، تحقيق د. عياد بن عيد التبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- البيان في شرح اللمع، للشريف عمر الكوفي، تحقيق د. علاء الدين حموي، دار عمّار، عمّان، ١٤٢٣هـ.
- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.
- التبصرة في القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٥هـ.
- التبصرة والتذكرة، لأبي محمد عبد الله الصيمري، تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى علي الدين، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٢هـ.
- التحديد في الإتيان والتجويد، لأبي عمرو عثمان الداني، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، ١٤٢١هـ.
- التذكرة في القراءات الثمان، لأبي الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، تحقيق أيمن رشدي سويد، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٢هـ.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق أ. د. حسن هندواوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

- التعلّيق على كتاب سيبويه، لأبي عليّ الفارسيّ، تحقيق د. عوض بن حمد القوزيّ، مطبعة الأمانة - القاهرة، ودار المعارف - القاهرة، ومطابع الحسني - الرياض، الطّبعة الأولى.
- التّكملة، لأبي عليّ الفارسيّ، تحقيق د. كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ.
- تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، لابن خروف الإشبيليّ، مخطوطة في دار الكتب المصريّة، رقم: ٥٣٠ نحو تيمور.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهريّ، تحقيق عبد السّلام هارون وآخرين، الدّار المصريّة للتّأليف والترجمة، القاهرة، الطّبعة الأولى.
- التّوطئة، لأبي عليّ الشّلوينيّ، تحقيق د. يوسف أحمد المطوّع، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٤٠١هـ.
- التّيسير في القراءات السّبع، لأبي عمرو عثمان الدّانيّ، تحقيق د. حاتم الضّامن، مكتبة الرّشد، الرياض، ١٣٣٢هـ.
- ثمار الصّناعة، لأبي عبد الله الحسين بن موسى الدّينوريّ، تحقيق د. محمّد بن خالد الفاضل، مطبوعات جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، ١٤١١هـ.
- جامع البيان في القراءات السّبع، لأبي عمرو عثمان الدّانيّ، تحقيق عبد المهيمن الطّحّان وطلحة محمّد توفيق وسامي عمر إبراهيم وخالد عليّ الغامديّ، كليّة الدّراسات العليا والبحث العلميّ - جامعة الشّارقة، ١٤٢٨هـ.
- الجمل في النّحو، لأبي القاسم عبد الرّحمن الرّجّاجيّ، تحقيق د. عليّ توفيق الحمد، مؤسّسة الرّسالة - بيروت، دار الأمل - إربد، ١٤٠٥هـ.
- الحجّة للقراء السّبعة، لأبي عليّ الفارسيّ، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويّجاني، دار المأمون للثّراث، دمشق، ١٤١٣هـ.
- الخصائص، لعثمان بن جيّ، تحقيق محمّد عليّ النّجار، دار الهدى، بيروت، الطّبعة الثّانية.
- الدّرة الفريدة في شرح القصيدة، للمتّجب الهمذانيّ، تحقيق د. جمال محمّد طلبه، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٣٣هـ.

- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- الشافية في علم التصريف، لعثمان بن الحاجب، تحقيق د. حسن أحمد العثمان، المكتبة المكيّة، مكة، ١٤١٥هـ.
- شرح جمل الزّجّاجيّ (الجزء الثالث)، لابن خروف الإشبيلي، تحقيق د. سلوى محمد عمر عرب، مركز النشر العلميّ في جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٢٧هـ.
- شرح الجمل في النحو، لطاهر بن أحمد بن بابشاذ، تحقيق د. عليّ بن توفيق الحمد، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٦م.
- شرح الجمل، لابن الفخّار محمد بن عليّ، تحقيق د. روعة محمد ناجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٣٤هـ.
- شرح الشافية، لرضيّ الدّين الإستراباذيّ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزّفزاف ومحمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ، لمحمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف العراقيّة، ١٣٩٧هـ.
- شرح الكافية، للرّضيّ الإستراباذيّ، تحقيق د. حسن بن محمد الحفظيّ و د. يحيى بشير مصريّ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، الطبعة الأولى.
- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السّيرافيّ، تحقيق د. رمضان عبد التّواب وآخرين، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- شرح اللمع في النحو، للواسطيّ الضّرير، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ.
- شرح المقدمة المحسبة، لطاهر بن أحمد بن بابشاذ، تحقيق د. خالد عبد الكريم جمعة، المكتبة العصريّة، الكويت، ١٩٧٦م.

- شرح الهداية، لأبي العباس أحمد المهدوي، تحقيق د. حازم سعيد حيدر، دار عمّار، عمّان، ١٤٢٧هـ.
- الصّاهل والشّاحج، لأبي العلاء المعري، تحقيق د. عائشة عبد الرّحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ.
- الصّحاح، لإسماعيل الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- صناعة الكُتّاب، لأبي جعفر النّحاس، تحقيق د. بدر أحمد ضيف، دار العلوم العربيّة، بيروت، ١٤١٠هـ.
- العروض، لأبي الحسن الأخفش، تحقيق د. أحمد محمّد عبد الدّائم، المكتبة الفيصلية، مكّة، ١٤٠٥هـ.
- العقد النّضيد في شرح القصيد (من أوّل باب الوقف إلى نهاية باب ياءات الزّوائد)، للسّمين الحلبي، تحقيق عبد الله بن غزاي البراق، رسالة ماجستير في كليّة الدّعوة وأصول الدّين، جامعة أمّ القرى، ١٤٢٢هـ.
- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السّامرائي، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمّة الأمصار، لأبي العلاء الحسن العطار، تحقيق د. أشرف محمّد فؤاد طلعت، الجماعة الخيرية لتحيّظ القرآن الكريم، بجدة، ١٤١٤هـ.
- الغرّة (من أوّل الكتاب إلى نهاية الأسماء السّنة)، لابن الدّهان الموصلي، تحقيق ماجد بن عمر القرني، بحث مجاز للنّشر من عمادة البحث العلميّ بالجامعة الإسلاميّة، ١٤٣٢هـ.
- الفاخر في شرح جمل عبد القاهر، لمحمد بن أبي الفتح البعلبي، تحقيق د. ممدوح محمّد خسارة، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب - الثّراث العربيّ، الكويت، ١٤٢٣هـ.
- الفصول الخمسون، لابن معط يحيى المغربي، تحقيق محمود محمّد الطّناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- الفضّة المضّيّة في شرح الشّذرة الدّهية، لأحمد بن محمّد بن زيد العاتكي، تحقيق د. هزاع سعد المرشد، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢٤هـ.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

- الكتاب، لسيبويه، مخطوطة في مكتبة نور عثمانية، إسطنبول، رقم ٤٦٢٨.
- كتاب في علم العروض، لأبي الحسن العروضي، تحقيق د. جعفر ماجد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥ م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ هـ.
- كشف المشكل في النّحو، لحيدرة اليميني، تحقيق د. هادي عطية مطر، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية، بغداد، ١٤٠٤ هـ.
- كنز المعاني في شرح حرز الأمان، لشعلة الموصللي، تحقيق د. محمد إبراهيم المشهداني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ودار البركة، دمشق، ١٤٣٣ هـ.
- الكُنّاش في فني النّحو والصّرف، لصاحب حماة الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل الأيوبي، تحقيق د. رياض بن حسن الخوّام، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق غازي مختار طليمات و د. عبد الإله نبهان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ١٤١٦ هـ.
- اللهجات في الكتاب لسيبويه، لصاحبة آل غنيم، مطبوعات جامعة أمّ القرى، ١٤٠٥ هـ.
- المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، ومؤسسة علوم القرآن - بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- المحرّر في النّحو، لعمر بن عيسى الهرملي، تحقيق د. أمين عبد الله سالم، مؤسسة العليا، القاهرة، ١٤٣١ هـ.
- المحصول في شرح الفصول، لابن إياز البغدادي، تحقيق د. شريف عبد الكريم النّجّار، دار عمّار، عمّان، ١٤٣١ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لعليّ بن سيده، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى.

- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، لمحمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- المرشد في الوقوف على مذاهب القراء، لأبي محمد الحسن العماني، تحقيق هند بنت منصور العبدلي، رسالة ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.
- مرشد القارئ إلى تحقيق المقارئ، لابن الطحان السُماتي، تحقيق د. حاتم الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة، ٢٠٠٧م.
- المستنير في القراءات العشر، لابن سوار البغدادي، تحقيق د. عمّار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ١٤٢٦هـ.
- المستوفى في النحو، لكمال الدين أبي سعد علي بن مسعود الفرخان، تحقيق د. محمد بدوي مختون، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، لأبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، تحقيق د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ١٤٣٨هـ.
- المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب، د. عادل إبراهيم أبو شعر، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ١٤٣٦هـ.
- معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، لأبي علي محمد بن المستنير قُطُرب، نسخة خطية من الزاوية العثمانية بطولقة ولاية بسكرة، الجزائر.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- المفصل في علم العربية، لمحمود بن عمر الزُخشي، تحقيق د. فخر صالح قدارة، دار عمّار، عمان، ١٤٢٥هـ.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين ود. محمد البنا ود. عياد الثبيتي ود. عبد المجيد قطامش ود. سليمان العايد ود. السيد تقي، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٨هـ.

- المقدمة الجزوليّة في التّحو، لأبي موسى الجزوليّ، تحقيق د. شعبان عبد الرّحمن محمّد، القاهرة، ١٩٨٨م.
- المقرّب، لابن عصفور الإشبيليّ، تحقيق أحمد عبد السّّار الجوّاريّ وعبد الله الجبوريّ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦م.
- من أسرار اللغة، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٨م.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لابن أبي مريم نصر بن عليّ الشّيرازيّ، تحقيق د. عمر حمدان الكبيسيّ، الجماعة الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم بمجدة، ١٤١٤هـ.
- التّشر في القراءات العشر (منهج ابن الجزريّ في كتابه التّشر، مع تحقيق قسم الأصول)، لابن الجزريّ شمس الدّين محمّد بن محمّد، تحقيق السّالم محمّد الشّنقيطيّ، رسالة دكتوراه في كليّة أصول الدّين، جامعة الإمام محمّد بن سعود، الرّياض، ١٤٢١هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدّين السيّوطيّ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت، الطّبعة الأولى.
- الواضح، لأبي بكر الزّبيديّ، تحقيق د. عبد الكريم خليفة، الجامعة الأردنيّة، عمّان، ١٣٩٦هـ.
- الوجيز في شرح قراءات القراءة الثّمانية، لأبي عليّ الحسن الأهوازيّ، تحقيق د. دريد حسن أحمد، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٢م.

- **Singh, H.**, (2003). "Leveraging Mobile and Wireless Internet", Retrieved 14, January 2005 from:
<http://www.learningcircuits.com/2003/sep2003/singh.htm>
- **Thorne, K.** (2003). Blended learning: How to integrate online and traditional learning, London: Kogan Page.
- **Ulbricht, F.**, & Martens son, P. (2011) 'Special Issue on knowledge development and the Net generation', International Journal of Socio-technology and Knowledge Development.
- **Unzueta, C.** (2011) .The use of computer graphic organizer for persuasive composition writing. PhD. Dissertation. Florida International University.
- **Willemse, J.** (2015). Undergraduate nurses reflections on WhatsApp use in improving Learning
- **Williams, A.**, & Hancock, P. (2012). The impact of online lecture recordings on students' performance. Australasian Journal of Educational Technology, 28(2), 199-213.

- **Omar, M. A.** (2016). Improving reading comprehension by using computer-based concept maps: A case study of ESP students at Umm-Alqura University. *British Journal of Education*, 3 (4), 1-20.
- **Parker, S.** (2013) The write way: graphic organizers and responses to literature writing. Unpublished MA thesis in Education. California State University, Sacramento.
- **Raiman, L., Ant -bring, R., & Mahmoud, A.** (2016). WhatsApp messenger as a tool to supplement medical education for medical students on clinical attachment. *BMC Medical Education*, 17 (1),
- **Ramble, P. & Chipunza, C.**(2013). " Using mobile devices to leverage student access to collaboratively generated resources: A case of WhatsApp instant messaging at a South African university"..
- **Rich, S. & Hilbert, K.** (2004). Designing an online course for distance education course instructors and authors. *Proceedings of the 20th Annual Conference on Distance Teaching and Learning*. University of Wisconsin, Madison, Wisconsin, Aug 4-6, 2004.
- **Riyanto, A.** (July 2013). " English language Using WhatsApp Application". , Love for All, Hatred for None. Word Press, the Splendid Theme.
- **Rogers, J.** (2000). Communities of practice: A framework for fostering coherence in virtual learning communities. *Educational Technology & Society*, 3(3),
- **Scott, B. & Vitale, M.** (2003). Teaching the writing process to students with LD. *Interventions in School and Clinic*, 38(4), 220-226.
- **Selwyn, N.** (2012) 'Social media in higher education', The Europa world of learning.
- **Serrate, K.** (2012) Prewriting strategies and their effect on students' writing: [http://fisher.pub.sjfc.edu/ education_](http://fisher.pub.sjfc.edu/education_).

- schools; A Report to Carnegie Corporation of New York, Washington DC: Alliance for Excellence Education.
- **Jeong, W.** (2007). 'Instant messaging in on-site and online classes in higher education'. *Educes Quarterly*, vol. 1, 30-36.-392.
 - **Johnston, M. & Darzi, A.** (2015). Smartphones let surgeons know WhatsApp: an analysis of communication in emergency surgical teams. *The American Journal of Surgery*, 209(1), 45-51.
 - **Carpets, K.** (2003). Improving organizational skill through use of graphic organizers. MA Thesis. Saint Xavier University.
 - **Kejdar, S.** (2005) Whole-class enquiry: Language Arts. *Learning & Leading with Technology*, 32 (8) 52-55.)
 - **Lancaster, K.** (2013). An examination of using graphic organizers to teach writing: A case study. ELE 5900. Eastern Illinois University.
 - **Markley, D., & Jefferies, D.**(2001) Guidelines for implementing a graphic organizer. *The Reading Teacher*, 54(4) 35-357
 - **Marshy, M. and Hemata-badi, S.** (2011) Using teacher and student developed graphic organizers as a writing tool. *Journal of Language and Translation* (2) 79-88
 - **Seagraves, R. & Young L.** (2005). The writing process: Three first grade teachers and their students reflect on what was learned. *Reading Psychology*. 26: 235-.
 - **Miller, S. (2011).** Using graphic organizers to increase writing performance MA thesis
 - . State University of New York at Fredonia.
 - **O'Dowd, G. V.** (2008). Building a Medical Vocabulary: A Guide for Medical Students.
 - **Omar, M. A.** (2014). An Investigation into the Reading Strategies of ESP Students in the College of Medical Sciences at Umm Al-Qura University. *Umm Al-Qura University Journal of Languages and Literatures*.

- **Brown, J.** (2011). Growing up: Digital: How the web changes work, education, and the ways people learn. *Change: The Magazine of Higher Learning*, 32 (2), 11-20
- **Brown, M.** (2011) Effects of graphic organizers on students' achievement in writing process. Online Submission to ERIC.
- **Browne, P.** (2015). Smart-phone and medical app use amongst Irish medical students: a survey of use and attitudes.
- **Chan, L.** (2005). Web CT revolutionized e-learning. *UBC Reports*, 51(7).
<http://news.ubc.ca/ubcreports/2005/05jul07/webct.html>
- **Chen, L.** (2013). Improving teachers' teaching with communication technology. *Journal of Educational Technology Systems*, 40(1), 35-43.
- **Cheston, C., & Chisholm, M. S.** (2013). Social media use in medical education: a systematic review. *Academic Medicine*, 88(6), 893-901. Chicago
- **Chohan, S.** (2011). Any letter for me? Relationship between an elementary school letter writing program and students' attitudes, literacy achievement and friendship culture. *Early Childhood Education* 39(1) 39-50.
- **Comrie, C.** (2015). International student experience report. N/A.
- **Echeverria, A., & Vasquez, A.** (2011). Face-to-face collaborative learning supported by mobile phones. *Interactive Learning Environments*, 19(4), 351-363.
- **Gillingham, M. G. & Topper, A.** (1999). Technology in teacher preparation: Preparing teachers for the future. *Journal of Technology & Teacher Education*, 7(4), 303-321.
- **Graham, S.** (2006) Writing. In Alexander A. & P. Wine (Eds.) *Handbook of Educational Psychology* (pp. 457-477) Mahwah, NJ.
- **Graham, S. & Perin, D.** (2007) Writing next: Effective strategies to improve writing of adolescents in middle and high

References:

- **Fattah, S.** (2015). The effect of designing a blended learning program for developing secondary school writing. PhD thesis, faculty of Education, Ain Shams University.
- **Amry, A.** (2014). The impact of WhatsApp on the achievement and attitudes of female students. *European Scientific Journal*, 10(22).
- **Anastopoulou, S., & Wright, M.** (2012). Creating personal meaning through technology-supported science across formal and informal settings. *International Journal of Science Education*, 34(2), 251-273.
- **Anderson.S.** (2006) "Modes of interaction in distance education: Recent developments and research questions"; Moore, M. G. &Anderson, W. G. (eds.), *Handbook of Distance Education*; Lawrence Erlbaum Associates, N. J.
- **Attewell, J.** (2005). *Mobile technologies and learning*. London: Learning and Skills Development Agency, 2 (4).
- **Banafi,N.**(2016) The Impact of Blended Learning on medical students' engagement and achievement with English language terminology .
- **Barhoumi, C. & Rossi, PG.** (2013). The effectiveness of the instruction oriented hypertext systems compared to direct instruction in e-learning environment. *Contemporary Educational Technology*, 4(4), 281-308.
- **Bere, A.** (2012). A comparative study of student experiences of ubiquitous learning via mobile devices, and learner management systems in a South African university. In 2012 Conference.
- **Berger, C.,**(2001). Wireless: Changing teaching and learning "Everywhere, Every time", *Educes review*, January/February, 2001, pp.58-59.

- 3- Developing teachers' and students' technological knowledge based on the "Educational Technology Integration Framework." Such knowledge can be developed through regular training courses on how to utilize these smart tools in language learning and teaching.
- 4- Creating environments that allow students and faculty to integrate social media and face-to-face teaching into the training and learning environment by arranging regular work- shops and forums.
- 5- Conducting regular surveys that gather information about student and teacher attitudes towards technology and digital self-efficacy.
- 6- Creating Wi-Fi connections throughout the University and make it available round the clock for students' and teachers' use.
- 7- Adopting different smartphone applications in teaching other language skills like listening and speaking through exchanging learning materials between students and teachers.
- 8- While using smartphone technology to enhance their teaching practice, teachers should try to give students more choices, responsibilities and opportunities to interact freely with each other. Even though it is not easy for teachers to apply new activities and tools in the classroom, they should improve their technical skills and get familiar with the smart tool applications to meet these challenges and satisfy the needs of the Net Generation.
- 9- This study has dealt with a mixed sample of males and females and proved that smartphone applications are effective in teaching writing to all these subjects. Future research, however, needs to investigate the efficiency of such applications in teaching writing to each gender alone.

These important educational applications nominate the smartphone to become a distinguished academic, social and technological tool that may help in developing students' writing ability, provide a social platform for students' collaborative learning and interaction, improve their positive attitude towards the English language, build students' confidence and interest in writing, and , last but not the least, foster their autonomy. However, this move towards these innovative technological devices in teaching English is not without its shortcomings. As it is the case with other academic endeavors, this move comes with benefits and challenges, but these challenges should not hinder educators and language instructors from modernizing their language instruction techniques. These challenges can be addressed with proper planning, careful implementation and reflective assessment together with wise guidance and supervision that result in collaborative, meaningful interactions created in the cyber world (Shang, 2007). With the massive and radical changes brought by globalization and modernization in various aspects of human life, the arena of English language teaching has to adjust to the challenges and the demands of **The Net Generation** if it aims to be relevant and responsive to the needs of the 21st century learners.

Recommendations:

In light of the findings of the present study, the following specific recommendations can be forwarded to increase the benefits of using smartphones in teaching English writing to medical students. These may include:

- 1- Formally adopting smart tools and other technical devices as part of the language teaching programs and syllabus design. This policy may include a reward system to encourage effective and sustainable use of such technology.
- 2- Providing staff with a curriculum plan and instructional activities based on smartphones that allows for the implementation of social media in and outside the classroom to maximize learning opportunity for students.

that adopting WhatsApp in teaching and learning processes can improve language skills and help students to develop positive attitudes towards foreign language learning. .

Conclusion:

From the results of this research, it can be concluded that smartphones are modern effective instruments that could be used to develop the students' writing ability and help them to promote positive attitudes towards learning this essential skill. The use of such smart tools with a group of premedical students at the Sudan University of Science and Technology seems to have a significant positive impact on students' writing achievement as well as on their attitudes towards this skill. Indeed, it is found that the participants' mean score in writing has increased from (45%) to almost (69 %) with a difference of (24%). Advanced statistical analysis proved that this difference between the two mean scores is significant at 0.01. Furthermore, the participants' attitudes towards writing have changed dramatically. The students started to view writing as easy, exciting and interesting after they were given the opportunity and the freedom to use their smartphones inside and outside their classroom to back up their writing learning processes.

This finding highlights the importance of utilizing modern technology in teaching present time generations. Mobiles, in particular smartphones, which have become as essential elements of today's students' properties, are widely used now by almost all students in handling different affairs of their everyday life. In fact , these tools are used by today's students for personal communications, entertainment, marketing, paying bills and more particularly in learning. These smartphones are easy to carry, and have the same functions as larger computer devices. Numerous applications can be uploaded on these phones that can help in English language learning. Thus, applications such as free PDF books and articles, vocab, advanced grammar, spell checking and proofreading can easily be used by current university students to back up their language learning process.

suggest that collaborative learning through social networking (Facebook, WhatsApp, etc.) will have positive impacts on the learning process and, hence, on students' attitudes towards learning and on their academic achievement.

In fact, the results of this study are supported by the cognitive learning theory which suggests that discussion among students, even on social networks, would have a cognitive value that provides the students with the opportunity to construct and share knowledge and then attain good results in academic tests. Online learning through discussion forums, says Chan (2005) improves the effectiveness of learning, solves learning difficulties and enables construction and sharing of knowledge, and these benefits seem to have been fully realized in this current study.

Gillingham & Topper, (1999) consider online learning techniques as effective tools both for developing an understanding of a concept and for enhancing cognitive performance of the students. Other researchers in this field confirm that social learning through discussion forums, mobile devices, and so on creates and fosters the modern learning communities (Rich & Hebert, 2004). It is taken for granted that online communication among students and their instructor, as it occurred in this study, has created an affective learning environment and helped to improve the study sample writing ability.

It is interesting to note that the results of this study agree with a number of other studies. Chief among these studies is the one by Abdul-Fatah (2015) who assures that mobile phones are important learning tools that contribute to the success of students in language learning. At another level, this study goes on to confirm Amry's (2008) research findings which highlight the importance of mobile device as a language learning tool and predicts that this modern device would soon supplement or even supplant traditional techniques and methods. This study is also in harmony with Riyanto (2013) who studies WhatsApp Messenger impact on students' achievement in foreign language learning. He finds out

Discussion:

This study has shown that the use of smartphone applications and social media can act as an effective tool to teach English writing to medical students. In this study, it is clearly demonstrated that the use of these smart tools as social media platform has improved both the students' writing performance and their attitudes towards this important academic skill. However, to get the maximum benefit of this intervention, these tools should be used more carefully and wisely and in a creative manner. Students are more likely to benefit more by these tools if they are naturally and systematically blended and integrated into face-to-face teaching contexts. There are indeed many social media applications that could make learning much more interesting and fruitful.

The findings of this study have particularly affirmed that smartphones technology can enhance students' active participation and engagement in learning inside and outside the classroom. Smartphones can provide students with an opportunity for practicing the language, for free, for a longer time that extends beyond classroom hours and helps these students to create more personal and intimate relationship between themselves and their instructors. These modern smart tools could give a chance for students to be more sociable and better learners, and give them an opportunity to relate their opinions to those of others.

The use of these smartphones by students during the **Experimental Phase** has obviously helped to enhance students' achievement in writing. The researcher believes that this happens because the instant messaging and feedback through smartphones make learning easier and resolve learning difficulties related to the learning process or to learning content. Omar (2016) assures that social interactions improve the effectiveness of learning and teaching and this advantage helps students to construct and share knowledge through social networking and eventually leads to positive attitudes towards learning. Gillingham and Topper (1999)

asked the same question after the smartphone intervention (61%) ranked this skill as easy. At another level, when these students were asked about their feeling when it was time for writing, only (13.8%) of the participants said they felt excited when it was time for writing. However, after the intervention more than (69%) of the participants said they felt excited when it was time to write. Before the smartphones application, only (14%) said writing was fun and (58 %) said it was boring. This feeling towards writing had changed dramatically after the smartphone intervention and almost (67%) rate writing as fun and only (11%) said it was boring.

The above data can be cited to verify and accept the second hypothesis of the study which assumes that the use of smartphones and social media can positively impact the student's attitudes towards writing.

The same data can be used to answer the second question of the study which asks: "What is the impact of using smartphones on students' attitudes towards writing? Obviously, the use of smartphones and social media had a positive impact on students' attitudes towards writing as well as on their performance in this skill.

Results of the Attitude Survey:

As mentioned earlier, the **Attitude Survey** was administered twice once before and once after the participants were allowed to use their smartphones and social media applications while learning writing. Responses to the survey questions were compared and summarized in the table below:

Table 2: Results of the Writing Attitude Survey

NO.	Statement	Response		
1	How do you rate writing in terms of difficulty?	Easy	Difficult	Medium
	• Before using smartphones	12	17	7
	• After using smartphones	22	8	6
2	How do you feel when it is time for writing?	Excited	Nervous	Neutral
	• Before using smartphones	5	18	13
	• After using smartphones	25	5	6
3	Do you think writing is fun or boring?	Fun	Boring	Not sure
	• Before using smartphones	5	21	10
	• After using smartphones	24	4	8
4	Do you often try your best to accomplish your writing task?	Yes	No	Sometimes
	• Before using smartphones	12	11	13
	• After using smartphones	26	5	4
5	What is the most difficult part of writing for you?	Planning	Writing	Organizing
	• Before using smartphones	10	18	8
	• After using smartphones	12	13	11

The above data which were generated through the **Attitudinal Survey** can be used to verify the second hypothesis of this study which states that the use of smartphones and social media will positively impact the attitudes of students towards writing. This is clearly shown in the students' responses which had changed radically after they were allowed to use their smart tools as instruments to support their writing process. For instance, when the participants were asked to rate writing in term of difficulty, almost half of the participants ranked it as difficult, but when they were

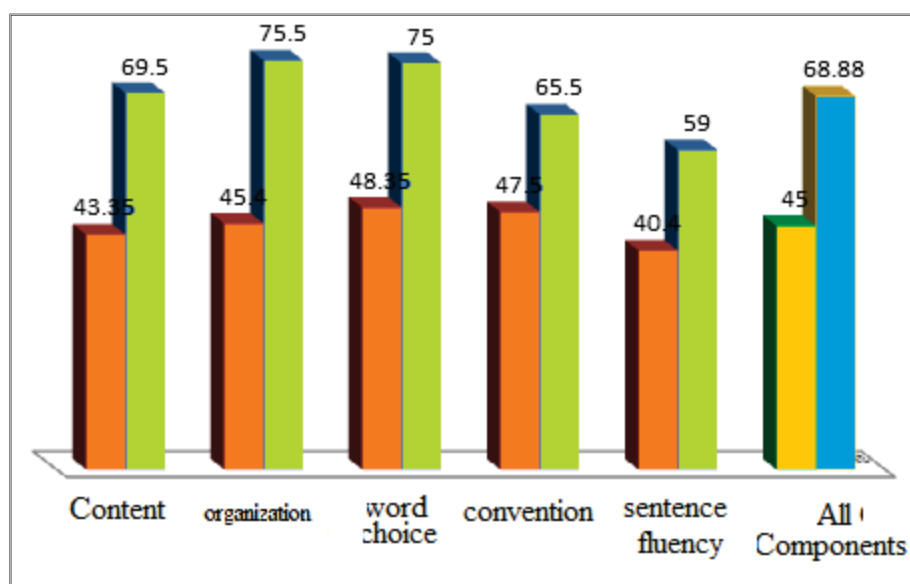
Table (1): shows the Means, SD and T-value of the group before and after the students used their smartphones

Group	N	M	SD.	T-value	α -Co-eff.	Sig. level 0.01
Before intervention	36	45	1.84	7.073	.000	Sig. at 0.01
After intervention	36	69	0.83			

The data in the above table reveal that the obtained t-value is 7.073 which is well above the limit of 0.01 of significance. This means that there is a significant difference between the scores of students at the **Baseline** and after the **Experimental phase** in favor of the intervention.

This result can be cited to verify the major hypotheses of the study which states that students' writing ability will significantly improve as a result of using smartphone applications and social media to support their writing process.

This same result can be used to answer the main question of the study which inquires about the impact of using these smart tools on teaching writing to premedical college students at The Sudan University of Science and Technology. It is obvious that these tools have helped the students to improve their writing ability.



Without smartphones  with smartphone 

Figure 1: A Graph for the mean scores in writing with and without smartphones intervention

The above graph reveals that the mean score for writing has increased in four of the five components of writing after the intervention; however, the maximum increase is found to be in organization reaching (75.5%) instead of (48%) ,followed by the score in word choice which reached (75%) instead of (48.5%). The overall mean score for writing after the participants had been allowed to use their smartphones increased significantly to approach (69%). It was only (45%) before intervention. The difference between the average scores in writing of students before and after they were permitted to use their smart tools is almost (24%).

However, for more accurate results, and to show if this difference is significant, a t-test is performed using SPSS computer program version 20.

good performance, three for average, two for below average, and one grade for poor performance. The total score of each participant in each component could range from twenty to five. Percentage wise, each student's score could range between (100%) and (20%) in each component.

Results:

The objective of this action research is to investigate the effects of smartphone and social media applications on students' writing performance as well as their effect on the students' attitudes towards this essential language skill. Data were mainly generated through writing rubrics that evaluate students' writing sample's before they used their smart tools compared to their writing performance after they completed a seven-week period of intervention during which the subjects used smart tools to aid them in handling their writing tasks. Another instrument used to collect data for this study is the **Attitudinal Survey** which was intended to gather information about the participants' feelings towards writing before and after the intervention. The scores of the participants' in writing before and after they were permitted to use the smartphone applications are shown in **figure 1** below: The figure shows the participants' level of performance in the five components of writing according to the rubrics suggested by the Georgia Department of Education.

the six units taught during the **Experimental phase**. In this test, the students were asked to write a three-paragraph essay in which they discuss the advantages and shortcomings of teamwork in a hospital setting.

Before they start doing their test, the participants were reminded to follow the writing procedures that they had studied during the previous weeks. More specifically, they were reminded to plan, draft, edit and revise their writing. They were also reminded of the importance of writing mechanics such as punctuation, correct spelling, use of suitable linking words, and proper organization.

The same procedures of evaluating the test given at the end of the **Baseline phase** were followed to assess the students' performance at the end of the **Experimental phase**. The students' scores were then averaged and recorded to represent the students' writing ability after the intervention.

In the same session, the writing **Attitude Survey** was administered once more. As mentioned earlier, this is a close-ended survey which aims to collect data about the participants' perceptions and feelings towards writing after the smartphone intervention to see if there were any changes in students' perception of writing which could be attributed to the intervention.

Data analysis:

To collect data for this study, the researcher used two instruments: a **Writing Rubric** and the **Attitude Survey**. The writing rubric, which was designed by the Georgia Department of Education, was indorsed, after some modifications, to evaluate the students' writing performance before and after the intervention. This rubric assesses the participants' writing in five areas: content, organization, word choice, sentence fluency and mechanics. Two well-trained raters assess the writing samples. Their inter-rater reliability is as high as (83%). In each writing component, a student could receive five grades for distinguished performance, four for

under the guidance of the instructor. This would continue to the end of the first session. Hence, the students were asked to resume their work outside the classroom and complete writing their drafts at home where they could manipulate their smartphones more freely and share their products with their colleagues.

In the second meeting of each week, the students finished the brainstorming process. Then they continued reviewing their drafts and required to go through the content of their writing, looking for improvement based on the instructions they received from the instructor before starting their writing process. The students had to clarify, add, delete, or even reformulate the whole draft in order to fit the intended purpose. At this stage, participants were encouraged to use their smartphones to share information and practice self-and-peer corrections.

In the same second session of the week, students were asked to purify their final drafts by examining the mechanics of writing, such as spelling, punctuation, writing format, grammatical rules, etc. At this stage students were genuinely encouraged to resort to their smartphones and use their different applications such as vocab, advanced grammar, spell checking and proofreading to improve their drafts.

In the last part of second session of each week, the students were asked to publish their writing tasks and share them on “**Medical Writing Group**” on WhatsApp. Each member of the group published his/her own paragraph in the group. After that the students practiced peer corrections for their final writing assignment under supervision of the instructor, and at the end of this session; the instructor discussed notes related to the students’ writing mistakes especially those related to punctuation marks, use of linking words, and organization.

The post-test and the Attitude Survey:

At the end of this phase, i.e., in the seventh week, the participants are subjected to a test based on the topics covered in

of the writing processes with support of smartphone applications during this phase. These processes were to be conducted through a number of stages:

In first meeting of this **phase**, the instructor made sure that all participants had their smartphones with WhatsApp Messenger already installed on them together with other applications such as as free PDF books and articles, Vocab, Advanced Grammar, that can be used to enhance the writing skill. The participants were instructed to create a group on WhatsApp called “**Medical Writing**”. The instructor was a key member in this group, but the leader of the group was one of the students selected and nominated by his and her colleagues. Each week, the students had a specific topic to write about. The writing topic is commonly based on the unit covered in that week. This meant that the participants would come to write after listened to, read about, learned vocabulary relevant to the topic of the writing task. The writing topic is often given in the form of a title that specifies the issue to write about. Then each student in the group was asked to write his own ideas about the selected topics in the group. The students worked together and kept on generating ideas for the suggested topics. They were asked to exchange these views on the WhatsApp Group and use their different smartphones applications such as Google, Wiki, and others that could help them find words and more ideas to increase their knowledge of the designated topic. All these ideas and views were shared in the group and closely followed by the instructor who provides regular feedback, encouragement and support.

In the first session of each week, the concentration was on generating more ideas through using brainstorming and gathering information. These ideas were uploaded on the WhatsApp group. At this drafting stage, the students were informed that the mechanics and surface structure such as spelling, punctuation, and sentence construction should not be a subject of all their attention. The priority is for building knowledge and generating ideas. This stage was mainly focused on recording ideas on the WhatsApp

The Experimental phase:

This phase started in the eighth week of the term and lasted for seven weeks as well. Each week, the writing instructor meets twice with the students as before on Mondays and Thursdays from 8 to 9:40 a.m. During this period the students covered the rest of the units in the book.

Introduction of smartphone applications:

In the first meeting of this phase, the participants were carefully introduced to the idea of using smartphones and social media as educational tools to support learning writing. They were informed that they would be allowed to use these smart tools inside and outside their classrooms. The participants received this news with great enthusiasm and happiness. They were then asked to make sure that they had already uploaded some necessary applications on their smartphones. The applications recommended include the WhatsApp, Facebook, the Oxford Dictionary, The Spell Check, Google, Wiki, Free PDF books and articles, Vocab, Advanced Grammar, Proofreading and some other applications that could help in handling the writing process.

The teaching of writing was then resumed in its blended version format. During this phase the participants had studied the remaining units from the same book, **English for Medicine**. These include units Unit 7: Parents and young children, Unit 8: Working in psychiatry, Unit 9: Terminal illnesses and dying , Unit 10: Working in a team, , Unit 11: Renal, and Unit 12 : Coronary. .

The instructor followed the same steps in teaching the writing sections as it was the case during the **Baseline Phase**; however, the participants were given the freedom, this time, and encouraged to use their different smartphone applications to help them during the performance of their writing tasks and assignments.

In the first session of the **Experimental Phase**, the instructor illustrated how the participants could undertake the various stages

each week, the focus was on prewriting and drafting. This was done after the students had covered the listening, the reading and the speaking skills in previous sessions during the same week. Grammar and vocabulary together with relevant medical terminology were all covered before students came to deal with the writing skill. The writing procedures were carefully highlighted and continued in the second session of the same week. In this stage the students revise, edit and finally publish their writing assignment. All these stages were performed under the direct supervision of the instructor in a face-to-face mode of instruction. This process continued for the six weeks of the **Baseline phase**. In the 17th week, a test which was intended to measure the students' writing ability was administered.

In this test, the students were asked to write a referral letter in which they referred a patient to a university hospital for further checkups and medical tests. The subjects were given 45 minutes to complete this task. Before they started doing their writing test, the participants were reminded to follow the writing procedures that they had studied during the previous weeks. More specifically, they were reminded to plan, draft, edit and revise their writing.

In the same session, the participants were given the writing **Attitude Survey**. This was a close-ended questionnaire intended to collect some information about the participants' perceptions and feelings towards writing before the smartphone intervention. This survey would be given to the participants once more at the end of the experiment.

The test papers were collected and handed over for evaluation. This was done by two qualified instructors using the writing rubrics chosen for this study. The raters were trained on how to apply the writing rubrics. Their inter-rater reliability was quite high reaching (83 %). Each participant's paper was scored twice, once by each rater. These scores were then averaged and recorded to represent the students' writing ability before intervention.

department of psychology at Khartoum University and used to measure students' attitudes towards language learning.

A few weeks before the study, the researcher got the necessary permissions to conduct this research. The selected group members were informed about the experiment and asked to sign a consent form showing their approval to take part in this study. This was done after the researcher had explained the possible benefits of the intervention. All necessary arrangements were made to see to it that the experiment would not disrupt the regular class timetable. The researcher made sure that all students had smartphones loaded with the necessary applications. The group members were then asked to start their intensive ESP program which was assigned 14 hours a week. Four out of these fourteen hours were ear-marked for teaching writing and the remaining 10 hours were allocated to teach other language skills, i.e., reading, listening, speaking and grammar.

The Baseline phase (weeks one to seven):

This began on the 5th of January 2016; after all necessary arrangements were made. This stage lasted for seven weeks during which the assigned instructor met twice each week with the participants and each meeting lasted for about 90 minutes. The meetings or sessions were scheduled on Mondays and Thursdays from 8.00 a.m. to 9.40 a.m. During this phase, the participants were taught the writing skill through the traditional face-to-face mode of instruction. The students were taught six units from a textbook entitled **English for Medicine**. These include: Unit: 1-Presenting complaints, Unit 2- Working in general practice, Unit 3- Medical instruction and procedures, Unit 4-Dealing with medication 5: Parents and young children, and Unit 6: Working in psychiatry., In teaching the writing part of each of these units, the instructor strictly followed the five stages commonly indorsed in teaching this skill. These stages are outlined as prewriting, drafting, revising, editing, and publishing (Miller, 2011). During the first session of

Group 4 which constituted the sample of this study included 36 subjects (20 males and 16 females) with their scores in the placement test varying between (48%) and (59%). The majority of them were Sudanese nationals living in Khartoum, the capital city of the Sudan. Their ages range between 17 and 19 years, and they were all native speakers of Arabic except for two students who came from neighboring African countries. Each student had studied English for at least 6 years before joining the university.

The study took place in the Medical College premises at Sudan University of Science and Technology. This college has three two-story high buildings; each building encompasses 10 classrooms and laboratories. Classes are equipped with some educational aids and each class is designed to accommodate a maximum of 40 students. There is a desk for each student and a control desk for the instructor. The classes are well ventilated, well lighted and supplied with ceiling fans, but no air-conditioners.

Procedures:

This study (a within-subject-design) consisted of two phases. These were the **Baseline Phase**, and the **Experimental Phase**. It was carried out during the second term of the academic year 2015-2016. It began on the 5th of January 2016, and continued for fourteen consecutive weeks, with seven weeks for each phase .

Data sources and research material:

The study used two major instruments for data collection: a **Writing Rubric**, and an **Attitude Survey**. The writing rubric is based on The Georgia Department of Education Scale. It was selected and modified by the researcher to assess the various components of medical writing.

The second instrument used in this study is the **Attitude Survey**. This survey was intended to measure the students' attitudes and feelings towards writing and their perceptions of the writing task. This survey was initially designed and validated by the

offered the opportunity to practice writing under stress-free conditions, they become more comfortable and confident in their writing process.

Seagraves, Thacker, & Young, (2005) confirm that teaching writing via non-traditional methods, such as social media platforms is stress-free and interesting because it gives the students' the opportunity to work on their writing tasks at their own pace and at the time that suits them best. The students also have the chance to seek help from others to whom they are linked in the cyber world to improve their writing performance. Lancaster (2013) assures that the use of smartphones applications in teaching is one way to create a learning atmosphere where students love writing. Through effective manipulation of these modern tools, teachers can prevent writing failure and students' frustration, and hence, these students are more likely to develop positive attitudes towards this skill.

Method of study:

Participants and setting

The participants of this study are the students of one group (group 4) which was randomly assigned to be taught by a qualified English language instructor who is also an expert in e-learning. This selected group was one of seven other groups that form the total population of the premedical students at Sudan University of Science and Technology. They were admitted to the college of medicine after they had completed their secondary education with high Grade Point Averages during the academic year 2014-2015. The researcher had no control over who of the students were going to be assigned to this class, as the academic coordinator of the English Language Department prepares all class lists. The total population of students in all groups was 239 male and female students. All members of this population were subjected to a placement test designed by the College of Languages and Translation. The number of students in each group ranged between 35 and 38.

Bearing in mind the importance of writing for medical students, and the possibility of utilizing these smart tools to augment or reinforce the teaching of this crucial language skill, the researcher becomes interested in finding out whether the use of these techniques would have any effect in improving the writing ability of pre-medical students at Sudan University for Science and Technology. Furthermore, the researcher would like to find out if the use of such technology would have any influence on the students' attitudes towards writing.

Students' attitudes towards writing:

The ability to write clearly, consciously and efficiently is important to achieve academic success. However, many students have limited writing abilities and struggle to write compositions or reports that adequately convey their thoughts and ideas (Unezueta, 2009). Indeed, the writing process can be very difficult to master and actually, many students are classified as low achievers in this skill. This situation is quite frustrating and leads many students to develop negative attitudes towards this essential skill.

Nevertheless, educators can play a major role in helping students overcome this problem. For instance, teachers can provide students with interesting, authentic and meaningful writing experiences through the use of some innovative techniques (Chohan, 2011). When these types of experiences are provided for the students, they become more engaged and interested in their learning. According to Chohan (2011), writing is better learned when students are engaged, helped to organize their thoughts, and allowed to express their own experiences in stress-free environment. It is believed that utilization of modern E-learning tools could make this type of engagement quite possible.

Lancaster (2013) reports that when students have the chance to participate in writing workshops and use a variety of social media applications, writing becomes interesting, meaningful, creative and more enjoyable. Furthermore, when learners are

2015). Such studies find that this traditional approach in which the teacher acts all alone in the class as a fountain of knowledge and his/her students act as passive recipients of instruction is barren and frustrating (Omar 2015).

Some of these studies recommend that teachers should provide learning experience in risk-free settings and provide continuous positive feedback to students for greater chances to develop writing skills (Brown, 2011). Other researchers in the west propose that teachers should provide step-by-step instruction for struggling writers (Kajder, 2005). Others claim that building positive classroom experiences for learning is of paramount importance for learning writing successfully (Brown, 2011). However, a wide spectrum of research has investigated and recommended the use of online programs and nominated Social Media Network Tools as a new trend to augment the teaching of various writing skills (Parker, 2013).

Integration of smartphones application into face-to-face teaching:

Due to advancements in technology, social networks have been created to foster web-based learning. It is clearly demonstrated that integrating mobile learning into classrooms face-to-face instruction can lead to significant changes in the traditional approach and yields much better results. Miller (2011), for instance, states that the use of social network tools can stand as strong support for teaching medical English writing. Other researchers find that social media tools can comfortably be used in different educational settings and that their use may have positive impact on students' learning outcomes (Cheston et al, 2013). In fact, different social networking sites not only work as tools that allow for long-range informal communication and association, but can be a method for learning based on input , output, and flexible social practices (Chen, 2013).

protein, fats, fibre, and water. Such data are imported into the system that calculates and analyses patients' data and presents the results graphically along with suggested adjustments.

Browne et al. (2015) assess the attitudes of 52 medical teachers towards using smartphone for teaching purposes. The findings of the study reveal that this smart tool is a supplement element that accelerates and facilitates the learning process.

In another study, Johnston et al. (2015) use Facebook as an official learning tool for medical students from 8 a.m. to 8 p.m. for 19 weeks. The data analysis shows that Facebook can help to store communications and allow medical students to engage in conversation with one another. This application platform is designed to allow for simple communication and this feature has helped to make it an effective teaching and learning tool.

Raiman et al. (2016) study 19 students taking surgical medicine at the Princess Alexandra Hospital via WhatsApp. The teaching process begins with an introductory session where the teacher explains WhatsApp and its features to the students. The group meets weekly in person and on WhatsApp to discuss course topics. These meetings are run using the medical school's expectations for structure and content of a Problem Based Learning (PBL) feedback session. The study findings show that WhatsApp has the potential to ease communication between doctors and students. It motivates students and, hence, creates learning opportunities and improves understanding and learning while also distributes learning resources instantaneously and equally.

New trends in teaching and engagement activities:

Teaching and learning used to depend on the traditional methods which involve teacher-centred instruction where teachers play the major role in leading class activities while students are the receivers of the instruction. Researchers have recently focused some studies on the idea of "spoon-fed approach" where the teacher is the only one responsible person for class learning (Comrie,

experience more informal and can lead to increased students' self-confidence even in cases of hesitant, shy learners (Attewell, 2004).

Jeong (2007) claims that most higher education institutions are willing now to use the smartphone as a teaching medium. The use of this tool for educational purposes proves its efficacy in improving learning different academic subjects and skills including English writing. Browne et al. (2015) conduct a study which reveals that Spanish learners benefit from the use of smartphone when learning English language skills. Furthermore, the study reports an increase in students' desire and interest in learning language. In Saudi Arabia, Amry (2014) finds that Smartphones influence students' learning performance positively. The results of her study shows that educational technology can significantly influence academic and educational processes and lead to higher students' scores in achievement tests. She also reports that the students feel more comfortable when using this application for learning.

Smartphones and Medical Education:

Currently, most medical students have smart devices that allow them to learn at all times (Browne et al. 2015). The use of smartphones in teaching medicine and medicine-related subjects has increased over the last decade as medical students and staffs come to realize that some mobile applications could enhance learning different medical topics and skills. Indeed, smartphones contain applications that allow students to read e-textbooks, store medical videos that develop skills, and allow downloading clinical reference guides (e.g. PubMed). They also have medical calculators (e.g. for TIMI Risk Index, Infusion Rate, Drug Dose calculations), disease dictionaries (e.g. Oxford), and medical terminology flash cards (Anderson, 2006). Anastopoulou et al. (2012) assure that mobile phones are very helpful in teaching medical students about health routine and habits. In this regard, medical students can use their mobile devices to record their patients' daily intake of sugars,

- c) Provides easy download of the application that can be used on all phone brands.
- d) Allows users to save offline messages when their phones are off.
- e) Provides students and teachers with free access as long as they have a Wi-Fi connection.
- f) The application can be used without having to insert a username or password each time the application is opened.

Facebook:

Willemse (2015) finds that the Facebook is an application that can boost students' reflective skills, something that is important for dealing with theoretical and practical issues. The author also finds that students who have different experience levels of learning using the Facebook discussion can all benefit from its application in language learning. Students' writing that reflects on this application shows that Facebook is beneficial for combining theoretical and applied knowledge in formal and informal settings. In addition, this application makes it possible to reach different learning resources, and to get assistance from other students or from their teachers.

Smartphones in Higher Education:

The use of social media has become a popular phenomenon in universities as it is found to increase students' engagement through discussion and to encourage sharing knowledge using various synchronous or asynchronous tools including short messages, videos, audio, and images (Echeverría, et al, 2011). Smartphones can be used as an instructive tool in the online community in a way that allows students to contact each other using group discussion after class. This application provides students with opportunities to maximize their learning time and allows them to catch up with class material instead of being forced to drop the course due to situations that force them to miss classes. Smartphones also make the learning

for this issue as it can lead to successful learning outcomes through provision of a variety of learning platforms and modes. Singh (2003) states that BL depends on integrating various modern tools with face-to-face instruction to allow teachers to create different activity types using, online learning, and self-paced learning approach.

During the past decade, smartphone applications have emerged to play the most vital role in moulding peoples' thinking, behaviour and mode of life. The smartphone plays this important role through a number of applications that include Twitter, Facebook, Hash tag, and WhatsApp just to mention a few. These applications seem to have gradually become the most popular and the most widely used in communication and for education purposes. In the following sections, some of these applications will be discussed since they represent the main focus of this study.

WhatsApp:

WhatsApp is a popular smartphone application used by over 480 million users across the world (Bere, 2012). It is based on the idea of using instant messages on a mobile application for communication. This idea is adopted by an American Company which spent \$8 million to develop this application until it was launched in 2009 to allow sending and receiving personal and group messages and calls. The main reason that this application becomes popular is its low cost and the possibility to have instant conversations with friends in relatively private settings (Barhoumi, 2015). According to Bere (2012), WhatsApp can be used as an educational tool because it has the following features:

- a) Allows users to share videos, messages, photos, and recordings using a multimedia platform.
- b) Offers students and teachers the chance to create chat groups of 50 members or more.

that their practices of instruction follow scientific based research and that they use the right teaching tools and aid to facilitate and enhance the teaching of this skill. Graham and Perin, (2007) specify the major principles of effective writing instruction. These involve providing support for recognition through (presentation), support for strategic learning through (the use of proper teaching and learning tools) and support for affective learning through (engagement and encouragement). Use of smartphones and social media, according to Banafi (2016) provides the teacher with tools and strategies that help him/her to adhere to all of the above principles, recommended by Graham and Perin, (2007), for effective teaching of writing.

Use of social media in teaching writing:

Thorne (2003) claims that social media applications can be utilized, in today's world, as a platform to meet the challenges of tailoring learning environment that fit the needs of individuals who belong to today's cyber world (The Net Generation). Smartphones with their different applications represent an unlimited opportunity to integrate the innovative and technological advances offered by online learning with the contribution offered in the best of the traditional face-to-face learning approach. As a result, this form of mixed approach or blended learning provides teachers and educators with a variety of educational tools to design courses that meet students' needs while taking into consideration their learning level and selecting the right technologies to allow them to get engaged and, hence, learn effectively (Thorne, 2003).

It is quite saddening to note that traditional approaches are still widely used and adopted to teach English and other subjects in this part of the world. Umar (2016) highlights the shortcomings of the traditional approach that relies on limited teaching modes and resources, saying that using one teaching channel may not provide students with sufficient learning opportunities such as involvement, interaction, and resources that meet the students' academic needs. A mixed or a blended learning (BL) approach is the best alternative

their educational ladder, and go from the secondary to post-secondary education. In this stage, she says, writing represents a key element that determines students' success. This is because students are generally required to express their learning in writing and on the basis of their written responses, their academic achievement is evaluated.

Singh (2003) acknowledges that academic writing is more demanding than other types of writing; it involves selection of particular items of vocabulary or terms to form sentences and phrases following conventional patterns to create essays or to write reports. Furthermore, academic writing needs prior knowledge of the topic of writing genre with its rules and writing format (Bere (2012). Generally, this type of writing is more developed than informal writing which one practices when he/she interacts with friends through personal letters or text messages. Academic writing has a particular purpose and it is composed in a more organized and coherent manner.

In spite of the importance of academic writing, many scholars and researchers admit that teaching and learning this skill is a complex and cumbersome process. Other researchers confirm that teaching writing is just as complicated as writing itself (Graham and Perin, 2007).

As a teacher of writing, the researcher acknowledges the difficulty and complexity of teaching English writing. This is clearly reflected in the scores of students in writing achievement tests. However, it should also be admitted that the traditional methods which are widely adopted in teaching this skill, in this part of the world, is one of the major causes for the poor level of the students' achievement in writing.

Effective writing teaching requirements:

Effective writing teaching requires the use of assistive devices to support and maintain the learning of this skill (Ulbricht, 2011). It is not enough for the teachers of writing to be highly qualified, but

Questions of the study:

This research is intended to answer two main questions:

- 1- What is the effect of using smartphone and its different applications on students' medical writing achievement?
- 2- How does the use of smartphone impact medical students' attitudes towards learning writing?

Significance of the Study:

This research is significant as it attempts to investigate the impact of smartphone and its various applications on medical students' writing performance at the University of Sudan for Science and Technology .It is significant as it checks the validity of using technology in a Sudanese setting. This study also tries to figure out how the attitudes of medical students in this region towards writing can be modified through the use of these smart tools in teaching this essential language skill.

Review of Literature:

The importance of writing

Attewell (1998) refers to writing as a way of life and as a sign of literacy saying that it is one of the most important inventions in human history. She explains that writing is a means to acquire and support knowledge, confirming that it is an important mode of communication through which life experience and personal views can be documented and shared. At another level, Graham and Perin (2007) describe writing as skill that draws on the use of signs to accomplish a variety of goals. They affirm that writing is a means of extending and reinforcing knowledge. They claim that writing acts as an effective tool for expressing personal experiences or reflecting on others' views.

Academic writing:

In the academic arena, Bere (2012) notes that the ability to write well becomes increasingly important as students move up

when they start their university education, says Ulbricht, traditional values on how to develop knowledge or how to acquire it conflict with their currently acquired values. Indeed, many of the teaching techniques that have worked for decades do not work anymore now because new students learn differently as Ulbricht explains. Members of The Net Generation are used to contact each other, work together, execute several tasks simultaneously, and they use the Web to perform these tasks and to ultimately acquire knowledge. So this current study is badly needed to meet the expectations of the current generations who want to use more advance techniques such as social media in their learning process. This study, therefore, attempts to investigate the effectiveness of using smartphone as a current innovative learning platform to enhance teaching (The Net Generation) the writing skill. The study is also needed to highlight the attitudes of this generation towards writing after using modern technology.

Hypotheses of the study:

Through the use of smartphones and social media to teach writing, it is hypothesized that:

- 1- Students' writing performance will improve significantly.

This hypothesis is based on the assumption that using smartphone with its wide range applications provides real support for new information, help to focus attention, organize information, select relevant vocabulary and offer a reminder and feedback, and help in revision and correction of written tasks .

- 2- Students' attitudes towards writing will become more positive.

This hypothesis is based on the assumption that these E-learning tools create an enjoyable learning atmosphere that enhances meaningful learning within stress-free atmosphere. Hence they serve to enhance individualized mode of learning, prevent frustration and boredom, and eventually improve performance and attitudes towards learning.

traditional teaching approaches has a negative impact on the students' English proficiency in general and on their writing performance in particular. This low performance in English is bound to reflect negatively on students' academic achievement. Graham (2006) notes that students who do not learn to write well are at a disadvantage throughout their academic period of study. At college level, Graham says where English is a medium of instruction, weaker writers are at risk; they are less likely to be able to express their learning to their instructors who often assess their performance through writing. Hence these students may fail their courses and consequently suffer academic delay, or even worse, failure and dismissal from college. To avoid such tragic consequences, English language instructors and educators are urgently invited now to look into this problem and develop or find teaching techniques and methods that may help Sudanese students of medicine improve their English writing proficiency.

Need for the study:

Selwyn (2012) states that research into online networking has proved that smartphones and their use as social media platforms have modified the nature of college students' needs and views towards learning. She claims that these smartphones with their website-links do not only serve as a means for long-range informal communications, but can also be used as an effective tool in education. Social and academic network sites are accessible through smartphones and these can be used by students and educators to exchange academic information, conduct instructive reviews and surveys, post questions, and share knowledge with peers (Bere, 2012). A few years ago, Tap Scott and Williams (2007) report that the new generation of learners are not content to be passive consumers of knowledge, they are strongly motivated by a desire for choice, convenience, customization, and they insist on designing, producing, and distributing knowledge products among themselves. Ulbricht (2011) believes that members of the Net Generation use the Web differently, and they learn differently. So

practice (Banafi, 2016). Quite recently, it is noticed that Arab learners and younger generations, in particular, have become more familiar with smartphone applications and use them to exchange information and engage in online discussions of different topics. This fact gives a message that these younger generations would be more expert in dealing with these smart online tools and use them professionally and perhaps positively to execute important educational tasks. Hence, the researcher has become interested in the practical uses of smartphones and felt optimistic that guided application of this platform will provide a solution for the problem of teaching medical English in general and its writing in particular. Indeed, of all language skills, writing is commonly rated as the most demanding and the most difficult to master. Medical educators and language teachers even in America complain that their students have limited writing abilities and struggle to write medical reports that convey their thoughts and ideas on different medical issues (Unzueta, 2011.). If this is the case with native speakers of English, one could easily imagine how nonnative speakers of this language would suffer when it comes to learning medical writing.

In this study, the researcher works with individuals at the University of Science and Technology in Sudan to test the efficacy of using a blended learning approach that combines face-to-face teaching with smartphone technology in teaching medical English writing .

Statement of the problem:

Arab students of English often face greater difficulty in attaining appropriate writing levels in this language. “One reason for this is their native language (Arabic) being generically different from English” (Omar, 2016, p. 55). Another reason for the low performance of these Arab students in English writing; however, “is due to lack of using proper techniques and suitable methods to teach this skill” (Omar, 2016, p.56). Actually, the use of poor

Introduction:

Medical language is a special language made up of a huge body of words and terms, that have been collected from different languages to be used by medical doctors and students in their field of specialization and for their daily on-ward communication. Medical students in particular are required to master this special language with its unique jargons and eccentric terminologies to secure their success in this important field of study. Definitely, this would make it necessary for them to spend a long time and to exert much effort studying to remember the medical terms and the specialized expressions particular to medicine and medical practice (O'Dowd, 2008). Traditional learning techniques including note taking and memorization basically acquired through face-to-face mode of instruction, do not efficiently engage students in active learning that can help them to learn medical English with its special terminology and its unique expressions. In fact, the out-dated strategies practice based on face-to-face instructional methods are classified as one of the reason why students have low achievement scores in medical English in general and in writing medical reports in particular (Banafi, 2016). There is a need, therefore, to seek more innovative and effective teaching approaches and techniques to teach this essential subject to medical students. This could be realized through integrating new e-learning strategies into traditional educational methods. Online networking which provides a vast opportunity of communication through smartphones and their varied applications has great potential opportunities and there are expectations that this type of networking tools will supplement or even supplant traditional methods of teaching and learning English (Banafi, 2016). Recent studies have found that social and academic network sites and platforms are suitable educational tools and that these platforms are being increasingly used and accessed through smartphones to handle medical education issues. In fact, many Arab countries have adopted smartphones and their applications in one way or another and indorsed this technology into their teaching

ملخص البحث:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة تأثير استخدام الهواتف الذكية والوسائط الاجتماعية على مستوى أداء طلاب السنة التمهيدية في مهارة الكتابة الطبية بالإضافة إلى تحديد مدى تأثير هذه الأدوات الذكية على توجه الطلاب نحو هذه المهارة. عينة الدراسة مكونة من ٣٦ طالباً وطالبة مسجلين في الكلية التمهيدية بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا خلال الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ٢٠١٥-٢٠١٦. خلال المرحلة الأولى من الدراسة، تم تدريس الوحدات الست الأولى من كتاب بعنوان اللغة الإنجليزية للطب باستخدام الطريقة التقليدية وجهاً لوجه. لكن خلال المرحلة التجريبية، فقد درست الوحدات الست التالية من نفس الكتاب باتباع نهج مدمج حيث تم استخدام الوسائط الاجتماعية المفضلة لدى الطلاب مثل الواتساب لدعم عملية تعليم الكتابة الطبية. للتحقق من تأثير تطبيقات الهواتف الذكية على مستوى أداء الطلاب، فقد خضعوا لاختبارين لقياس مهارة الكتابة لديهم. أظهرت النتائج أن أداء الطلاب في الكتابة قد تحسن بشكل ملحوظ بعد أن سمح لهم باستخدام هواتفهم الذكية للمساعدة في عملية تعلم الكتابة. أما لقياس مواقف الطلاب تجاه الكتابة، فقد تم استخدام استقصاء المواقف حيث أظهرت البيانات التي تم الحصول عليها من خلال هذا الاستقصاء أن استخدام الأدوات الذكية جنباً إلى جنب مع طريقة التدريس التقليدية، قد أثر بشكل إيجابي على اتجاهات الطلاب نحو تعلم الكتابة الإنجليزية الطبية. هذه النتائج تشير إلى أن تطبيقات الهواتف الذكية يمكن أن توفر دعماً قوياً أثناء تدريس الكتابة الطبية الإنجليزية للطلاب في مرحلة السنة التمهيدية. ختمت الدراسة ببعض التوصيات والمقترحات لتشجيع المزيد من التطبيقات التكنولوجية الحديثة والأدوات الذكية لتعزيز تعلم الكتابة الإنجليزية الطبية.

كلمات مفتاحية: الهواتف الذكية، القدرة على التعلم، التعلم المدمج، اللغة الإنجليزية الطبية، وسائل التواصل الاجتماعية.

**The Effect of Using Smartphones and Social Media on
Teaching Medical English Writing
(A Case Study of Premedical College Students at Sudan
University of Science and Technology)**

**Abdul-Majeed Attayib Umar (Ph.D. Applied Linguistics)
English Language Center – umm al-qura university**

Abstract:

The purpose of this study is to investigate the effect of smartphones and social media on medical students' writing as well as the impact of these smart tools on the subjects' attitudes towards this skill. This research adopts a within-subject design with a sample composed of 36 male and female students registered in the premedical college at the Sudan University of Science and Technology during the second term of the academic year 2015-2016. During the First Phase of study, the subjects were taught the first six units of a book entitled English for Medicine using the traditional face-to-face method. During the Experimental Phase, however, the subjects were taught the next six units of the book following a Blended approach where favorite social media such as WhatsApp and other applications were used to enhance the learning and teaching process. To check the effect of the smartphone applications, the subjects were given two writing tests. The results showed that the students' performance in writing had significantly improved after they were allowed to use their smartphones to aid their learning process. To measure the subjects' attitudes towards writing, an Attitude Survey was used. The data generated through this survey showed that the use of smart tools side-by-side with the traditional face-to-face teaching method had positively impacted the students' attitudes towards learning medical English writing as it had already done with their writing ability. These results suggest that smartphone applications can provide a strong support while teaching medical English writing to pre-medical students. The study ends up with some recommendations and suggestions to encourage more implementation of modern technology and smart tools to enhance and revitalize the teaching and learning of medical writing.

Keywords: smartphones, learning ability, blended learning, WhatsApp, attitudes towards learning, medical English, social media.

The Effect of Using Smartphones and Social Media on Teaching Medical English Writing

**(A Case Study of Premedical College Students at Sudan
University of Science and Technology)**

Abdul-Majeed Attayib Umar

(Ph.D. Applied Linguistics)

English Language Center – Umm Al-Qura University



Umm Al-Qura University Journal of Languages and Literatures

Aims and Scope

The journal is a referred academic periodical, issued biannually by Umm Al-Qura University. It aims at publishing original academic research papers in the fields of languages & Literature. In addition, it accepts book reviews, funded research reports, recommendations of conferences, symposia and academic activities and dissertation abstracts. Researches in both Arabic and English from Umm Al-Qura University and elsewhere are accepted, on condition that they have not been published or being presented to be published in another publication. All researches are to be reviewed by the editors and referred by specialists in related fields.

Board of General Supervision

Dr. Bakry Matuq Assas

Chancellor, Umm Al-Qura University

Dr. Thamir Hmdan Al-Harbi

Vice-Rector for Graduate Studies and Academic Research

Editor in Chief

Dr. Muhammad Alqurashi

Editorial Board:

Prof. Abdulrahman H. Alaref

Dr. Abdullah M. Masmali

Prof. Omer Elsiddeg Abdalla

Dr. Abdullah A. Banqeeb

Dr. Haifaa Othman Feda

Dr. Ahmad Y. Alghamdi

Dr. Maryam A. Alqahtani

In the Name of Allah
The Most Gracious The Most Beneficent

PUBLICATION NOTES

1- Materials submitted for Publication in *Umm Al-Qura University Journal for Languages & Literature* (UQUJLL) will be accepted according to the followings:

- a) Four paper copies of the manuscript, and a CD copy are required.
- b) The manuscript should be double-spaced, written in Microsoft Word, using Times New Roman Font, size 16 on A4 paper-size. Manuscript length should not exceed 40 pages, including tables, figures and references.
- c) Tables and Figures should be presented on separate sheets, with their proper text position indicated in the original manuscript.
- d) Abstracts in both Arabic and English within 200 words each should be submitted.
- e) Author's name and affiliation should be written on a separate sheet along with a brief CV. A signed consent from the author(s) that the manuscript has not been published or submitted to another publication.
- f) Original figures should be presented on a CD, using appropriate computer software.

2- All references within the text are to be cited according to the followings; Last name of the author, year of Publication, and page number(s) when quoting directly from the text. For example, (Abu Zaid, 1425, p.15). If there are two authors, last names of both authors should be provided for example, (Al-Qahtani & Al-Adnani, 1428, p.50). In case there are more than two authors for the same reference, citation should be in the following form: (Al-Qurashi et al., 1418, p.120). Citations of two references for two authors should be as follows: (Al-Makki, 1425; Al-Madani, 1427) while citation of two references for one author having the same year of Publication should take the form (Al-Mohammady, 1424a, 1424b).

3- All references are to be listed sequentially at the end of the manuscript in an alphabetical order, according to the author(s) last name(s), followed by the first name(s) or their abbreviations; the book title (underlined), or the article title (between quotations). The number of the edition, name of the publisher (for books) or journal, place of publication (for books), and year of publication. For articles, the volume of the journal; or the year, number, and page numbers should be provided.

4- Authors will be provided with 20 reprints, along with a copy of the journal's volume in which the work appears. A free of charge copy will also be forwarded to book reviewers & report dissertation abstract writers.

Correspondence: All correspondences and subscription requests should be addressed to: *Umm Al-Qura University Journal for Languages & Literature* (UQUJLL). Umm Al-Qura University. P.O.Box 715 Makkah, Saudi Arabia.

E-mail: jll@uqu.edu.sa

Exchanges and Gifts: Requests should be directed to: Deanship of Libraries Affairs. Umm Al-Qura University. P.O. Box 715 Makkah, Saudi Arabia.

Copyrights: Materials published in UQUJLL solely express the views of their authors, and all rights are reserved to Umm Al-Qura University Press.

Subscriptions (Annual) fees: Seventy-five Saudi Riyals, or twenty US dollars (price per issue + shipping & handling).

Notification: The current Umm Al-Qura University Journal for Languages & Literature (UQUJLL) used to be part of Umm Al-Qura University Journal of Shariah & Islamic Studies.

ISSN: 1658 / 4694



Umm Al-Qura University
Journal of Languages and Literatures

Volume No. 20

Muharram 1439Ah. October 2017